عودة العبادي

ص3

آرثر ريان
الأب الروحي لبرايمارك الذي سيطر على الأسواق

ص9

المخرجة الإسبانية إيسيار بوياين: سينما متوسطية

ص15

العرب

www.alarab.co.uk
أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2019/07/14
11 ذوالقعدة 1440
السنة 42 العدد 11407
Sunday 14/07/2019
42nd Year, Issue 11407

صواريخ أس - 400 تقطع خط الرجعة بين أنقرة وواشنطن

أردوغان يراهن على قبول واشنطن بالأمر الواقع ويستبعد عقوبات أميركية

أنقرة – قطع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بالمضي في صفقة صواريخ أس- 400 الروسية خط الرجعة مع الولايات المتحدة، وبات من شبه المؤكد أن تلجأ إدارة الرئيس دونالد ترامب إلى عقوبات نوعية كرد فعل على العناد التركي.

ويحاول أردوغان أن يظهر بشكل هادئ بالرغم من حالة الفزع، التي أثارتها خطوة استفزاز واشنطن، في أوساط المستثمرين الأتراك، موحيا بأن المشكلة مع الولايات المتحدة سيتم حلها من خلال الزيارات والاتصالات، وأنه لن يتم أي تصعيد.

كما يراهن على أن الاستعجال في تركيب المعدات وإرسالها جوا، سيخلق أمرا واقعا على واشنطن التي ستجد نفسها مترددة قبل إطلاق حزمة العقوبات ضده لأنه ركن أساسي في تركيبة الناتو.

لكن محللين سياسيين أتراكا يعتقدون أن حسابات أردوغان غير دقيقة، ففي الداخل التركي لم تعد الطبقة السياسية، بما في ذلك جزء من قيادات حزب العدالة والتنمية الحاكم، وكذلك طبقة رجال الأعمال والمستثمرين، تثق في تطمينات الرئيس التركي. كما أنها باتت أكثر تيقظا تجاه أي تصعيد جديد بعد أن قادت التحركات السابقة للرئيس إلى توتير العلاقات الخارجية لتركيا مع محيطها العربي والأوروبي ومع الولايات المتحدة.

ومن الواضح أن عملية السجن والإهانة لكبار قادة الجيش بعد الانقلاب، تركت ضباطا يعجزون عن مواجهة أردوغان بحقائق لا يريدها، وأنه بات يتحكم بالجيش دون معرفة بالمخاطر تماما مثلما يفرض أفكارا تتسبب باستمرار في هزات اقتصادية وكان آخرها إقالة محافظ البنك المركزي.

ويخشى المستثمرون في تركيا من تأثير العقوبات الأميركية المحتملة على الاقتصاد الذي أصابه الركود بعد أزمة العملة في العام الماضي. وتراجعت الليرة التركية 1.6 في المئة إلى 5.7780 أمام الدولار بعد إعلان وزارة الدفاع، الجمعة، عن وصول أجزاء من منظومة الدفاع الصاروخي أس- 400 إلى قاعدة مورتيد شمال غربي أنقرة. وانخفض مؤشر بورصة إسطنبول الرئيسي 2.13 في المئة.

ويعتقد المحللون أن الرئيس التركي وضع إدارة ترامب في وضع لا يسمح لها بأن تغمض الأعين، وأن خيار لي الذراع الذي لجأ إليه سيدفعها إلى الرد بقوة، خاصة أن الصفقة تهدد أمن الناتو كما تفتح الباب أمام مغامرة لعضو جديد.

وطبقا لتشريع يعرف بقانون التصدي لخصوم أميركا من خلال العقوبات، وهو معني بشراء معدات عسكرية من روسيا، ينبغي أن يختار ترامب خمسة إجراءات من بين 12 إجراء محتملا.

وتتراوح هذه الإجراءات بين حظر إصدار تأشيرات الدخول والحرمان من التعامل مع بنك الصادرات والواردات الذي يتخذ من الولايات المتحدة مقرا له وتتمثل الاختيارات الأشد في وقف التعامل من خلال النظام المالي الأميركي والحرمان من رخص التصدير.

وتقول الولايات المتحدة إن نظام أس- 400 قد يعرض المقاتلات الشبح من طراز أف- 35 التي تصنعها شركة لوكهيد مارتن للخطر وهي الطائرات التي تساعد تركيا في تصنيعها وتعتزم شراءها.

وفي ظل العقوبات الأميركية المحتملة، ربما تواجه تركيا استبعادها من برنامج المقاتلات أف- 35 وهي خطوة رفضها أردوغان. لكن واشنطن بدأت بالفعل إجراءات لإخراج أنقرة من البرنامج وأوقفت تدريب طيارين أتراك على المقاتلة في الولايات المتحدة.

وترى واشنطن خطرا حقيقيا في أن يتمكن العسكريون الروس الذين سيدربون الأتراك على منظومة أس- 400 من كشف الأسرار التكنولوجية للمقاتلة الأميركية الجديدة أف- 35، التي تريد أنقرة شراءها أيضا. كما أن صواريخ أس- 400 تتعارض مع أنظمة حلف شمال الأطلسي.

وأكّد مسؤول كبير في الحلف طالبا عدم الكشف عن اسمه الجمعة أن الحلف يشعر بـ"القلق" لبدء تسلم تركيا الصواريخ الروسية.

ودعا عدد من أعضاء الكونغرس الأميركي إلى إلغاء عملية تسليم طائرات أف- 35 إلى أنقرة وطالبوا بفرض عقوبات على المسؤولين الأتراك المنخرطين في الصفقة مع روسيا.

وقال إليوت إنجل ومايكل مكفول، العضوان الرئيسيان الديمقراطي والجمهوري في لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب، في بيان مشترك "لقد منحنا الرئيس (التركي رجب طيب) أردوغان الخيار، ولقد اتخذ بشكل واضح الخيار الخطأ".

وأعلنت وزارة الدفاع التركية، صباح السبت، استمرار وصول معدات منظومة أس- 400 الروسية، إلى البلاد، لليوم الثاني على التوالي. جاء ذلك في بيان نشرته الوزارة على حسابها في موقع "تويتر" السبت.

وقالت في البيان "يستمر شحن معدات المنظومة. وفي هذا الإطار هبطت طائرة رابعة إلى قاعدة مرتد بأنقرة".

الجمع بين أنظمة دفاعية متناقضة

قبرص التركية... ضحيّة أخرى لأردوغان

خيرالله خيرالله

ص5

تحالف بين المستهدفين من التعديلات الانتخابية لمواجهة النهضة والشاهد

تونس – تتحرك الأحزاب المهددة بالمنع من تقديم قوائم للانتخابات التشريعية أو ترشيح قياداتها للانتخابات الرئاسية لفك الحصار الذي تقول إن حركة النهضة وحليفها رئيس الحكومة يوسف الشاهد يقفان وراءه.

وقالت مصادر مقربة من هذه الأحزاب إن بعض القيادات تقوم بمحاولات لاكتشاف مدى استعداد أحزاب مثل "قلب تونس" الذي بات يتزعمه رجل الإعلام المثير للجدل نبيل القروي، أو الحزب الدستوري الحر بقيادة عبير موسي، أو جماعة عيش تونسي لألفة تراس، لبناء تحالف أو جبهة تقدر على الوقوف بوجه حركة النهضة.

وما يجمع بين هذه الأحزاب أنها مهددة بالتعديلات القانونية، التي تم إقرارها أخيرا. ويقول خبراء قانونيون إن هذه التعديلات فضفاضة ويمكن توظيفها لإسقاط أي قائمة انتخابية أو أي مرشح، وإن هذا يستدعي ضغوطا سياسية وإعلامية لمنع التحالف الحاكم من توظيف هذه التعديلات في إقصاء منافسين يهددون نفوذه.

وكشفت استطلاعات رأي أخيرة عن تقدم كبير لحزب قلب تونس، ولزعيمه الجديد نبيل القروي، وكذلك لحزب عبير موسي، وهو ما يجعل التقارب بينهما أمرا ضروريا في مواجهة التحالف القائم بين النهضة والشاهد.

وقالت القيادية في حزب قلب تونس سميرة الشواشي في تصريحات نقلت عنها السبت إن الأحزاب الحاكمة باتت مقتنعة بعد استطلاعات الرأي الأخيرة بأن هناك قوة صاعدة تتمثل في حزب قلب تونس وحزب عبير موسي وعيش تونسي بإمكانها تشكيل حكومة بعد الانتخابات دون حركة النهضة.

وكشفت الشواشي عن أن مشاورات قد جرت مع هذه التيارات السياسية لمعرفة استعدادها للتحالف.

ويقول المتابعون للشأن التونسي إن الأحزاب تريد أن تدخل الانتخابات منفردة لقياس شعبيتها ووزنها في الشارع، لكن ذلك قد يفوت عليها فرصة الحصول على كتل نيابية ذات وزن، خاصة أنها تتحرك في نفس القاعدة الشعبية التي ساندت نداء تونس في 2014، وأن تشتت المرشحين قد يقود إلى نتائج متواضعة.

وقلل صادق جبنون، القيادي بحزب قلب تونس، من سقف الحديث عن تحالف بين المكونات المهددة بالتعديلات.

وقال في تصريح لـ"العرب" إن معركتنا الحالية هي الدفاع عن حقنا الدستوري في الترشح والانتخاب.

لكنه يعترف بوجود تنسيق في حده الأدنى ويتعلق بالسعي لإفشال التعديلات الانتخابية الأخيرة. وقال "نلتقي ونتقاطع مع العديد من الأحزاب، التي ترغب في إلغاء تعديلات القانون الانتخابي هذا أولى الأولويات بالنسبة لنا كحزب قلب تونس".

وتفرض التعديلات شروطا جديدة على المرشحين من بينها عدم توزيع مساعدات مباشرة على المواطنين وعدم الاستفادة من "الدعاية السياسية".

وعارض نحو خمسين نائبا التعديلات معتبرين أنه يستحيل تعديل عملية انتخابية جارية، وقد قدموا طعنا أمام "الهيئة الوقتية لمراقبة دستورية مشاريع القوانين".

وأضاف جبنون "نحن نمثل بديلا سياسيا جديدا، وإثر الانتخابات ستكون هناك مشاورات وحديث لتشكيل أرضية حكم. لكن ليس موضوع الساعة الآن. نحن نتحدث مع كل الطيف السياسي دون إقصاء. ونعتبر أنفسنا بديلا عن المنظومة القائمة وهي حزب تحيا تونس والنهضة".

صادق جبنون

إلغاء التعديلات الانتخابية أولوية لتحركاتنا

سليم بن حسن

أمر التحالفات تحسمه استشارة قواعدنا

وأشار إلى أن "سميرة الشواشي أرادت أن تقول إننا عائلة سياسية جديدة تعبر عن خيار شعبي .. لدينا أرضية انتخابية واضحة وهامة ونوفر بديلا للائتلاف القائم لكن لا نقوم على الإقصاء".

وقال سليم بن حسن، رئيس جمعية عيش تونسي، في تصريح لـ"العرب"، "إنه لا علم لي بوجود مشاورات مع قلب تونس وعبير موسي لتشكيل تحالف في مرحلة ما بعد الانتخابات".. لكنه ترك الباب مفتوحا بقوله "لا تحالف دون العودة إلى قواعدنا وقواعدنا هي التي ستحدد ذلك".

خلية إخوان مصر تسلط الأضواء على نفوذ إخوان الكويت

السلطات الكويتية لم تعد تنظر لأنشطة الجماعة بعين التغافل

الكويت – حاول إخوان الكويت تطويق الفضيحة المدوية التي كشفت عنها السلطات، الجمعة، وتخص الكشف عن خلية لفارين من أحكام قضائية في مصر ومحسوبين على الجماعة الأم، بإصدار بيان للتخفيف من تداعيات هذه القضية، وسط تساؤلات عن طريقة تسلل المطلوبين إلى الكويت، ومن تولى تنظيم دخولهم وتستر عليهم.

ويعتقد متابعون للشأن الكويتي أنه، وإن كانت الخلية ترتبط بإخوان مصر، فإن الكشف عنها فيه رسالة واضحة من السلطات لإخوان الكويت مفادها أنها ليست متغافلة عن أنشطتهم ونفوذهم وعلاقاتهم الخارجية المثيرة للشكوك.

وجاءت الرسالة الإخوانية مخاتلة وتتوزع بين نفي الاتهامات الموجهة للخلية المصرية، ومحاولة عدم إغضاب السلطات الكويتية، وهو العنصر الأهم لكون الكويت باتت حديقة خلفية للجماعات التي فقدت مواقع نفوذها التقليدية.

وقال بيان الجماعة إنه لم يثبت عليها يوما أي مساس بأمن الكويت أو استقرارها، وإنها "فوجئت ببيان وزارة الداخلية الكويتية يتحدث عن إلقاء القبض على عدد من المواطنين المصريين العاملين هناك" واصفا إياهم بأنهم "يشكلون خلية إرهابية من الإخوان المسلمين".

ويعتقد المتابعون بأن الجماعة اضطرت إلى تسجيل موقف بشأن اعتقال عناصر تابعة لها، وهي تحذر من أن تثير غضب الكويت وتفتح على فرعها هناك أبواب التتبع العدلي وفتح ملفاته، وهو أحد أهم الفروع حاليا خاصة بعد تصنيف إخوان السعودية والإمارات ومصر على قائمات الإرهاب.

وتكمن أهمية إخوان الكويت في أنهم مصدر دعم مالي مهم للجماعة في الوقت الذي تستهدفهم فيه الكثير من الدول. كما أن التنظيم هناك نشيط وعالي الصوت في دعم الحركة وقد نجح في تشبيك البعد القبلي الاجتماعي بالديني ويجد مؤيدين له حتى داخل الأسرة الحاكمة.

وقالت وزارة الداخلية الكويتية الجمعة في بيان لها إن عناصر الخلية قاموا بالهرب والتواري من السلطات الأمنية المصرية متخذين من الكويت مقرا لهم، موضحة أن الجهات المختصة في الوزارة رصدت مؤشرات قادت إلى الكشف عن وجود الخلية.

ويمثل الكشف عن هذه القضية تأكيدا مزدوجا على أن الكويت تفصل بين الفرع المحلي للجماعة كتنظيم محلي، وبين الجماعة الأم، خاصة أن القضية تتعلّق بالعلاقة مع مصر، ولا تريد السلطة أن يكون لأي جماعة تأثير سلبي على علاقات الكويت الإقليمية والدولية.

ولا شك أن اكتشاف هذه الخلية سيدفع السلطات إلى مراجعة سياسة الليّن وترك الحبل على الغارب التي دأبت عليها في علاقتها بالإسلاميين، وخاصة الإخوان الذين ظنوا أن مهادنتهم للسلطة وتقربهم من بعض العناصر داخل الأسرة الحاكمة سيغطيان على أنشطتهم، وأن بإمكانهم الاستمرار في إمداد خلايا الإخوان في الخليج وخارجه بالدعم كما كان يحدث من قبل منذ ستينات القرن الماضي.

وبحسب متابعين للشأن الكويتي، فقد استفاد الإخوان منذ السبعينات من غفلة السلطات عنهم ومن التسيب التام في العمل الخيري وغياب الرقابة عنه ليؤسّسوا لهم إمبراطورية مالية، مستغلين ما مرت به الكويت ومجتمعها من فترات رخاء وثراء شديدين في سنوات الطفرة البترودولارية.

ويقول نشطاء كويتيون إنّ الثروات التي تمكّن إخوان الكويت من جمعها لم توظف فقط في الصرف على أتباع جماعتهم واستقطاب المزيد منهم محليا وخارجيا، بل في الحفاظ على مكانتهم في مؤسسات الدولة الكويتية ذاتها والتأثير في قراراتها، حتى أنهم غير بعيدين عن صياغة القوانين المتعلقة بتنظيم العمل الخيري والإجراءات الهادفة إلى تنظيمه باتجاه استدامة الثغرات فيها وبالتالي مواصلة الاستفادة منها.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

رفض مغربي لتواجد البوليساريو في منطقة التبادل الحر الأفريقية

الدبلوماسية المغربية تتحرك لإفشال مناورات خصومها

ضخ دماء جديدة في الدبلوماسية المغربية

يحاول المغرب عبر تطوير أدائه وعمله الدبلوماسي الدفاع عن وحدته الترابية، في مواجهة تحديات قضية الصحراء المغربية أمام اختراقات مفترضة لجبهة البوليساريو، وقد استغلت الخارجية المغربية تعيين سفراء جدد بعواصم مختلفة، للتأكيد على يقظة المملكة وتصديها لمناورات خصومها، كما أكد وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة رفض المغرب لتواجد البوليساريو في منطقة التبادل الحر الأفريقية رغم انضمام المملكة مؤخرا إليها عقب القمة الاستثنائية لدول الاتحاد الأفريقي التي استضافتها عاصمة النيجر "نيامي" الأحد الماضي.

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

الرباط – دعت وزارة الشؤون الخارجية المغربية سفراء المغرب المعينين حديثاً في عدد من العواصم العربية والغربية، إلى المواجهة والتصدي لمناورات خصوم الوحدة الترابية للمملكة المغربية "القائمة على الافتراء والتضليل الممنهج"، في إشارة إلى خطط جبهة البوليساريو التي تريد خلط الأوراق على المستوى الأفريقي والآسيوي وبدول أميركا اللاتينية، وعرقلة تصور المغرب لحل قضية الصحراء المغربية المبني على مبادرة الحكم الذاتي.

> الخارجية المغربية ما فتئت تعري وجه المسؤولين الجزائريين أمام المجتمع الدولي، وتكشف مدى تدخلهم في ملف الصحراء المغربية كمحركين للبوليساريو وداعمين لها

وجاءت توجيهات الخارجية المغربية ضمن سلسلة ندوات نظمتها لفائدة السفراء الجدد من قبل العاهل المغربي الملك محمد السادس. وأكدت على أهمية "الاستمرار في نفس النهج والعمل المستمر على جميع الأصعدة من أجل التصدي لمناورات خصوم وحدتنا الترابية".

وتمحورت أشغال الأيام التوجيهية حول الآليات، التي من شأنها تقوية الأداء الدبلوماسي الوطني "لتعزيز مكانة المملكة، بوصفها عضوا فاعلا ومسؤولا داخل المجتمع الدولي في ما يتعلق بالمجالات السياسية، الأمنية، والسوسيو-اقتصادية والبيئية". وتهدف أيضا إلى إبراز المحاور الاستراتيجية للدبلوماسية المغربية وآفاقها المستقبلية، وتحيين المعطيات المتعلقة بعدد من الملفات.

وتحرص الخارجية المغربية على أن يكون العمل الدبلوماسي فاعلا على الأرض حتى يتسنى له تحقيق الأهداف المرجوة منه والمساهمة بشكل مؤثر في تعزيز إشعاع المغرب على الصعيد الدولي في ظل ظرفية عالمية تتسم بالتغيرات العميقة والتحولات الكبيرة على المستويين الإقليمي والدولي.

ويشير مراقبون إلى أن الجسم الدبلوماسي المغربي مطالب بالعمل بكل مكوناته بشكل متسق لإفشال أي اختراقات مفترضة لخصوم الوحدة الترابية في المحافل الدولية وبكافة المناطق.

ولاحظ هؤلاء أن بروفايلات السفراء الجدد منسجمة مع توجهات الخارجية المغربية واستراتيجيتها في العمل الدبلوماسي المبني على التموقع الجيد بجميع الوسائل المتاحة تقنيا وسياسيا ودبلوماسيا خدمة للاستراتيجية الأمنية، والسوسيو-اقتصادية والبيئية داخليا وعلى المستوى القاري والدولي.

وضمن العمل الميداني الذي انخرط فيه المغرب بالقارة الأفريقية دعما لتموقعه السياسي والاقتصادي والدبلوماسي، شارك وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة في القمة الاستثنائية الـ12 للاتحاد الأفريقي الخاصة بمنطقة التجارة الحرة للقارة الأفريقية المنعقدة بنيجيريا، الأسبوع الماضي، ممثلا للعاهل المغربي الملك محمد السادس.

وتهدف منطقة التجارة الحرة الأفريقية إلى إزالة الحواجز التجارية، وتعزيز التجارة بين دول القارة. وستلغي هذه المنطقة التعريفة الجمركية تدريجيا على التجارة بين الدول الأعضاء بالاتحاد (55 دولة)؛ ما سيجعل التجارة أسهل بالنسبة للشركات الأفريقية في القارة.

وشدد بوريطة، على أن المغرب انخرط بقوة في مسار إنشاء منطقة التجارة الحرة القارية الأفريقية، لكن توقيعه وتصديقه على هذه الاتفاقية لا يحمل ما يمكن تفسيره بأنه إقرار بوضع أو واقع أو كيان لا يعترف ويهدد وحدته الترابية ووحدته الوطنية.

وكان المغرب انسحب من منظمة الوحدة الأفريقية (الاتحاد الأفريقي حاليا) عام 1984؛ احتجاجا على قبول الأخير لعضوية ما يُعرف "بجبهة البوليساريو"، غير أنه عاد إلى الاتحاد في يناير 2017.

وأشار المسؤول المغربي إلى أن بلاده تتصرف وفقا لعقيدة ومبادئ واضحة عندما يتعلق الأمر بالتمييز بين العضوية في منظمة ما، والاعتراف بكيانات يمكن أن تكون جزءا من هذه المنظمة، لكن المغرب لا يعترف بها. وتساءل مستنكرا "كيف يمكن لكيان ليس له أرض أن ينتمي إلى منطقة تجارة حرة؟".

وخلال القمة، التي شارك فيها المغرب، أعلنت جبهة البوليساريو كعضو في "منطقة التجارة الحرة الأفريقية"، رغم عدم اعتراف الرباط أو الأمم المتحدة وغالبية المجتمع الدولي بها.

وندد وزير الخارجية بهذه الخطوة متسائلا عن "العملة التي سيعتمدها هذا الكيان لإدارة التجارة التي، إذا ما كان لها أن تتم، لن تكون إلا بالعملة الجزائرية"، مشيرا إلى أنه "إذا كان للسلع أن تمر عبر الجمارك فستكون جمارك الجزائر"، وبالتالي فإن هذه الوضعية هي "حالة شاذة حرص المغرب على إثارتها". ويشير مراقبون إلى أن وزارة الخارجية المغربية ما فتئت في كل المناسبات والمحافل الدولية تكشف وجه المسؤولين الجزائريين أمام المجتمع الدولي، وتكشف مدى تدخلهم في ملف الصحراء المغربية كمحركين للبوليساريو وداعمين لأطروحتها.

وبدروه أكد مصطفى الخلفي، الوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان والمجتمع المدني في المغرب، أن توقيع ومصادقة المغرب على الاتفاقيات مع الاتحاد الأفريقي، لا يمكن أن يفهم أو يؤول أو يفسر بأي حال من الأحوال على أنه "اعتراف بواقع أو فعل أو وضعية أو كيان غير معترف به من قبل المملكة المغربية من شأنه أن يمس بالوحدة الترابية والوطنية".

وتخشى جبهة البوليساريو من أن تنحو جمهورية الإكوادور طريق السلفادور التي أعلنت قبل أسابيع قطع علاقاتها مع الانفصاليين. وتطرق الخلفي إلى تواصل سحب الاعتراف بجبهة البوليساريو، مشيرا إلى أنه بعدما كانت 84 دولة تعترف بها في ثمانينات القرن الماضي، بلغ عدد الدول التي سحبت اعترافها إلى الآن أزيد من 50 دولة آخرها كل من السلفادور والباربادوس.

وتشدد الخارجية المغربية، على ضرورة التكيف بفعالية مع محيط دولي معقد، والانخراط الفعال والجدي في الدفاع عن الوحدة الترابية للمملكة لقطع الطريق أمام مناورات خصوم الصحراء المغربية، باستثمار التطورات الإيجابية التي يشهدها ملف الصحراء بفضل المكاسب المتتالية للدبلوماسية المغربية، لاسيما سحب العديد من الدول لاعترافها بالبوليساريو.

سلطة الأمر الواقع في الجزائر تضيق الخناق على الحريات

صابر بليدي
صحافي جزائري

الجزائر – طرح منع قوات الأمن لندوة سياسية في إحدى مدن الشرق الجزائري للمعارض السياسي ورئيس حزب "جيل جديد" جيلالي سفيان، مسألة تراجع مساحة الحريات السياسية خلال الأسابيع الأخيرة في البلاد، رغم الزخم الذي فرضه الحراك الشعبي الذي دخل أسبوعه الواحد والعشرين، وأعطى مؤشرا سلبيا عن تمسك السلطة الحالية بممارسات النظام السابق.

وندد حزب "جيل جديد" المعارض، بمنع قوات الأمن لندوته السياسية التي كانت مبرمجة في مدينة أم البواقي بشرق البلاد، بدعوة من جمعية محلية، واعتبر القرار سلوكا قمعيا وتضييقا على المعارضة، ينم عن تمسك سلطة الأمر الواقع بممارسات نظام الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة.

وجاءت الخطوة في سياق حملة توقيفات واسعة للناشطين السياسيين والمعارضين، وفي ظل تحذيرات شديدة اللهجة توعد بها الرجل القوي في المؤسسة العسكرية الجنرال أحمد قايد صالح، ضد من أسماهم بـ"الخونة" و"العملاء"، في إشارة إلى الناشطين المطالبين بتنحيته من قيادة المؤسسة، والمتعاطفين مع أنصار الهوية الأمازيغية.

وانضافت إلى ممارسات مشابهة طالت قادة سياسيين وشخصيات مستقلة، حيث سبق لنفس الجهات أن منعت رئيس الحكومة السابق أحمد بن بيتور، من إلقاء محاضرة في مدينة المسيلة الداخلية، مما يوحي بأن السلطة لا تزال غير مستعدة لفتح الفضاء السياسي والإعلامي أمام المعارضين.

وإذ ارتبط سجن زعيمة حزب العمال، بما أسمته قيادة الجيش بـ"مؤامرة كانت تستهدفها وتستهدف الدولة"، واتهمتها بالمشاركة في اتصالات ومشاورات مع رموز من وصفتهم بـ"العصابة الحاكمة"، في إشارة إلى أذرع النظام البوتفليقي، فإن سجن عضو جيش التحرير الوطني (1954– 1962) الرائد لخضر بورقعة، أثار استياء وغضب الشارع، وتحول إطلاق سراحه إلى مطلب أساسي للحراك الشعبي.

وكانت جهات حقوقية، قد أعلنت عن توقيف وسجن أكثر من ستين شابا، على خلفية مشاركتهم في المسيرات الاحتجاجية بالرايات الأمازيغية، كما لا يستبعد أن تطول الحملة المفتوحة ناشطين آخرين تنفيذا للتحذيرات التي أطلقها الجنرال قايد صالح.

ورغم حالة التفاؤل التي خلفها تنحي الرئيس السابق عن منصبه، وسجن مسؤولين وضباط عسكريين ورجال أعمال مقربين منه، فإن الحالة كانت جد عابرة، قياسا بعودة نفس الممارسات القمعية والتضييق على الحريات، لاسيما مع تحول الساحة الإعلامية المحلية إلى أبواق دعائية لتصورات سلطة الأمر الواقع، وإقصاء الرأي المخالف.

واستغرب ملاحظون أن تبث وسائل الإعلام المحلية مضامين مختلفة ومتنوعة، في نفس التوقيت الذي تشتعل فيه العاصمة ومختلف مدن ومحافظات الجمهوريات غضبا شعبيا، خلال المسيرات الأسبوعية التي دخلت شهرها السادس، وهو السلوك المشابه لما كانت تقوم به أثناء الأيام الأولى للحراك الشعبي، لما كان نظام بوتفليقة جاثما في مواقعه.

ورغم فتح مديرية الأمن لتحقيقات داخلية في بعض الممارسات التي قامت بها عناصر أمنية تجاه المتظاهرين، خاصة في ما تعلق بالتسجيل الذي أظهر اعتداء عنيفا لأفراد من الشرطة على بعض المتظاهرين بالعاصمة خلال الأسبوع الماضي، إلا أن التدابير المشددة توحي بأن السلطة ماضية في أساليب قمعية لا تختلف عن ممارسات النظام السابق.

ولا يزال حظر حركة القطارات والميترو، وتكثيف الحواجز الأمنية وغلق المداخل المؤدية إلى العاصمة، والحضور الكثيف لعناصر الأمن والعربات والآليات في الساحات والشوارع الكبرى، السمة الغالبة على الإجراءات الاستثنائية المطبقة منذ أشهر، لخنق زخم الحراك الشعبي.

وأثار وضع الوصاية الأمنية للجريمة الإلكترونية تحت سلطة وزير الدفاع الوطني أو ممثله، مخاوف لدى الرأي العام المحلي، من عسكرة الرقابة على مضامين الشبكة العنكبوتية وشبكات التواصل الاجتماعي، التي تحولت إلى إعلام بديل حقيقي، في ظل النكوص الخطير للإعلام الكلاسيكي عن قيامه بواجبه في تقديم الخدمة العمومية.

> وضع الوصاية الأمنية للجريمة الإلكترونية تحت سلطة وزير الدفاع أثار مخاوف الرأي العام المحلي، من عسكرة الرقابة على الشبكة العنكبوتية

وهو الأمر الذي أعقبه مرسوم رئاسي ورد في العدد الأخير من الجريدة الرسمية، يتضمن هيكلة جديدة للشرطة القضائية التابعة للأمن العسكري والاستخبارات، العائدة هي الأخرى لوصاية قيادة الأركان بعد سقوط وسجن المنسق السابق لجهاز الاستعلامات الجنرال عثمان طرطاق (بشير).

ومع ذلك ثمن العقيد المتقاعد عبدالحميد العربي شريف، قرار استحداث مصلحة مركزية للشرطة القضائية لأمن الجيش، والتي حددت مهامها وتنظيمها في التكفل بالبحث والمعاينة في الجرائم التي هي من اختصاص القضاء العسكري والجرائم التي تمس بأمن الدولة.

وأدرجها العقيد في ما أسماه بـ"الأمن القومي" باعتباره التحدي الأكبر الذي تواجهه البلاد في الظرف الراهن، لاسيما في ما يتعلق بمحاربة الفساد والإرهاب والجريمة المنظمة، وهو ما يعطي الانطباع، حسب المتحدث، بأن المسألة لا ترتبط بالوضع السياسي الداخلي وحركة الشارع، رغم أن السيناريو يعيد إلى الأذهان ممارسات جهاز الاستخبارات السابق.

وذكر العربي شريف في تصريح صحافي، بأنه " كان يجب تعزيز الضبطية العسكرية بهذه المصلحة، لأن ضبطية الدرك عقب فتحها لملفات الفساد وجدت نفسها أمام قضايا وملفات خطيرة، فإعادة بعث مصلحة مركزية للجيش لمتابعة جرائم تتعلق بأمن الدولة تدخل في إطار منظور التحضير لبناء دولة جديدة".

وشدد المتحدث على أن "الجهاز الجديد لا علاقة له بمفهوم الدولة البوليسية السياسية كما كان في القرن الماضي بل بمنظورها الاستخباراتي". وشرح بقوله "لما قررت القيادة بعث مصلحة مركزية للشرطة القضائية لأمن الجيش كانت هناك إصلاحات سبقت هذه النقطة، وباستعادة بعض هياكلها انتقلت إلى مشروع حماية الجيش والأفراد والمعنويات، واليوم في إطار هذا المشروع وجب أن تكون هناك مديرية تشرف على العمل الوقائي لتجنيب وحداتنا الضرر، وتجنب ضرب الجيش واستهدافه".

عودة الممارسات القمعية

عشرات القتلى في هجوم على فندق في الصومال

مقديشو (الصومال) – قُتل 26 شخصاً على الأقل وأصيب 56 بجروح في هجوم شنه ناشطون إسلاميون من حركة الشباب على فندق في مدينة كيسمايو الساحلية في جنوب الصومال، بعد حصار استمر 12 ساعة وانتهى صباح السبت.

وبين القتلى العديد من الأجانب وصحافية كندية صومالية أثار موتها حالة من الغضب. وبدأ الهجوم مساء الجمعة عندما انفجرت آلية مفخخة عند مدخل فندق "المدينة" المزدحم في وسط كيسمايو، حسبما ذكرت مصادر أمنية.

واقتحم مسلحون بعد ذلك الفندق وتواجهوا مع قوات الأمن في داخله. واتبعت حركة الشباب التي تبنت الهجوم خطة تلجأ إليها عادة في هجماتها في العاصمة مقديشو.

وصرّح رئيس منطقة جوبالاند التي تتمتع بشبه حكم ذاتي أحمد مادوبي في مؤتمر صحافي أن "26 شخصاً قتلوا و56 جرحوا في الهجوم". وأضاف أن "بين القتلى أجانب: 3 كينيين وكندي وبريطاني وأميركيان و3 تنزانيين. وهناك جريحان صينيان أيضاً".

وقال المسؤول الأمني المحلي عبدي ولي محمد لوكالة فرانس برس إن "قوات الأمن تسيطر الآن (على الفندق) وقتلت آخر إرهابي".

وأضاف المصدر نفسه "نعتقد أن أربعة رجال مسلحين شاركوا في الهجوم".

وذكر شهود عيان أن دماراً كبيراً لحق بالفندق جراء الانفجار والرصاص. وقال مُنى إبراهيم إن "المبنى مدمر بالكامل. هناك جثث وكذلك جرحى تم انتشالهم في الداخل وقوات الأمن تطوق المنطقة".

وقالت مصادر محلية عديدة إن الفندق كان ينزل به عدد من رجال الأعمال والسياسيين الذين حضروا إلى المدينة للإعداد للانتخابات الرئاسية التي ستجرى في منطقة جوبالاند نهاية أغسطس المقبل.

وقتل أحد المرشحين لهذه الانتخابات بحسب السلطات المحلية.

وحركة الشباب التي شنت مرارا عمليات من هذا النوع في العاصمة مقديشو، تبنت في بيان الهجوم على مسؤولي جوبالاند "الكفرة"، مؤكدة أن مقاتليها تمكنوا من السيطرة على الفندق.

وطرد مقاتلو حركة الشباب المرتبطة بتنظيم القاعدة من مقديشو في 2011 وخسروا بعد ذلك الجزء الأكبر من معاقلهم. لكن الحركة لا تزال تسيطر على مناطق ريفية شاسعة تشن منها عمليات عصابات واعتداءات انتحارية بما في ذلك في العاصمة، ضد مواقع حكومية وأمنية ومدنية.

استهداف أمني مع اقتراب الانتخابات الصومالية

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

العبادي يقدم نفسه كبديل بتوظيف الاحتجاجات والفساد

رئيس الوزراء العراقي السابق ينتقد الأداء الحكومي الحالي متناسيا حال العراق في عهده

أعرب رئيس الوزراء العراقي السابق حيدر العبادي عن نيته العودة إلى حكم العراق معتمدا في ذلك على احتقان الشارع العراقي بسبب نقص الخدمات وخيبة أمل الشارع من أداء الحكومة الحالية، مقدما نفسه بديلا لعادل عبدالمهدي لإنهاء الفوضى التي يغرق فيها العراق ومكافحة الفساد وتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية. لكن هذه الوعود يقابلها تشكيك كبير خاصة أن العبادي لم يستطع في فترة حكمه الأولى السيطرة على الفساد إلى جانب عدم قدرته على فك الارتباط مع طهران بسبب حسابات سياسية بحتة.

حيدر العبادي: على الحكومة الحالية العودة إلى قرارات اتخذت في فترة حكمنا

بغداد – أكد رئيس الوزراء العراقي السابق حيدر العبادي نيته العودة إلى الحكم إذ بدأ تعبئة سياسية من أجل تحقيق هدفه. وقال، في مقابلة مع وكالة فرانس برس، "نحن نيتنا طيبة في هذا الإطار" وهو ما شكك فيه مراقبون بالنظر إلى ارتباط الأحزاب الشيعية بإيران كما استغربت الأوساط العراقية من انتقاد العبادي لأداء الحكومة الحالية، إذ يؤكد العديد من المراقبين أن البلد في فترة حكم العبادي وحزبه الدعوة الإسلامية لم يكن بأفضل حال.

ويؤكد مصدر مطلع على نشاط العبادي أن الأخير يعقد لقاءات مع قادة كتل وأحزاب سياسية كبيرة. ويؤكد العبادي من جهته أن هناك "تواصلا من نوع معين حاليا مع المرجعية" الشيعية الأعلى المتمثلة بآية الله السيد علي السيستاني، صاحب التأثير الكبير على المشهد السياسي العراقي.

ويشكل الشيعة غالبية السكان في العراق ولهم في العرف السياسي منصب رئاسة الوزراء منذ الإطاحة بنظام صدام حسين في العام 2003.

> عجز العبادي في السابق عن احتواء ظاهرة الفساد يعد مقياسا بالنسبة للمراقبين لمعرفة مدى قدرته على الإيفاء بوعود جديدة في هذا الشأن

ويقدم العبادي نفسه بديلا لرئيس الحكومة العراقية الحالي عادل عبدالمهدي الذي انتقد العبادي أداءه وزراءه، موظفا لتعزيز موقفه خيبة أمل الشارع العراقي من الأداء الحكومي الحالي ما أفرز احتقانا شعبيا بسبب نقص الخدمات لاسيما انقطاع التيار الكهربائي المزمن في العراق تزامنا مع ارتفاع درجات الحرارة في الصيف.

وتعد أزمة الكهرباء من المفارقات الصادمة وعنوانا للفساد والهدر وسوء إدارة الموارد في العراق الذي لا يتوافق ثراءه بالنفط مع وجود أزمة طاقة. ومنذ العام 2003، لم تشهد شبكة الكهرباء أي أعمال تطوير ما جعل الحكومات المتعاقبة تلجأ إلى خيار الاستيراد من الخارج، وتحديدا من إيران، سواء للكهرباء أو للغاز المستعمل في توليدها.

ويربط عراقيون أزمة الكهرباء المزمنة بأسباب سياسية، تتمثّل في حرص الأحزاب الشيعية الحاكمة والشخصيات النافذة المرتبطة بإيران على إبقاء العراق في حالة تبعية لطهران في هذا المجال الحيوي.

ويستنكر مراقبون انتقاد العبادي لأداء الحكومة الحالية، ويقولون إن العراق في عهد العبادي وحزبه الدعوة الإسلامية لم يكن بأفضل حال من الآن من تردي الأوضاع واستشراء الفساد، وهي الظاهرة التي يقول العبادي إنه سيحاربها.

ويثير حديث العبادي عن مكافحة الفساد تشكيك العديد من المتابعين الذين يعتبرون أن عجزه في السابق عن احتواء هذه الظاهرة بمثابة مقياس لمعرفة قدرته على الإيفاء بوعود جديدة في هذا الشأن.

وكان الفساد أحد أسباب خسارة العبادي لشعبيته التي بناها على انتصارات عسكرية متتالية، رغم أنه شبّهه بـ"الإرهاب".

وعن تراجعه أو فشله في ضرب حيتان المال، يجيب العبادي "كيف تكافح الفساد، والأمر بيد القضاء؟ من يدعي أنه سيحارب كل الفساد دفعة واحدة هو في الحقيقة لا ينوي محاربته". لكنه يقول إن "فسادا جديدا ظهر وهو بيع المناصب الذي كان في السابق سرا وبات اليوم في العلن، وكل شيء بسعره"، خصوصا أن تسريبات انتشرت في خضم مرحلة تشكيل الحكومة عن سعي أحزاب بارزة لشراء منصب وزير بالدفع لمرشحين آخرين أموالا طائلة للانسحاب.

ويربط العبادي الفساد بالطائفية التي يبدي تخوفا من عودتها وبشكل أكبر، في حال استمرت الأمور على ما هي عليه في الساحة السياسية.

ويقول "بالأمس الطائفية استخدمت كسلاح في الصراع بين الكتل (النيابية) لتقسيم الغنائم، ولهذا أصبنا بما أصبنا به". ويضيف "إذا عاد داعش أو أي تشكيل إرهابي جديد، أو تشكيل ربما كوكتيل من إرهابيين وسياسيين وآخرين، سيكون تشكيلا خطرا يؤدي إلى انهيار الأوضاع بالكامل".

ولا يزال لتنظيم الدولة الإسلامية، رغم دحره، خلايا نائمة تنشط في مناطق قريبة من حزام بغداد وعلى المناطق الحدودية.

ومع نهاية 2017، بدا العبادي بطلا قوميا حقق نصرا عسكريا على تنظيم داعش كان يسيطر على ما يقارب ثلث مساحة العراق منذ العام 2014.

إضافة إلى أنه الرجل الذي استعاد غالبية الأراضي المتنازع عليها مع إقليم كردستان العراق، في إجراء "عقابي" لسعي الأكراد إلى الاستقلال في استفتاء أجروه في سبتمبر 2017.

ويقول متابعون للسياسة العراقية إن العبادي حينها ربما كسب بغداد، لكنه خسر الأكراد. إلا أن العبادي يعتبر أن لا مشكلة لديه مع المواطنين الأكراد، "هناك مشكلة مع أحزاب مسيطرة على الإقليم" في إشارة إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي يتزعمه مسعود بارزاني. ويضيف "المشكلة هي أنها (الجهات) مسيطرة على ثروة الإقليم ونفطه. لهذا كنت دائما أسأل خلال المدة السابقة: أين الواردات؟ كانت العملية أشبه بغسيل أموال".

ويرى العبادي أن الحكومة الحالية لا تجد أمامها إلا العودة إلى قرارات وخطوات سبق أن اتخذها خلال فترة حكمه. ويشير مثلا إلى القرار الأخير لرئيس الحكومة الحالي عادل عبدالمهدي الذي أمر باعتبار الحشد الشعبي "جزءا لا يتجزأ" من القوات الأمنية العراقية.

وخسر العبادي السلطة في السابق لعدم تمكنه من تشكيل "الكتلة الأكبر" في البرلمان. واعتبر محللون في حينه أن العبادي دفع ثمن قربه من الولايات المتحدة، وأن موقفه المؤيد لتطبيق العقوبات الأميركية على إيران كان كفيلا بتصفيته سياسيا.

نوري المالكي أمينا عاما لحزب الدعوة الإسلامية للمرة الثانية

العراق – جدّد حزب الدعوة الإسلامية في العراق انتخاب نوري المالكي أمينا عاما له للمرة الثانية في انتخابات الحزب التي جرت السبت في كربلاء جنوب العراق. وقال القيادي في حزب الدعوة حسن السنيد، لوكالة أهل البيت للأنباء، إن "المالكي حصل على 342 صوتا بحضور 350 داعية لمؤتمر الأمانة العامة للحزب".

وكان المالكي قد تولى منصب أمين عام حزب الدعوة للمرة الأولى في 20 مايو من العام 2006.

وانطلق مؤتمر حزب الدعوة الإسلامية صباح الجمعة في كربلاء، حيث اعتبر مراقبون أن عقد المؤتمر في هذه المدينة بمثابة تأكيد من الحزب على هويته الطائفية ورغبته في الحصول على دعم المرجعية- إذ تعتبر كربلاء من أهم المدن المقدسة لدى الشيعة.

وسجلت مصادر عراقية مواكبة لأعمال مؤتمر حزب الدعوة قلة عدد الحضور في افتتاح المؤتمر وهو أمر توقعه المالكي نفسه.

وكان المالكي رئيسا للحكومة العراقية من عام 2006 وإلى غاية العام 2014.

استعراض العضلات أسلوب حسن نصرالله للتغطية على خيبات الأمل

بيروت – تضمنت التصريحات الأخيرة للأمين العام لحزب الله اللبناني حسن نصرالله الكثير من استعراض العضلات والتزييف للحقائق التي اعتمدها كأسلوب للتغطية على خيبات الأمل المتواترة التي منيت بها جماعته المدعومة من طهران، وكان آخرها فرض عقوبات على البعض من نواب الحزب في البرلمان، بالإضافة إلى أن الحزب طالته تداعيات العقوبات الأميركية المفروضة على إيران.

وأكد حسن نصرالله أن داعمته "إيران قادرة على قصف إسرائيل بشراسة وقوة" في حال اندلاع حرب أميركية ضد إيران، على وقع التوتر المتصاعد بين البلدين.

وسأل، في مقابلة مع قناة المنار التابعة لحزبه في ذكرى اندلاع حرب تموز 2006، "من قال إنه سيتم تحييد إسرائيل إذا حصلت حرب على إيران؟" مؤكدا أنّ "أول من سيقصف إسرائيل هو إيران.. وعندما يفهم الأميركي أن هذه الحرب يمكن أن تزيل إسرائيل فسيعيد النظر".

ورد المتحدث بلسان جيش الدفاع الإسرائيلي للإعلام العربي، أفيخاي أدرعي، على تهديدات حسن نصرالله واصفا إياه بـ"التبجح والتكبر" وبأنه "بطل العالم في الكذب".

وكتب أدرعي، على تويتر، إن "أقوال التبجّح والتكبر لدى نصرالله على منظمته وإنجازاته الوهمية لا يمكنها إخفاء الحقيقة من وراء رسالته. الأزمة كبيرة جدا، ليست المالية فحسب، بل الأخلاقية أيضا. عندما يتذمر عناصر حزب الله بأن لا مال لديهم، هذا يعني أن الأزمة خانقة".

وشدّد نصرالله على أن "إيران لن تبدأ حربا وأستبعد أن تقدم أميركا على حرب على إيران"، مرجحا أن "يعمل الطرفان بقوة على عدم التدحرج إلى حرب".

وتشهد العلاقة بين واشنطن وطهران توترا متصاعدا منذ إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترامب في مايو 2018 انسحاب بلاده بشكل أحادي من الاتفاق النووي الذي أبرم في 2015 بين إيران والدول الكبرى، وأعاد فرض عقوبات اقتصادية مشدّدة على طهران.

وقال نصرالله إن "مسؤوليتنا جميعا في المنطقة هي العمل لمنع حصول الحرب الأميركية على إيران لأن الكل يجمع على أنها مدمرة".

وشدد على أن "كل دولة ستكون شريكة في الحرب على إيران سوف تدفع الثمن".

وتلعب إيران دورا محوريا في زعزعة استقرار المنطقة. وتقف طهران وراء حوادث عدة مؤخرا استهدفت سفن قرب مضيق هرمز الاستراتيجي، بالإضافة إلى الإيعاز للمتمردين الحوثيين في اليمن بمهاجمة منشآت نفطية ومطارات سعودية. كما تدعم إيران ماليا وعسكريا ميليشيات مسلحة في سوريا واليمن والعراق ولبنان.

ادعاءات لا تقنع اللبنانيين

وحزب الله، الذي تصنّفه السعودية منظمة "إرهابيّة"، يعدّ إحدى أبرز القوى السياسية والعسكرية المدعومة من إيران. ويملك ترسانة ضخمة، وإن كان لا يعرف حجمها، وتتضمن صواريخ دقيقة.

وفرضت واشنطن الثلاثاء عقوبات على رئيس كتلة حزب الله البرلمانية النائب محمد رعد والنائب أمين شري، فضلا عن مسؤول وحدة الارتباط والتنسيق في الحزب وفيق صفا.

وقلل نصرالله من تداعيات هذه العقوبات التي اعتبرها "وساما على صدورنا ومفخرة في الدنيا".

وبرغم العقوبات، قال نصرالله إن "إدارة ترامب، تسعى إلى فتح قنوات مع حزب الله في لبنان عبر وسطاء".

ويقاتل حزب الله منذ أبريل 2013 بشكل علني في سوريا دعما للنظام في النزاع المستمر منذ أكثر من ثمانية أعوام. وأعلن نصرالله للمرة الأولى الجمعة خفض قواته في سوريا، حيث باتت قوات النظام تسيطر على أكثر من ستين بالمئة من مساحة البلاد. وقال "الجيش السوري استعاد عافيته بشكل كبير وهو وجد أنه اليوم ليس بحاجة إلينا"، موضحا "نحن متواجدون في كل الأماكن التي كنا فيها، ولكن لا داعي للتواجد هناك بأعداد كبيرة طالما لا ضرورات عملية لذلك".

وتابع "قمنا بإعادة انتشار وإعادة تموضع"، مشددا على أن "كل التعاطي مع الملف السوري لا علاقة له بالعقوبات أو التقشف المالي".

ويتأثر حزب الله بالعقوبات المتصاعدة على طهران التي تعد مصدر تمويله الرئيسي. وقال نصرالله "لا شك أن الحصار مؤثر(...) العقوبات مؤثرة على إيران ومؤثرة علينا، ومزعجة".

لكنه أكد أنه "إذا دعت الحاجة إلى عودة كل من كان هناك سيعود" إلى سوريا. وأشار إلى "حالة تنسيق كبيرة" بين طهران وموسكو الداعمتين لدمشق.

واعتبر نصرالله أن رئيس الحكومة الإسرائيلي بنيامين "نتنياهو يخادع شعبه ويلعب سياسة حافة الهاوية لأن إيران لن تخرج من سوريا" فيما يتعلق بالقصف الإسرائيلي المتكرر على سوريا.

وكثّفت إسرائيل في الأعوام الأخيرة وتيرة قصفها في سوريا، وتقول إنها تستهدف مواقع للجيش السوري وأهدافا إيرانية وأخرى لحزب الله وهي تكرّر التأكيد أنها ستواصل تصديها لما تصفه بمحاولات إيران الرامية إلى ترسيخ وجودها العسكري في سوريا وإرسال أسلحة متطورة إلى حزب الله.

وخاض حزب الله، الذي يتلقى المال والسلاح من طهران وتسهل سوريا نقل أسلحته وذخائره، حربا ضد إسرائيل في العام 2006 اندلعت إثر خطفه جنديين بالقرب من الحدود مع لبنان. وردت إسرائيل بهجوم مدمر، إلا أنها لم تنجح في تحقيق هدفها المعلن في القضاء على حزب الله، ما أظهر الحزب في نهاية الحرب داخليا بموقع المنتصر.

وأكد نصرالله أن كل المنشآت والمرافق والوزارات والمصانع والمطارات الموجودة في المنطقة الممتدة من نتانيا إلى أشدود "تحت مرمى صواريخنا ونستطيع أن نطولها".

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

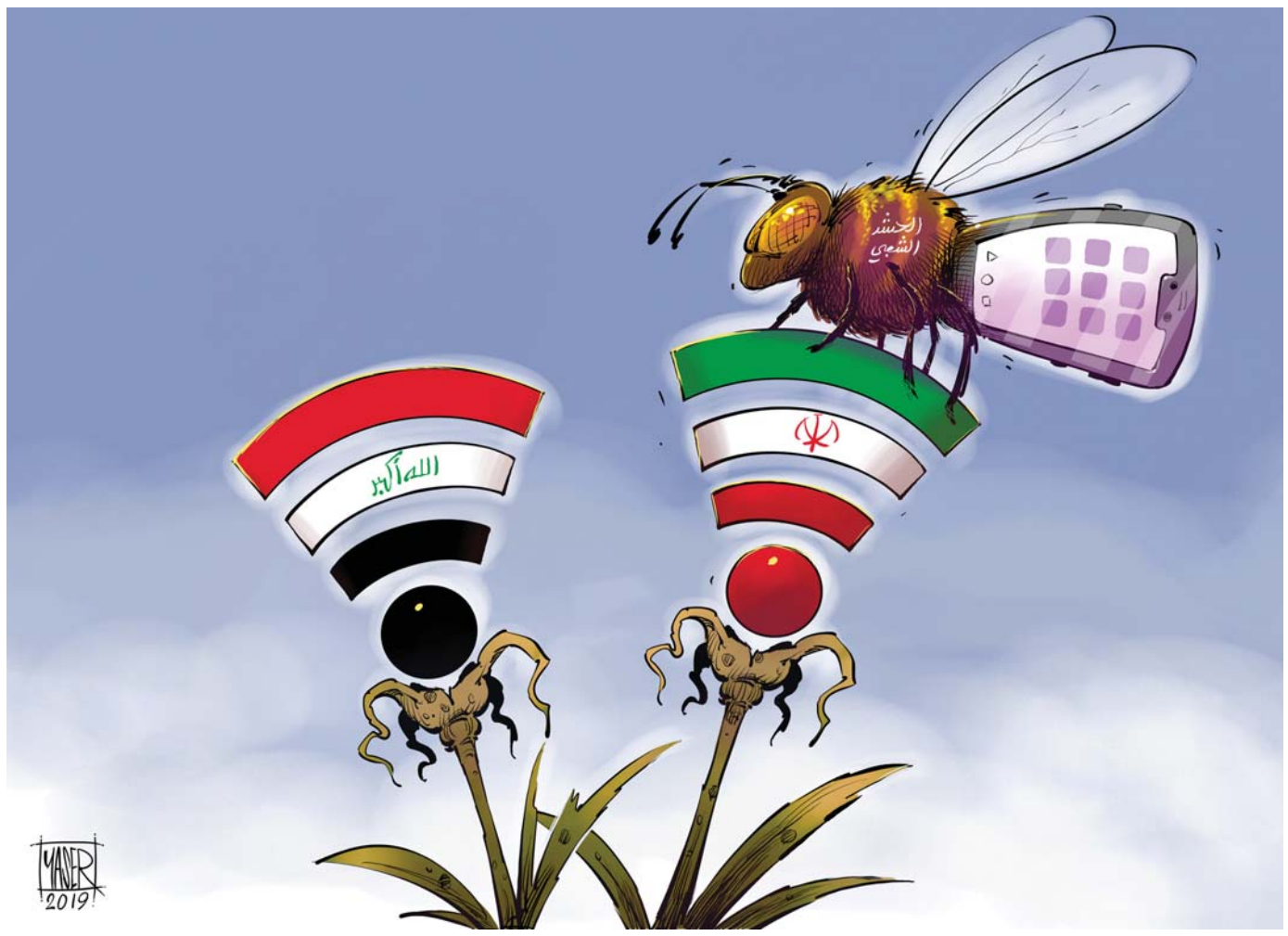

سياحة وموت على سواحل المتوسط

طارق القيزاني
صحافي تونسي

الموت والسياحة جنبا إلى جنب في مناطق كثيرة بسواحل دول البحر المتوسط ذات الإيرادات السياحية الأعلى في العالم. لم تعد تلك الشواطئ الرومانسية المشمسة على ضفتي المتوسط تقتصر على المصطافين والسياح. هناك مكان أيضا لجثث اليائسين ممن فشلوا في البحث عن فرص حياة أفضل.

من سواحل كاديز الجنوبية في أسبانيا إلى سواحل جزيرة ليسبوس اليونانية ومن سواحل جزيرة جربة وجرجيس بتونس، وفي الطريق إلى سواحل جزيرة صقلية الإيطالية، لا يخلو يوم دون أن يلفظ فيه مهاجرون أنفاسهم الأخيرة على أمواج المتوسط في رحلات الهروب المستمرة من أفريقيا ومن باقي مناطق النزاع والفقر في الشرق الأوسط وآسيا.

ومستقبلا قد لا تتسع شواطئ حوض المتوسط للمزيد من الغرقى إذا ما استمرت الحكومة الإيطالية والجناح اليميني داخل الاتحاد الأوروبي، في الإبقاء على موقفهما المؤيد للقيود الصارمة على أنشطة منظمات الإنقاذ غير الحكومية.

وفي حين أن ما تدّعيه الحكومة الشعبوية في روما ومؤيدوها داخل التكتل من أن تقييد أنشطة منظمات الإنقاذ غير الحكومية يهدف إلى الحد من أنشطة تجارة البشر فإن الواقع يكشف عن حقائق مغايرة وأكثر مأساوية عما كان عليه الأمر.

ما يحدث في السابق أن عصابات تهريب البشر التي تنشط ضمن شبكات معقدة تشمل أيضا موظفين حكوميين فاسدين، تضع خيار النجاة، كما هو احتمال الغرق والموت، أمام المهاجرين مقابل المال لكن المعادلة تحولت اليوم إلى خسارة مطلقة بإخلاء الحكومات الغربية مسؤولياتها في ظل تقلص فرص الإنقاذ والاحتمال القوي لمصير الموت أمام المهاجرين أو العودة على الأعقاب في أفضل الحالات.

لقد نجحت القيود على أنشطة الإنقاذ بالفعل في تقليص أعداد المهاجرين عبر المتوسط من 362 ألف مهاجر عام 2016 إلى 116 ألف مهاجر عام 2018 بحسب المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان، غير أن هذه النتائج لم ترافقها سياسات فعالة وصادقة للحفاظ على أرواح المهاجرين أو حمايتهم في مراكز اللجوء بالسواحل الجنوبية، وفي ليبيا على الخصوص، أو تمكينهم من تأشيرات دخول إنسانية.

ولا تنتهك هذه السياسات الأوروبية اتفاقية 1951 الخاصة بوضع اللاجئين فقط ولكنها تعيد رسم الفوضى في البحر بفرض سياسة أمر الواقع أمام مئات الآلاف من المهاجرين واللاجئين الفارين من الحروب والفقر.

وبالنتيجة فإن ستة مهاجرين يلقون حتفهم يوميا في مياه المتوسط، بحسب إحصائية للمفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، وخلف هذا الرقم يمكن تخيل الكثير من القصص المؤلمة لفقدان أطفال ونساء في قاع البحر.

وفي الحقيقة ليس هناك من تفسير آخر عدا الضغوط السياسية، حول سبب زيادة قوارب الهجرة التي تنطلق من سواحل ليبيا وزيادة حوادث الغرق، بينما نجحت الميليشيات المسلحة هناك في وقت سابق في أن تحكم قبضتها على تجارة البشر.

لكن الأرجح أن النزاع الداخلي المعقد في ليبيا وفي علاقته بمواقف دول الاتحاد الأوروبي المتباينة من حكومتي الشرق والغرب، قد بدأ يلقي بظلاله بقوة على ملف الهجرة ليصبح إحدى أوراق النزاع ووسيلة ضغط مهمة. ونتائج ذلك لم تتأخر كثيرا، إذ شهدت السواحل التونسية كارثتي غرق جماعي لنحو 150 مهاجرا في خلال أسابيع قليلة عدا المفقودين، بالإضافة إلى ضبط مئات آخرين في عرض البحر قدموا جميعا من سواحل ليبيا.

والقاربان اللذان شهدا كارثتي الغرق كانا انطلقا من سواحل مدينة زوارة الليبية. وليس مستبعدا أن يكون المهاجرون قد وجدوا ترتيبات متساهلة من متواطئين محليين لدفعهم إلى ركوب البحر عبر قوارب غير مهيئة لقطع مسافات طويلة، ومن دون أي ضمانات على حياتهم.

إن النزاع الداخلي المعقد في ليبيا وفي علاقته بمواقف دول الاتحاد الأوروبي المتباينة من حكومتي الشرق والغرب، قد بدأ يلقي بظلاله بقوة على ملف الهجرة ليصبح إحدى أوراق النزاع ووسيلة ضغط مهمة. ونتائج ذلك لم تتأخر كثيرا، إذ شهدت السواحل التونسية كارثتي غرق جماعي لنحو 150 مهاجرا في خلال أسابيع قليلة عدا المفقودين

وسواء تعلق الأمر بضغوط أو تواطؤ أو بقيود التكتل الأوروبي، فإن أرقام المرصد الأورومتوسطي تشير في كل الحالات إلى تزايد أعداد الغرقى، من 24 غريقا من بين كل ألف مهاجر وصل إلى أوروبا عام 2017 إلى معدل 33 غريقا لكل ألف مهاجر في 2018.

وبالمقارنة فإن أعداد الغرقى والمفقودين في البحر المتوسط ما بين 2014 و2017 فقط فاقت 15 ألفا، ما يجعله أكثر طرق الهجرة خطورة في العالم، وهذه حصيلة قد لا تضاهيها حصيلة القتلى في الحروب البحرية التي شهدها المتوسط منذ ما قبل القرون الوسطى.

وهذه الأرقام تكفي وحدها للتأكيد على فشل الاتحاد الأوروبي في إدارة أزمة الهجرة غير الشرعية بل وإدانته لتخاذله المتعمد في حماية أرواح البشر على نحو يخالف القيم التي تقوم عليها مؤسسات الاتحاد.

وفي تقدير هيومن رايتس ووتش فإن عدم ضمان الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي القدرة الكافية على البحث والإنقاذ في وسط المتوسط يتناقض مع روح القانون البحري الدولي، وقد يؤدي في بعض الظروف إلى إثارة المسؤولية عن الخسائر في الأرواح التي يمكن تجنبها، وعن الانتهاكات المباشرة لحظر الإعادة القسرية، أي خطر العودة إلى الاضطهاد أو التعذيب أو سوء المعاملة.

الأحلام غرقت في المتوسط

ترتيبات أميركية لشرق الفرات.. ومراوغة روسية بين القبول والالتفاف

رانيا مصطفى

شهد الأسبوع الماضي حراكا دبلوماسيا محموما لجيمس جيفري، المبعوث الأميركي المسؤول عن الملف السوري، تمثل في زيارة عدة عواصم أوروبية وعربية، وعقد اجتماعات في حقل العمر النفطي شرق دير الزور، مع الأطراف المحلية وبحضور السفير الأميركي وليم روباك، وقائد القوات الأميركية في سوريا والعراق، الجنرال بلاك ميران.

وظهرت نتائج هذه التحركات سريعا؛ فقد أعلن جيفري عن عودة البعثة الدبلوماسية الأميركية إلى سوريا، بعد سحبها عقب قرار ترامب بالانسحاب. فيما أعلنت مجلة فورين بوليسي الأميركية عن موافقة بريطانيا وفرنسا بإرسال جنود إلى سوريا، يتراوح عددهم بين 300 و400، إضافة إلى تقديم بعض دول البلقان والبلطيق "حفنة" من الجنود، لملء فراغ انسحاب القوات الأميركية من شرق الفرات، والبالغ عددها 2000 جندي، بعد أن قررت الإدارة الأميركية إبقاء 400 جندي منهم في شرق الفرات ومحيط قاعدة التنف، ورفضت ألمانيا العرض الأميركي بإرسال جنود إلى سوريا.

كان مضمون زيارة المسؤولين الأميركيين رفيعي المستوى إلى حقل العمر النفطي، شرقي دير الزور، لقاءات مع قيادات مجلس دير الزور المدني، ولقاء آخر مع ممثلين عن عشيرتي البكارة والعكيدات، كبرى قبائل الشرق السوري، لتوفير دعم اقتصادي وسياسي، وتطوير "الحوكمة الرشيدة"، وزيادة تمثيل العشائر العربية لخلق توازن سياسي شرق سوريا، والتخفيف من حدة التوتر العربي- الكردي، وذلك لتوفير استقرار في المنطقة يضمن عدم عودة تنظيم داعش.

وأعلنت قوات التحالف الدولي عن إجراء مناورات بالأسلحة الثقيلة في قاعدة التنف على الحدود العراقية- الأردنية-السورية، بمشاركة جيش "مغاوير الثورة"، بعد أن قامت الولايات المتحدة بإعادة إحيائه. وجيش "المغاوير" مدعوم أميركيا، وغالبية مقاتليه من أبناء دير الزور؛ لكن تم تجميده في نهاية سنة 2017، وتسريح غالبية مقاتليه، الذين لم يتبق منهم سوى 50 عنصرا. فقد أُعلن عن فتح باب الانتساب، وفتحت معسكرات التدريب للمنتسبين الجدد في الأردن. وخصصت ميزانية البنتاغون لعام 2019 مبلغ 300 مليون دولار للتدريب والتسليح، وكرواتب للمقاتلين في شمال شرق سوريا، والذين تسعى الولايات الأميركية لوصولهم إلى 60 ألف مقاتل من أبناء المناطق المحررة من تنظيم "داعش"، لضمان القدرة على حمايتها من عودة التنظيم. فيما تريد الولايات المتحدة الاستفادة من هذه الجيوش في محاربة الميليشيات الإيرانية في دير الزور، وفي إيجاد قوة حرس حدود، على الحدود السورية-العراقية.

وهناك تنسيق أميركي مع دول عربية، مهتمة بطرد الميليشيات الإيرانية، وبالحد من النفوذ التركي، لتقديم تمويل لإعادة إعمار شرق الفرات.

التحركات الأميركية هذه، تأتي في ظلّ تقارب أميركي-روسي، بدأ مع زيارة مايك بومبيو، وزير الخارجية الأميركي، إلى روسيا، منتصف مايو الماضي، ولقائه الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، برفقة جيمس جيفري، المبعوث الأميركي الخاص إلى سوريا، حيث اتفق الطرفان على خطة فضفاضة تقضي بالعمل على تنفيذ القرار 2254، والتعاون في ملف محاربة الإرهاب وداعش، وإضعاف النفوذ الإيراني، والتخلص من الأسلحة الكيمياوية، وتوفير مساعدات، ودعم دول الجوار، وتوفير عودة اللاجئين، وإقرار مبدأ المحاسبة.

وكذلك هناك تقارب إسرائيلي- روسي، تمثل بالسماح لإسرائيل بإجراء ضربات على المواقع الإيرانية في سوريا، كان آخرها الأقوى، الأسبوع الماضي، وستتولى إسرائيل دور الوساطة مع الولايات المتحدة، للتنسيق لإبقاء نظام الأسد في الفترة الحالية.

وكان ثمرة هذه التقاربات اجتماع كبار المسؤولين الأمنيين للدول الثلاث صاحبة القرار في سوريا، أميركا وروسيا وإسرائيل، والذي طالبت فيه الولايات المتحدة وإسرائيل روسيا بالعمل على تحجيم النفوذ الإيراني، دون أن تبدي روسيا موافقة على ذلك، بل بالعكس، عادت التصريحات الروسية للدفاع عن الحليف الإيراني، والتنديد بالضربات الإسرائيلية الأخيرة، دون منعها، أو السماح للنظام بتشغيل منظومة الدفاع أس- 300، في خطوة يبدو أنها ابتزاز روسي للولايات المتحدة لتخفيف العقوبات على النظام السوري، والسماح بعودة التطبيع معه.

يبدو الاجتماع الأمني وما سيليه من اجتماعات متكررة، الخطوة الأهم في طريق التسوية السورية، فبعده حصل تقدم في ملف اللجنة الدستورية، التي يتولى مهمتها المبعوث الدولي إلى سوريا، غير بيدرسون، بعد قبول النظام بأعضاء المجتمع المدني الستة.

وهناك تفاهمات روسية-أميركية جديدة على السماح للجيش الأميركي بتوجيه ضربات جراحية في شمال غربي سوريا، لتجمعات متطرفي تنظيم القاعدة، بدأت بقصف معهد شرعي تابع لتنظيم حراس الدين في ريف حلب الغربي.

هذا إضافة إلى ما استجد من قيام رئيس النظام السوري مؤخرا، بتغييرات رؤساء الأجهزة الأمنية الأربعة، بطلب روسي، وخلق فرع أمني جديد مسؤول عن تلك الأفرع، لتحجيم التغلغل الإيراني في مراكز القرار للنظام السوري، وتوحيده تحت إمرة روسيا.

ومن نتائج التقارب الأمني الأميركي- الروسي- الإسرائيلي، تراجع الإدارة الأميركية عن الحديث حول مطلب التغيير السياسي، حيث اقتصرت المحادثات بين ترامب وبوتين على هامش قمة العشرين، على موضوع تحجيم النفوذ الإيراني في سوريا.

بالتالي يبدو أن الإدارة الأميركية مهتمة بحل الملف الإيراني، وتريد البدء به من سوريا، وتحتاج إلى مساعدة روسية في ذلك، في وقت تسارع فيه إلى ترتيبات إدارة لشرق الفرات، وخلق توازن عربي- كردي، والاعتماد على قوات شركائها في التحالف، لقطع الطريق على روسيا بالسيطرة على الثلث الأغنى بالموارد النفطية والغاز والمنتوجات الزراعية في سوريا، مستغلة فشل موسكو في التقدم في ملف إدلب، وتراجع التنسيق التركي-الروسي حوله.

يبدو الاجتماع الأمني وما سيليه من اجتماعات متكررة، الخطوة الأهم في طريق التسوية السورية؛ فبعده حصل تقدم في ملف اللجنة الدستورية، التي يتولى مهمتها المبعوث الدولي إلى سوريا، غير بيدرسون، بعد قبول النظام بأعضاء المجتمع المدني الستة

يبقى ملف إدلب هو الأعقد، بعد مضي أكثر من شهرين من المراوحة في المكان والاستنزاف البشري، واضطرار روسيا إلى الاعتماد مجددا على الميليشيات الإيرانية ولو بشكل محدود، دون تحقيق التقدم.

الترتيبات الأميركية شرق الفرات، والمراوحة في ملف إدلب، تفرض على روسيا الاعتراف بتقسيم سوريا إلى مناطق نفوذ ثلاث، حيث تسعى الولايات المتحدة إلى تمثيل كردي في هيئة التفاوض بدعم عربي، من أجل فرض حل وفق الأمر الواقع، شريطة إخراج الميليشيات الإيرانية، والحد من النفوذ التركي، وإبقاء نظام الأسد حتى الانتخابات الرئاسية المقبلة.

قبرص التركية... ضحيّة أخرى لأردوغان

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

من خلال قبرص، كان في استطاعة تركيا إظهار أنّها دولة متصالحة مع نفسها وأن تلعب دورا إيجابيا على الصعيدين الإقليمي الدولي. كان كافيا أن تعمل من أجل إيجاد وضع طبيعي في الجزيرة المقسّمة منذ العام 1974 كي تبعث برسالة إلى كلّ من يعنيه الأمر أن مرحلة الانفتاح التركية مستمرّة وهي ملازمة للتطور الاقتصادي الذي شهده البلد في السنوات العشرين الأخيرة. شيئا فشيئا، يتبيّن أن رجب طيب أردوغان ليس سوى سياسي قصير النظر لا يدرك أن في استطاعته النهوض بتركيا في حال تخليه عن سياسة تقوم على الابتزاز.

ليس الموقف من قبرص سوى انعكاس لمجموعة من العقد التي لا يستطيع الرئيس التركي التعاطي معها. من بين هذه العقد أن قبرص دولة مستقلة عضو في الاتحاد الأوروبي منذ العام 2004. بدل تجاوز أحداث الماضي والمساعدة في توحيد قبرص وجعلها جسرا لتركيا إلى الاتحاد الأوروبي، عمد الرئيس التركي إلى اتباع سياسة تتسم بالعقم... هذا إذا كان المرء يريد التساهل مع أردوغان.

فجأة قررت تركيا التنقيب عن النفط والغاز في المياه الإقليمية لقبرص من منطلق أنّ هذه المياه تابعة لقبرص التركية. يتناسى الرئيس التركي أن هذه جمهورية لم تعترف بها سوى تركيا في يوم من الأيّام. ليس مفهوما لماذا هذا الإصرار على استعداء أوروبا والولايات المتحدة والمجتمع الدولي عموما؟ هل هذه ميزة كلّ سياسي يتحول أسير فكر الإخوان المسلمين؟

كان الأمل كبيرا في الماضي بأن تستخدم تركيا قبرص لحلّ مشاكلها المزمنة مع أوروبا، خصوصا بعدما صارت في قبرص اليونانية قيادة عاقلة ساهمت في تعزيز الاستقرار والنظام الديمقراطي القائم على التبادل السلمي للسلطة بين أحزاب مختلفة لكلّ منها برنامجه.

في الواقع، حصلت نقلة نوعية في قبرص اليونانية منذ انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي. صارت قبرص اليونانية التي مرّت في مرحلة معيّنة، مثلها مثل اليونان، بأزمة اقتصادية عميقة بلدا مزدهرا. في المقابل بقيت قبرص التركية تعاني من العزلة والفقر على كلّ صعيد وفي كلّ المجالات نتيجة وقوعها تحت الهيمنة التركية.

الواضح أن الرئيس التركي الحالي فقد البوصلة. عليه المزايدة في الداخل التركي وخارج بلاده لإظهار أنّه لا يزال موجودا ولا يزال لاعبا إقليميا. ليست سياسته القبرصية سوى تعبير عن إفلاس ليس بعده إفلاس لرجل كان الرهان عليه كبيرا، خصوصا بعد نجاحه في المجال الاقتصادي قبل أن يبدأ سقوطه في السنوات العشر الأخيرة

لا يمكن بالطبع الدفاع عن تصرّفات القبارصة اليونانيين في مرحلة معيّنة، لكنّ من الضروري العودة إلى التاريخ الحديث لشرح الأسباب التي أوصلت قبرص إلى ما هي عليه الآن في ظلّ سؤال محيّر. هذا السؤال هو الآتي: لماذا لم تستطع تركيا في يوم من الأيّام التفكير في حلول تنتشل القبارصة الأتراك من بؤسهم، بل كلّ ما تفكّر فيه هو تكريس احتلالها لقسم من أراضي الجزيرة والتصرّف من منطلق أنّ هذه الأراضي تركيّة في حين أنّها قبرصية؟

صيف العام 1974، قبل أقلّ من سنة من اندلاع الحرب الأهلية في لبنان، نفّذت مجموعة يمينية بزعامة نيكوس سامسون انقلابا على المطران مكاريوس الرئيس الشرعي لقبرص. كان سامسون سياسيا شابا ينتمي إلى أقصى اليمين. كان يعاني من الرعونة بما يشبه إلى حد كبير زعماء الميليشيات المسيحية والإسلامية التي فرّخت في لبنان بعد العام 1975. كان يقف خلفه ضباط يونانيون أقاموا حكما عسكريا في بلدهم. ما لبث هؤلاء الضباط أن دفعوا ثمن مغامرتهم القبرصية. خسروا السلطة وعادت اليونان إلى الحكم المدني مع عودة السياسي المخضرم قسطنطين كرامنليس من منفاه في باريس.

استغلّت تركيا الانقلاب على مكاريوس كي تقوم بإنزال عسكري بحجة حماية القبارصة الأتراك المسلمين الذين يشكلون نسبة 15 في المئة من سكان الجزيرة. احتلّت تركيا 38 في المئة من مساحة قبرص، بما في ذلك بعض أجمل الأماكن فيها مثل فماغوستا. إلى الآن، لا يزال هناك نحو ثلاثين ألف جندي تركي في قبرص. لا تزال تركيا متمسّكة بجمهورية شمال قبرص من منطلق أنّها تحمي القبارصة الأتراك في مواجهة القبارصة اليونانيين.

مرّت 45 سنة على الاحتلال التركي لقبرص من دون أن يطرأ أي تغيير على الذهنية التركية، علما أنّ كلّ شيء تغيّر في اليونان وفي قبرص اليونانية نفسها. اليونان عضو في الاتحاد الأوروبي، كذلك قبرص اليونانية. لا شيء يمنع قبرص التركية من أن تكون عضوا في الاتحاد في حال زوال المشاكل القائمة بينها وبين قبرص اليونانية. عضوية الاتحاد الأوروبي هي لقبرص كلّها ولا يعترف الاتحاد سوى بشرعية الحكومة القبرصية اليونانية. لم تقدم تركيا على أي خطوة يفهم منها أنّها قادرة على استيعاب التطورات التي شهدتها السنوات الـ45 الماضية حين اجتاح الجيش التركي الجزيرة يوم 20 تمّوز – يوليو 1974.

في العام 1974، كان العلماني بولنت أجاويد رئيسا للوزراء في تركيا. لعب الرجل دورا محوريا لدى اتخاذ القرار القاضي بتنفيذ إنزال عسكري تركي في قبرص. لا يزال الإسلامي رجب طيّب أردوغان يمثل في 2019 ما كان يمثّله أجاويد في 1974. حسنا، يمكن فهم الأسباب التي دعت رئيس الوزراء التركي وقتذاك إلى اجتياح قبرص ولكن كيف يمكن تفسير تمسّك أردوغان بسياسة أجاويد والذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير، أي إلى التنقيب عن النفط والغاز في المياه القبرصية؟

كان كافيا أن يزور الرئيس التركي قبرص اليونانية وقبرص التركية والمقارنة بينهما للتأكد من أن كلّ سياسات تركيا حيال الجزيرة كانت على خطأ. صحيح أنّه يمكن فهم مبررات الإنزال العسكري التركي للعام 1974، لكن الصحيح أيضا أنّه يصعب فهم كيف يمكن لتركيا أن تضع الحواجز أمام إعادة توحيد الجزيرة من جهة، والسعي إلى تكريس احتلالها للمنطقة القبرصية التركية فيها من جهة ثانية؟

الواضح أن الرئيس التركي الحالي فقد البوصلة. عليه المزايدة في الداخل التركي وخارج بلاده لإظهار أنّه لا يزال موجودا ولا يزال لاعبا إقليميا. ليست سياسته القبرصية سوى تعبير عن إفلاس ليس بعده إفلاس لرجل كان الرهان عليه كبيرا، خصوصا بعد نجاحه في المجال الاقتصادي قبل أن يبدأ سقوطه العظيم في السنوات العشر الأخيرة التي شهدت حصر كلّ السلطات في يده وصولا إلى الهزيمة التي تعرّض لها قبل أقلّ من شهر في إسطنبول في مناسبة إعادة الانتخابات البلدية فيها.

كانت قبرص فرصة كي يثبت أردوغان أنّه قادر على القيام بعملية نقد للذات. كانت فرصة كي يمدّ الجسور مع أوروبا بدل الدخول في لعبة شراء شبكة صواريخ روسية مضادة للطائرات من طراز "أس- 400". ما الذي سيفعله بهذه الصواريخ وضدّ من سيستخدمها... هذا إذا كانت ذات فاعلية ما؟

مؤسف أن تصل تركيا إلى ما وصلت إليه بسبب طموحات رجل واحد لا يزال يعرف كيف يثير الغرائز الدينية لدى أهل الأرياف التركية كي يبقى في السلطة بأيّ ثمن كان... حتّى لو كان هذا الثمن تراجع الاقتصاد التركي وانتشار مزيد من البؤس في معظم أنحاء قبرص التركية التي تحوّلت إلى ضحية أخرى من ضحايا أردوغان!

ظلال قاتمة تنذر ببداية النهاية

أس-400 تعمّق الشرخ في العلاقة الأميركية التركية

أنقرة - تلعب تركيا لعبة قد تحرّض ضدّها الولايات المتحدة التي تعد حليفتها الأكثر أهمية في حلف شمال الأطلسي (الناتو)، حيث منحت واشنطن مهلة لأنقرة حتى نهاية شهر يوليو للعدول عن شراء الصواريخ الروسية أس- 400. لكن، تركيا أكدت شراء الأسلحة من موسكو بالفعل.

ورغم التحذيرات الأميركية، تسلمت تركيا الشحنات الأولى من نظام الدفاع الجوي الروسي أس- 400 الجمعة (12يوليو2019) في تطور من المرجح أن يدفع واشنطن إلى فرض عقوبات على أنقرة ويتسبب في تصاعد التوتر بين تركيا وشركائها الغربيين في حلف شمال الأطلسي.

وهددت الإدارة الأميركية أنقرة بإبعادها عن مشروع المقاتلات أف- 35 وباللجوء إلى "قانون مكافحة أعداء أميركا من خلال العقوبات" الذي وظفته البلاد لفرض عقوبات على الكيانات المتعاملة مع موسكو. كما يمكن أن تتخذ واشنطن إجراءات انتقامية من شأنها أن تضر الاقتصاد التركي، وتضع النظام التركي المأزوم على حافة الهاوية.

● لماذا تحتاج تركيا إلى النظام الدفاعي الروسي؟

■ ترى تركيا أن هذا النظام يمثل ضرورة استراتيجية في وقت تواجه فيه تهديدات على حدودها الجنوبية مع سوريا والعراق. وتقول إنها عندما أبرمت صفقة النظام الصاروخي أس- 400 مع روسيا لم تقدم لها الولايات المتحدة وأوروبا بديلا مناسبا.

وقالت تركيا إن النظام الروسي يحقق توقعاتها من ناحيتي السعر والتكنولوجيا، وإنها تأمل في التعاون مع روسيا في تطوير الجيل الجديد من هذا النظام، وهو منظومة أس- 500، وكذلك الاستفادة من نقل التكنولوجيا والإنتاج المشترك.

وتقول أنقرة إن صواريخ أس- 400 لا تمثل تهديدا مباشرا للجيش الأميركي. واقترحت تشكيل مجموعة عمل فنية يمكن أن تضم حلف شمال الأطلسي لبحث المخاوف الأميركية من الأثر المحتمل لهذا النظام على الطائرات المقاتلة الأميركية أف-35. وتقول تركيا إن الولايات المتحدة لم ترد على اقتراحها حتى الآن.

● لماذا تعارض الولايات المتحدة الصفقة؟

■ تقول الولايات المتحدة إن النظام الصاروخي الروسي لا يتوافق مع شبكة دفاع حلف شمال الأطلسي، وإن هذه الصواريخ يمكن أن تمثل خطرا على الطائرات الأميركية المقاتلة الشبح أف – 35 التي تصنعها شركة لوكهيد مارتن، وهي الطائرات التي تساعد تركيا في صناعتها وتعتزم شراءها أيضا.

علاوة على ذلك تخالف الصفقة التركية تشريعا أميركيا يعرف بقانون التصدي لخصوم الولايات المتحدة من خلال العقوبات، وهو قانون يقضي بأن تفرض واشنطن عقوبات على الدول التي تشتري معدات عسكرية من موسكو.

ومن شأن صفقة الصواريخ أيضا تعقيد السياسة الأميركية في الشرق الأوسط وذلك من خلال زيادة التوترات مع أنقرة في وقت تمارس فيه واشنطن ضغوطا على المستوى الدولي لعزل إيران عبر وقف صادراتها النفطية. كانت تركيا مشتريا كبيرا للنفط الإيراني منذ زمن لكنها أوقفت شراءه حتى الآن. وهناك أيضا خلافات بين الولايات المتحدة وتركيا بشأن الصراع في سوريا وقضايا أخرى.

● ما البديل الذي قدمته الولايات المتحدة؟

■ في محاولتها لإقناع تركيا بالتخلي عن الصواريخ الروسية، عرضت الولايات المتحدة أن تبيع لها نظام باتريوت للدفاع الصاروخي الذي تصنعه شركة ريثيون الأميركية. وقال وزير الدفاع التركي إن مسؤولين أتراكا وأميركيين دخلوا في مناقشات حول قضايا السعر ونقل التكنولوجيا والإنتاج المشترك في العرض الأميركي الذي تلقته أنقرة في أواخر مارس الماضي. غير أنه لم يتم التوصل إلى اتفاق حتى الآن. وقدمت أيضا عدة دول أعضاء في حلف شمال الأطلسي بطاريات صواريخ باتريوت لحماية حدود تركيا الجنوبية خلال الصراع في سوريا.

الإدارة الأميركية هددت أنقرة بإبعادها عن مشروع المقاتلات أف- 35 واللجوء إلى قانون مكافحة أعداء أميركا من خلال العقوبات

● ما هي عواقب إتمام الصفقة؟

■ قالت واشنطن مرارا إن تركيا ستواجه "عواقب حقيقية وسلبية" إذا مضت قدما في شراء النظام الصاروخي الروسي، تشمل وقف شراء الطائرات أف-35 وكذلك مشاركتها في برنامج صناعة الطائرة وتعرضها لعقوبات بمقتضى قانون التصدي لخصوم أميركا من خلال العقوبات.

وإذا أبعدت الولايات المتحدة تركيا عن برنامج المقاتلة أف- 35 وفرضت عقوبات على شريكتها في حلف شمال الأطلسي فسيكون ذلك واحدا من أكبر الخلافات بين البلدين في التاريخ الحديث. ومع ذلك عبّر رجب طيب أردوغان مرارا عن ثقته في علاقته مع الرئيس دونالد ترامب الذي أبدى تعاطفا مع الموقف التركي. وفي اجتماع مع أردوغان في يونيو حمّل ترامب إدارة الرئيس السابق باراك أوباما مسؤولية الفشل في مساعدة تركيا في الحصول على صواريخ باتريوت عوضا عن النظام أس- 400.

من الناحية النظرية، بإمكان الرئيس الأميركي عدم تطبيق قانون التصدي لخصوم أميركا من خلال العقوبات، أو إرجاء تطبيقه. ومع ذلك قال مسؤولون أميركيون إن إدارة ترامب ما زالت تعتزم فرض عقوبات على تركيا واستبعادها من برنامج المقاتلة أف- 35.

صواريخ تستهدف عمق التحالف بين أنقرة وواشنطن

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

وزارة الدفاع الأميركية تشهد أطول فترة بلا قيادة في تاريخها

البنتاغون بلا قائد: فراغ مقلق مع احتمال تطور المواجهة مع إيران

تمر وزارة الدفاع الأميركية بواحدة من أصعب فتراتها، في ظل غياب قائد قادر على إدارة الأوضاع في البنتاغون وجعله حصنا منيعا أمام نزوات الرئيس دونالد ترامب، وتوجيه الأوامر في هذه المرحلة الحرجة منذ استقالة وزير الدفاع جيمس ماتيس.

روبرت بيرنز

واشنطن - بعد يوم من إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترامب عن سحب القوات الأميركية من سوريا، قدم وزير الدفاع جيمس ماتيس استقالته من منصبه. اعتقد ماتيس أن الإدارة ستعين خليفته في غضون شهرين، حيث أكد أنه سيبقى في منصبه حتى نهاية شهر فبراير إلى حين تسمية خلفه. وبدت تلك الفترة طويلة مع تزايد التوترات بين واشنطن وطهران.

مرت سبعة أشهر على استقالة ماتيس، ولم يشغل أحد منصب وزير الدفاع بشكل دائم. وبقي الفراغ مقلقا مع احتمال تحوّل مواجهة البلاد مع إيران إلى مرحلة النزاع المسلح.

تعتبر مدة هذا الغياب الأطول في تاريخ البنتاغون. ويعد الموقف حرجا في هذه الفترة المليئة بالتوترات، حيث تبقى سلطات أي شخص يعين لشغل المنصب المؤقت محدودة ولا يمنح كامل السلطة التي يشرعها الدستور لوزير الدفاع.

ينطبق الأمر نفسه على منصب نائب وزير الدفاع، بالإضافة إلى عدد من المناصب البارزة الأخرى. وقال السيناتور الديمقراطي عن ولاية نيويورك تشاك شومر إن البلاد تمر بوقت عصيب مع كل ما يحدث في إيران. وأكّد أن غياب وزير للدفاع في الإدارة خلال هذه المرحلة يعد أمرا مفزعا.

وتابع شومر "يظهر هذا الفراغ الفوضى في الإدارة الأميركية. حيث أبقت عددا من الوظائف شاغرة، في أكثر المناصب الأمنية حساسية". ويشاطر أعضاء الكونغرس رأي شومر.

ويقول ويليام كوهين، السناتور الجمهوري السابق، الذي شغل منصب وزير الدفاع خلال فترة ولاية الرئيس بيل كلينتون الثانية، إن حلفاء الولايات المتحدة "وحتى أعداءها" يتوقعون استقرارا أفضل من هذا داخل مؤسسة الدفاع الأميركية.

وقال كوهين إن الفراغ الطويل الذي تعاني منه القيادة مدمر، حيث تستعد الإدارة لتعيين وزيرها الثالث في أقل من سنة. وأشار إلى قلقه من التأثير التراكمي الناتج عن الانتقال من قائم بأعمال وزير الدفاع إلى آخر بينما تفتقر الإدارة إلى مسؤولين دائمين في المناصب الرئيسية الأخرى.

مبدأ السيطرة المدنية

يتوقع كوهين غياب الوضوح في الصلاحيات التي يتمتع بها مختلف المسؤولين، مما يقوض مبدأ السيطرة المدنية على الجيش. حيث تضع السياسة الأميركية سلطة اتخاذ قرارات الأمن القومي في البلاد في يد القيادة السياسية المدنية، بدلا من العسكريين غير المؤهلين سياسيا.

بالإضافة إلى ذلك، تطرق السناتور الجمهوري السابق إلى موقف الدول الأخرى (الحلفاء والخصوم) قائلا إن الفراغ سيولد شكا يحوم حول السلطة الممنوحة للقائم بأعمال وزير الدفاع وشعورا بغياب الاستقرار أو الأمن الوظيفي في الإدارة الأميركية.

أعضاء الكونغرس قلقون أيضا، حيث أكّد جيم إينهوف، السناتور الجمهوري من أوكلاهوما الذي يترأس لجنة القوات المسلحة، الحاجة إلى قيادة مؤكدة في البنتاغون "وبسرعة".

وقال السيناتور جاك ريد من ولاية رود آيلاند، وهو نائب ديمقراطي بارز في لجنة القوات المسلحة، إن مشكلة الوظائف الشاغرة خلقت "فوضى" في الحكومة.

بدأت المشكلة مع ماتيس الذي استقال في ديسمبر بعد سلسلة من الخلافات السياسية مع دونالد ترامب والتي انتهت باحتجاجه على نية سحب القوات العسكرية من سوريا أثناء الصراع القائم ضد تنظيم الدولة الإسلامية.

ظاهريا، نجح البنتاغون في الحفاظ على مساره خلال هذا الاضطراب، وأكد أن قرار الانسحاب لم يصدر لأن الجيش تضرر. وقال رئيس الأركان المشتركة الأميركية، الجنرال جوزيف دانفورد، للصحافيين إن القادة العسكريين يعلمون ما يتوقعه قادتهم المدنيون منهم. وتابع "نتطلع إلى تعيين وزير دفاع دائم في المستقبل القريب. لكنني لا أعتقد أن الفراغ أثّر على عمل الإدارة وقراراتها خلال الأشهر الستة المنقضية. لا أرى غموضا في ما يتعلق بما يجب فعله ولماذا".

بعد يوم من تصريحات دانفورد، اتهم الجنرال في سلاح الجو جون هيتين بالتحرش الجنسي، ما قد يلغي ترشيحه لمنصب نائب رئيس هيئة الأركان المشتركة الأميركية. حيث من المقرر أن يتقاعد قائد القوات الجوية الجنرال بول سيلفا، الذي يشغل المنصب حاليا في 31 يوليو.

> جيم إينهوف، السناتور الجمهوري من أوكلاهوما الذي يترأس لجنة القوات المسلحة، يؤكد الحاجة إلى قيادة مؤكدة في البنتاغون «وبسرعة»

وقال الضابط الأميركي الذي وجّه الاتهام في حديث مع وكالة "أسوشيتيد برس"، إن الجنرال جون هيتين تعرض لإحدى الموظفات التي كانت تعمل لديه سنة 2017. وأشار إلى أن الموظفة قالت إنه حاول "عرقلة مسيرتها العسكرية" بعد أن عبرت عن رفضها لما أراده. وأثار أعضاء الكونغرس تساؤلات حول المزاعم التي تم الإبلاغ عنها وكشف التحقيق العسكري عدم وجود أدلة كافية لاتهام هيتين.

يوم الأحد الماضي، واجهت البحرية أزمة قيادية أخرى. ففي خطوة مفاجئة، أعلن نائب رئيس العمليات البحرية الأميركية الأدميرال وليام موران تقاعده من منصبه، قبل التاريخ الذي كان من المقرر أن يتولى فيه قيادة القوات البحرية للولايات المتحدة.

جاء قرار موران بعد تحقيق مفتوح في بعض مراسلاته الشخصية بالبريد الإلكتروني على مدى العامين الماضيين، واستجوابه حول علاقاته بضابط بحري متقاعد كان قد اتهم بالتحرش سنة 2016. وفي جلسة نظمها مجلس الشيوخ، سئل عن الفراغات المتعددة والطويلة في الرتب العليا في البنتاغون. وأشارت ردوده إلى أنه يرى أضرارا محتملة في ذلك.

وقال موران "من الأفضل التحقق من المرشحين لأن ذلك سيمنحنا قدرة أفضل على التعامل مع خصومنا".

مرحلة متشابكة

عين ترامب مارك إسبر وزيرا جديدا للدفاع بالوكالة بدلا عن باتريك شاناهان الذي استقال في يونيو. ومن المقرر أن يدلي مارك إسبر بشهادته في جلسة ستعقد الثلاثاء القادم. وسينتقل وزير البحرية ريتشارد سبنسر إلى دور وزير الدفاع بالوكالة حتى توافق الإدارة على إسبر، ليعود إلى القوات البحرية بعد ذلك.

لم يشهد البنتاغون مثل هذه المرحلة المتشابكة من قبل. لكن، قال جون هامري، الذي شغل منصب مساعد وزير الدفاع في عهد الرئيس بيل كلينتون، إن الأعمال في البنتاغون تعتمد على سياسات وضعها وزراء دفاع سابقون، مما يجعلها غير متأثرة بغياب وزير ما.

وأضاف أن مدى التنسيق مع البيت الأبيض هو الذي يمكن أن يتضرر، حيث يواجه الوزير بالوكالة وزير خارجية مع سلطات أقوى من التي يمتلكها. وأضاف أن الوضع قد يعرقل ابتكار سياسة دفاع جديدة. كما شدد على أن هذه الفترة هي التي ستبرز التأثير الأكبر لفراغ المناصب المهمة.

الفراغ الطويل الذي تعاني منه القيادة مدمر

انتهاك لحرية الصحافة: شرطة لندن تلاحق من ينشر وثائق حكومية مسربة

فتح سياسيون وإعلاميون بريطانيون نيران النقد والغضب على شرطة لندن بعد أن حذّرت الصحافيين ووسائل الإعلام من نشر أي برقيات مسربة بحوزتهم عقب فضيحة دبلوماسية تتعلق بسفير بريطانيا لدى الولايات المتحدة.

ويستون (المملكة المتحدة) - ندّد صحافيون وسياسيون في بريطانيا بانتهاك حرية الصحافة ردا على توجيه الشرطة البريطانية تحذيرا لوسائل الإعلام التي تنشر وثائق سرية، وإعلانها عن بدء تحقيق جنائي في تسريب برقيات دبلوماسية أدت إلى استقالة السفير البريطاني في الولايات المتحدة كيم داروتش.

وحضّ مساعد قائد الشرطة البريطانية نيل باسو، الجمعة، أي شخص يملك وثائق حكومية مسربة من "مالكي وسائل إعلام أو رؤساء تحرير ومحررين في وسائل إعلام تقليدية أو على الإنترنت" على الامتناع عن نشرها وتسليمها للسلطات.

وقال باسو إن "نشر أي وثائق مسربة مع العلم بالضرر الذي تسببت به أو يمكن أن تتسبب به يمكن أن يعد جريمة جنائية"، وذلك في بيان أعلن فيه فتح تحقيق جنائي حول تسريب المذكرات الدبلوماسية التي تتضمن انتقادا للرئيس الأميركي دونالد ترامب، وأدت إلى استقالة السفير البريطاني في واشنطن.

وانتقد بوريس جونسون، المرشح الأوفر حظا لخلافة تيريزا ماي في رئاسة الوزراء، القرار، مشيرا خلال لقاء لناشطين من حزب المحافظين في ويبستون في جنوب شرق إنكلترا، إلى أنه "من غير المعقول تعرض صحف أو وسائل إعلام أخرى تنشر وثائق مماثلة للملاحقة".

ورأى جونسون، وهو صحافي سابق، أن نشر وثائق مماثلة لا يعد "تهديدا للأمن القومي"، وأن ملاحقة صحافيين على هذا الأساس تعتبر "انتهاكا لحرية الصحافة"، فيما شدد منافسه جيريمي هانت في تغريدة على أن المسؤول عن تسريب هذه الوثائق "يجب أن يتحمل مسؤولية أفعاله"، لكنه دافع بحزم عن حق الصحافة في نشرها.

وأعربت شخصيات سياسية أخرى عن التزامها تجاه حرية الصحافة. ودعا النائب المحافظ بوب سيلي، العضو في لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب، الشرطة إلى "إعادة النظر بموقفها"، معتبرا، في مقابلة مع صحيفة ذي تلغراف المحافظة، أن ما تقوم به يشكل "سابقة خطيرة جدا".

ونقلت ذي تلغراف عن وزير الثقافة السابق جون وتينغدايل قوله أيضا إنه ضد ملاحقة الصحافيين، مؤكدا أن "عملهم هو نقل الوقائع، سواء كانت مزعجة أو لا للأشخاص المذكورين فيها". واعتبر وزير المال السابق المحافظ جورج أوزبورن، الذي يتولى حاليا إدارة تحرير صحيفة إيفنينغ ستاندارد، عبر تويتر، أن إعلان الشرطة فتح تحقيق جنائي "خطوة غبية جداً وغير حكيمة". وحض نيل باسو على أن ينأى بنفسه من هذا التحقيق لـ"يحافظ على مصداقيته".

في المقابل، ندد الصحافي السياسي في تايمز تيم شيبمان عبر تويتر ببيان الشرطة واصفا إياه بأنه "مخيف وعبثي وضد الديمقراطية"، فيما أبدى وزير الدفاع السابق مايكل فالون دعمه لموقف الشرطة. وقال لقناة بي.بي.سي إن على الصحافيين أن "يعوا الأضرار الحقيقية التي تتسبب بها أفعالهم والأضرار الأكثر خطورة التي يمكن أن تتسبب بها خروقات أخرى للقانون المتعلق بأسرار الدولة".

وكان داروتش وصف في المذكرات التي نُشرت السبت الماضي الرئيس الأميركي بأنه "مختل" و"غير كفؤ"، موجها أيضا انتقادات قوية لأداء الإدارة الأميركية. وأثارت التسريبات غضب الرئيس الأميركي دونالد ترامب الذي أكد أنّ الولايات المتحدة "لن تجري بعد الآن" اتصالات مع داروتش واصفا الدبلوماسي البريطاني بأنه "غبي جدا". كما طالت انتقادات ترامب رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي التي كانت قد سارعت إلى التعبير عن دعمها لسفيرها.

جورج أوزبورن
#إعلان الشرطة فتح تحقيق جنائي خطوة غبية جدا وغير حكيمة

جيريمي هانت
#المسؤول عن تسريب الوثائق يجب أن يتحمل مسؤولية أفعاله

تيم شيبمان
#بيان الشرطة مخيف وعبثي وضد الديمقراطية

وكتب الدبلوماسي في رسالة استقالته التي وجّهها إلى رئيس السلك الدبلوماسي البريطاني سيمون مكدونالد "منذ تسريب الوثائق الرسمية الصادرة عن هذه السفارة، أطلقت تكهنات حول منصبي ومدة ولايتي كسفير"، موضحا أن "الوضع الحالي يجعل من المتعذر بالنسبة لي أن أواصل القيام بواجبي كما أرغب".

وأعربت ماي عن أسفها لاستقالة داروتش. وأعلنت الأربعاء خلال جلسة المساءلة الأسبوعية في مجلس العموم "من المؤسف جدا أنه اعتبر أن الضرورة تقتضي أن يتنحى كسفير في واشنطن".

وأضافت أن "الحكومة الجيدة تعتمد على قدرة موظفيها على تقديم النصائح الصريحة والكاملة. أريد أن يتمتّع جميع موظفينا بالثقة اللازمة للقيام بذلك". وأثار هذا الإعلان بلبلة في المملكة المتحدة على خلفية انعكاساته السلبية على العمل الدبلوماسي.

ويعد داروتش البالغ 65 عاما من الدبلوماسيين الأكثر خبرة خصوصا أنه يعمل منذ 42 عاما في السلك الدبلوماسي. وكان قد تولّى منصب سفير بريطانيا لدى واشنطن في يناير 2016 قبل فوز ترامب بالرئاسة. وشغل سابقا منصب الممثل الدائم للمملكة المتحدة في بروكسل من العام 2007 حتى العام 2011، ويعتبر من المؤيدين للاتحاد الأوروبي.

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

كيف تتجنب تجنيدك كجاسوس على «لينكد إن»

منصة توفر لوكالات الاستخبارات «عملاء» محترفين بشكل أكبر من منصات التواصل الاجتماعي الأخرى

بيئة خصبة لتجنيد العملاء

واشنطن - منذ عام 2016، تفرض السلطات الروسية حظرا على موقع ""لينكد إن"" لرفضه تخزين بيانات المستخدمين الروس وتسليمها للسلطات، في المقابل، تستفيد موسكو من هذا الموقع في عمليات التجسس وجمع المعلومات وتجنيد العملاء من المملكة المتحدة والولايات المتحدة وغيرهما عبر التواصل مع مستخدمي شبكة التواصل المهنية "لينكد إن".

وتستخدم وكالات الاستخبارات دائما معلومات المصادر المفتوحة لتحديد الأشخاص الذين لديهم إمكانية الوصول إلى البرامج أو المعلومات التي يحاولون جمعها. ويزود الإنترنت هذه الوكالات بالمزيد من المعلومات مفتوحة المصدر؛ وبعض المواقع، مثل "لينكد إن"، مفيد بشكل خاص لاكتشاف الأشخاص الذين لديهم إمكانية الوصول إلى المعلومات أو التقنيات المطلوبة.

سكوت ستيورات

المخابرات الصينية تعد من بين أكثر المستخدمين نشاطا في موقع «لينكد إن» والاستفادة منه كأداة للتجنيد

ومؤخرا، أوقفت إدارة الموقع حسابا لروسية حسناء تدعى كيتي جونز، تبين أنه حساب مزيف وهذه الروسية، التي تبين أنها شخصية وهمية وصورتها ليست حقيقية بل من اختراع برنامج ديب فايك، للإيقاع بمشتركين من دوائر المسؤولين الأميركيين والبريطانيين.

ويلفت سكوت ستيوارت، الخبير في التجسس الإلكتروني، في مركز ستراتفور للأبحاث الأمنية والاستراتيجية، إلى أنه من خلال فهم كيفية استخدام وكالات الاستخبارات لهذا الموقع ومنصات وسائل التواصل الاجتماعي الأخرى، فإنه يمكن اتخاذ خطوات لتجنب التهديد أو تخفيفه.

خلايا صينية نشطة

إلى جانب روسيا، تستخدم الصين، نفس الأسلوب على موقع "لينكد إن" لتجنيد عملاء أميركيين ومحاولة الحصول على معلومات وأسرار حكومية وتجارية. وتستهدف الصين الخبراء في مجالات مثل الحوسبة الفائقة والطاقة النووية وتكنولوجيا النانو وأشباه الموصلات وتقنيات التخفي والرعاية الصحية والبذور والطاقة الخضراء.

ويقول مسؤولون أميركيون إن الصين تشكل "التهديد الأكبر" في ما يتعلق بعمليات التجنيد على وسائل التواصل الاجتماعي مثل "لينكد إن". ويشير سكوت ستيوارت إلى أن عدد الحالات المبلغ عنها والمنسوبة إلى الصينيين، بما في ذلك حالات ضباط المخابرات السابقين مثل كيفن مالوري، وهو دبلوماسي أميركي متهم بالتجسس لصالح الصين، وقضايا التجسس للشركات، تشير إلى أن أجهزة المخابرات الصينية هي من بين أكثر المستخدمين نشاطا على موقع "لينكد إن" وتستخدمه كأداة توظيف.

مع ذلك، لا تقتصر هذه الظاهرة على عمليات الاستخبارات الصينية ولا تقتصر حتى على منصات التواصل الاجتماعي الخاصة. ولكن تستخدم جميع وكالات الاستخبارات طرقا مماثلة، كما أوضحت شركة ديلويت، وهي أكبر شركة خدمات مهنية في العالم، بشأن الاختراق المرتبط بإيران الذي حدث واستُخدم فيه "لينكد إن" لكسب ثقة موظف.

وهذا يصعّب من عملية تجنب التهديد، سواء على "لينكد إن" أو على أي منصة أخرى، وفق ستيورات، الذي يرى أن مواجهة التهديد القادم عبر لينكد تتطلب فهما لكيفية استخدام أجهزة الاستخبارات له في عمليات التوظيف. ويمكن تحقيق ذلك من خلال عرض المنصة عبر عدسة دورة توظيف العنصر البشري للاستخبارات.

عملية التوظيف

يشرح سكوت ستيوارت كيف تستخدم وكالات الاستخبارات موقع "لينكد إن"، مشيرا إلى أن عملية التوظيف تتكون من ثلاث مراحل أساسية: الاكتشاف والتطوير والتقاط الهدف. ويمكن تقسيم كل منها إلى خطوات أصغر. ويمكن أن يكون هناك قدر كبير من التباين في العملية حسب الهدف والظروف.

في مرحلة الاكتشاف، يقوم ضباط المخابرات بإدراج الأشخاص الذين لديهم إمكانية الوصول إلى المعلومات المطلوبة على قائمة الأهداف وترتيبهم وفقا لفرص استخراجها.

وقبل ظهور الإنترنت، كان ضباط المخابرات الذين يريدون استهداف شخص ما، في الفريق «أ» على سبيل المثال والتابع لشركة معينة تعمل في مجال التكنولوجيا «ب» أو لديه إمكانية النفاذ إلى البرنامج «ج»، يضطرون إلى القيام ببعض الأعمال الخطيرة. قد تتضمن الخطوات الحصول على قوائم موظفي الشركة أو استخدام بعض الوسائل الأخرى للحصول على أسماء الأشخاص الذين يعملون في مشروع معين في شركة معينة. وفي بعض الحالات، ربما اضطروا إلى تعيين وكيل لهم يستطيع دخول الشركة للمساعدة. وقد يستغرق كل هذا بعض الوقت والجهد، وإذا لم يتم إنجازه بشكل ماهر، فقد يثير الشكوك في الشركة المستهدفة.

ولكن في عالم وسائل التواصل الاجتماعي، يمكن لمسؤولي المخابرات استخدام "لينكد إن" للحصول على قوائم الموظفين في شركة أو وكالة معينة في غضون ثوان. وفي العديد من الحالات، يكتب الموظفون المشاريع أو التقنيات المحددة التي يعملون عليها، حتى أن بعضهم يقدم مستويات الأمان الخاصة بهم.

وعلى الرغم من أن أدوات وسائل التواصل الاجتماعي ليست مضمونة لضباط المخابرات لإنشاء قائمة شاملة للجميع ممن لديهم إمكانية الوصول إلى برنامج أو تقنية، إلا أنه يمكنهم بسهولة بدء هذه العملية. وبالبحث عن زملاء العمل للأشخاص المحددين في البحث الأولي، قد يتمكن ضباط المخابرات من إضافة أشخاص لم يكونوا صريحين في ملفاتهم الشخصية على "لينكد إن" إلى قائمة الأهداف المحتملة.

وبمجرد قيام ضابط المخابرات بتجميع قائمة بالأهداف المحتملة، ستكون الخطوة التالية هي تحديد أفضل احتمالات التوظيف، وما هي الطريقة التي ستعمل بشكل أفضل للفوز بهم. هنا، أيضا، يمكن أن يكون "لينكد إن" مفيدا.

وعلى الرغم من أن الخدمة موجهة نحو المحترفين، ومنظمة بشكل أكبر من منصات التواصل الاجتماعي الأخرى مثل فيسبوك أو إنستغرام، يشارك أعضاؤها عادة معلومات كافية لتقديم أدلة حول طريقة توظيف هذا الشخص.

على سبيل المثال، أولئك الذين يجاملون باستمرار الأشخاص الجذابين قد يكونون مؤهلين لممارسة تنطوي على الإغراء. وبطريقة مماثلة، يمكن أن يكون أولئك الذين يعانون من البطالة هدفا للإغراءات المالية. أو هؤلاء الذين يبدون غير راضين عن وظائفهم، يمكن توظيفهم بدافع الغل والحقد. وأولئك الذين يطلبون الإطراء على الموقع، قد يستجيبون لبعض المديح لشخصياتهم.

تسهل هذه المعلومات الوصول إلى الأهداف المحتملة وإقامة اتصال معها. وإجراء هذه العمليات إلكترونيا يسمح حتى لموظف واحد بتطوير اتصالات مع أهداف متعددة قبل التركيز بشكل أكثر على القلة التي تبدو أكثر تقبلا، وبالتالي زيادة احتمالات النجاح.

ويمكن أن تتطور مرحلة التطوير في عملية التوظيف بشكل مختلف اعتمادا على الهدف النهائي. سيتم تطوير نوع من عمليات التصيد مثل تلك المستخدمة في حالة شركة ديلويت، بشكل مختلف عن العملية التي تتضمن محاولة للقاء وتجنيد المصدر شخصيا. ولكن في كلتا الحالتين، فإن الهدف النهائي لمرحلة التطوير هو إقامة علاقة وبناء درجة من الثقة حتى يمكن الوصول إلى الهدف الاستخباراتي.

وفي ما يتعلق بـ"لينكد إن"، لاحظ سكوت ستيورات العديد من الحالات التي تقوم فيها وكالات الاستخبارات مثل الصين بتطوير علاقة مع هدف من خلال الظهور كمركز أبحاث أو جامعة. وباستخدام هذا المظهر، تدفع الوكالة الهدف إلى كتابة ورقة حول موضوع غير ضار إلى حد ما، ثم تدعوه إلى رحلة مدفوعة التكاليف إلى الصين لعرضه.

وبمجرد وصول "العميل" إلى الصين، سيتم تقييم الأهداف بشكل أكثر تدقيقا، وتتطور العلاقة بشكل أكبر بهدف إنشاء درجة توظيف نهائية. وفي بعض الحالات، ستستخدم وكالة الاستخبارات وثائق (مثل مقاطع الفيديو) للمعاملات السابقة بين ضابط الاستخبارات والهدف كشكل من أشكال الإكراه، إذا لزم الأمر.

التعامل مع التهديد

بمجرد تعيين الهدف رسميا، يمكن الضغط عليه لتوفير معلومات أكثر حساسية. وعلى الرغم من ذكر الصين هنا على وجه التحديد، إلا أن جميع وكالات الاستخبارات تستخدم نفس دورة التوظيف الأساسية هذه، كما تفعل الجهات الفاعلة في مجال المخابرات.

يقول ستيوارت إن هناك طريقتان أساسيتان للتعامل مع التهديد. إحداهما هي تجنب المخاطر والأخرى هي تخفيفها. حيث على الرغم من أن تجنب المخاطر هو المسار الأكثر أمانا بشكل عام، إلا أنه في هذه الحالة، يعني ببساطة عدم استخدام "لينكد إن" أو وسائل التواصل الاجتماعي الأخرى. وهذه ليست دائما النتيجة المرغوبة للشركات التي تشجع موظفيها على استغلال تواجدهم على وسائل التواصل الاجتماعي للترويج للشركة وعملها.

وكما هو الحال مع أي تهديد، فإن الخطوة الأولى للحد من إمكانية التوظيف عبر "لينكد إن" هي ببساطة إدراك وجود هذا الاحتمال. يجب أن يساعد هذا الوعي المستخدمين على إدراك أن التقدير أمر مهم عند النظر في المعلومات التي ينشرونها على "لينكد إن" أو على أي منصة أخرى، لهذه المسألة. ويجب على المستخدمين التفكير في كيفية ظهور ما ينشرونه إلى ضباط المخابرات، وكيف يمكن استخدامه ضدهم.

كما أن القليل من ضبط النفس يمكن أن يقطع شوطا طويلا نحو الحد من اجتذاب الأشخاص كأهداف. حيث إذا كان شخص ما يعمل في مشروع حساس أو تقنية يحتمل أن تهم ممثلا معاديا، فإن الحكمة تملي الامتناع عن نشر هذه المعلومات في منتدى عام. فنشر تفاصيل المشاريع الحساسة ليراها العالم بأسره أمر غير حكيم، نظرا لخطر لفت انتباه ضباط المخابرات لها.

أما الخطوة الثانية فهي تحث المستخدم على أن يظل متشككا في أي طلب صداقة يرسله له الغرباء. بل وتزداد نسبة الشك إذا كان الشخص الغريب لديه صورة ملف شخصي جذابة أو رومانسية. يُنصح أيضا بمراجعة ملفات تعريف الأصدقاء أو زملاء العمل الذين يطلبون الاتصال بعناية للتأكد من أنهم الأشخاص الحقيقيون وليسوا المحتالين.

وإذا كان الشخص الذي يقبله المستخدم كاتصال يبدأ في إرسال الرسائل إليه بطريقة تبدو ثرثارة للغاية، أو تتضمن الكثير من الإطراء لشخصيته، يجب أن تزداد شكوكه أكثر. يجب أن يراقب بعناية العلامات التي قد تشير إلى أن المتصل به يحاول بناء الثقة وتطوير علاقة معه كموظف محتمل.

يمكن أن تشمل العلامات الأخرى لمحاولة التوظيف المحتملة عروضا لكتابة ورقة أو للسفر مجانا لحضور مؤتمر. يجب أن يكون المستخدم متشككا بشأن عروض توظيف مقدمة له بشأن وظيفة لم يتقدم لها، وهو تكتيك يستخدمه كثيرا ضباط المخابرات والمجرمون العاديون على حد سواء.

ويؤكّد ستيورات أنه على مستخدمي "لينكد إن" أن يتذكروا أيضا أنه بدلا من محاولة التوظيف، قد يحاول ضابط المخابرات ببساطة خداع مستخدم لفتح البرامج الضارة. ونظرا لتهديد التصيد العشوائي، يجب على المستخدمين توخي الحذر الشديد عندما يرسل الأشخاص الذين لا يعرفونهم جيدا مرفقات أو روابط بريد إلكتروني.

يمكن لمسؤولي المخابرات استخدام «لينكد إن» للحصول على قوائم الموظفين في شركة أو وكالة معينة في غضون ثوان

وحتى إذا كان المرفق من مصدر موثوق، على المستخدم أن يكون حذرا إذا لم يكن يتوقعه أو إذا لم يكن هناك شيء صحيح. قبل الفتح أو النقر، من الجيد أن يتصل صاحب الحساب بالمرسل لتأكيد إرساله. ويلفت ستيورات إلى أن المتسللين يتحكمون في حسابات "لينكد إن" المحمية بكلمات مرور ضعيفة، ويستخدمونها لإرسال هجمات تستهدف جهات اتصال ضحية القرصنة غير المشكوك فيها.

ويختم سكوت ستيورات نصائحه لمستخدمي "لينكد إن"، وغيره من المنصات الإلكترونية، لتفادي تجنيدهم كجواسيس، قائلا "إذا كنت تشك في أن شخصا ما يحاول تجنيدك، فأنصحك بتعليق كل الاتصالات ثم الإبلاغ عن النهج المشتبه به إلى جهة الاتصال الأمنية الخاصة بالشركات أو الحكومة. وعلى الرغم من أنك رصدت محاولة التوظيف، فقد لا تكون الهدف الوحيد، وزملاؤك في العمل قد لا يكونون أذكياء مثلك. وقد يؤدي الإبلاغ عن هذه المحاولات إلى جعل الآخرين في مؤسستك على دراية بالمخاطر المستمرة".

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

أم الحضارات وأرض الكنوز المنهوبة

بابل

اعتراف متأخر من اليونسكو بمهد الشرائع

زيد بن رفاعة

مُلئت المتاحف الأوروبية بآثار بابل، حُملت منها بوابة عشتار إلى برلين، ونُقلت شريعة حمورابي إلى باريس، بعد أن وجدت في فارس الإيرانية، منقولة بالأصل من بابل. وضم متحف لندن العريق فَخاريات وتماثيل المعابد من بابل أيضا، ناهيك عن بقية آثار العراق، فأرض هذه البلاد مناجم للآثار مثلما هي مناجم للنفط.

لكن مع ذلك ظل طلب إلحاق منطقة بابل الأثري كواحد من التراث العالمي المحمي دوليًا معطّلا في اليونسكو، منذ 1983 حتى الأسبوع الأول من هذا الشهر، فصدر القرار عن طريق التصويت في لجنة التُراث العالمي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو"، وجاء النبأ من باكو عاصمة أذربيجان، حيث اجتماع المنظمة.

نداء الأب أنستاس الكرملي بالحفاظ على بابل ما يزال يتردد. وهو الذي كتب مرة «إن الأبنية نفسها، التي كانت قائمة على أديم الأرض، هدمت منذ عهد عهيد، ليستخرج منها الآجر، فاستخرج منها شيء لا يتصوره العاقل لكثرته، وبنيت به أبنية ليتها لم تبن ولم تكن»

إنها مساحة لا تتجاوز الكيلومترات العشرة، هذا كل ما بقي من بابل التي حكم ملوكها شرقا وغربا، وجاء في نقاش ممثل العراق لدى لجنة اليونسكو "ما هي لائحة التراث العالمي من دون بابل؟ كيف سنخبر تاريخ الإنسانية من دون أول فصولها، بابل؟".

لجنة اليونسكو من جهتها، تعرف جيّدا، وقد أشارت إلى أن تلك المساحة الصغيرة والعريقة في التاريخ في "حالة محفوفة بالمخاطر وبحاجة ماسة إلى الحفاظ عليها ومنعها من الانهيار". الجميع يعرف أنه إذا ظلت المنطقة الأثرية من بابل بلا حماية دولية فسينتهي وجودها وتبقى في الكُتب فقط. فكم من حروب مرت عليها، وسرقات جرت على قدم وساق، وهذه الحاضرة الشاسعة لم يبق منها سوى ما حفزته التربة، بينما للبشرية، وليس العراق فقط، الحق في الاحتفاء بإرث بابل.

خلف بوابات عشتار

قبل سنوات احتفى المتحف البريطاني بإرث بابل عبر استضافته للمكنونات العراقية القديمة بمتحف برلين، من بوابة عشتار "الأصلية". وعلى الرغم من الزمن السحيق ما زالت ألوان أحجار البوابة زاهية، ومن الحق أن يقول المتمعن فيها: بأي مادة سرمدية طلا مفرداتها الفنان البابلي، وكيف شكلها هذه التشكيلة العجيبة، ليعطيها قوة البقاء عبر الدهور الدهيرة؟ كذلك شغل ضريح الملك نبوخذ نصر، حيث بابل، غرفة كبيرة تحت الأرض، ويبدو المكان مثل مزار مقدس. هاجس الزائر وهو يطوف حول الضريح الحجري معرفة ما بداخله، فأين جسد الملك ومجوهراته المدفونة معه، كما ورد في الألواح؟ عمومًا لم يبق من الإنسان البابلي، الذي صال وجال وشيد تلك الحضارة العظيمة، غير جثمان متفحم لصبي ما زال محتفظا بهيئته الخارجية، معروضا داخل صندوق زجاجي. أما عن كنوز بابل الذهبية فيؤكد أهل المدينة أنهم يعثرون بين فترة وأخرى على ضريح مفتوح، فيه عظام وجماجم، تركها السراق بعد أن نهبوا ما فيها من المعدن النفيس والحجر الكريم.

أشارت الروايات التاريخية إلى العبث بالإرث البابلي وذلك ببناء مدينة واسط من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم شيد، بعده، الخليفة أبو جعفر المنصور المتوفى بأحجارها وبوابات واسط نفسها مقرّه الذي عُرف ببغداد المدورة، ومن قبل ذلك أقيم طاق كسرى بأحجار قصور بابل، ومن بعد بنيت بيوت الحليين، يوم أسست مدينة الحلة من قبل المزيديين، لتكون عازلًا يحمي بغداد عاصمة العباسيين من غزوات القبائل البدوية، كقبيلة خفاجة آنذاك، فأكثر البناء القديم لبيوت الحلة كانت جدران بابل مادته، ولكن من أين للسُكان أن يعرفوا أن الحجرة الواحدة لا تقدر بثمن؟ وربّما عن جهل ضاعت تلك الأحجار في مرافق البيوت الصحية، وظل الهدم جاريا من تلك التلول، لا بحثا عن الآثار إنما عن الأحجار، حتى تحولت خرائب تلك القصور والمعابد إلى مقالع للأحجار، وحُملت إلى الأماكن المراد إعمارها.

بلاد الدمار

لعلّ ما شاع عن بابل، من أنها بلاد الشر والكفر والدمار، أثر على موقعها وحصانتها، بينما رُفعت مدن حولها إلى درجة التقديس، وظلت هي مكانا للشياطين، حسب التراث الديني المروي عنها. فقد ورد اسمها في الكتاب المقدس "التّوراة" أكثر من مئتي مرة، وجاء اسمها من "باب أيلو" من اللّغة الأكدية ومعناها "باب الله". وأول تلك النّصوص ما ورد عن نشأتها على يد الملك النّمرود "وكان صيادًا جبارًا أمام الرّبّ... أول مملكته بابل وأرك (أوروك) وأكد".

أما في القرآن الكريم فقد ورد ذكرها مرة واحدة، مرة عابرة للتمثيل والاستشهاد، كمكان للسحر والشياطين "وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ". فلم تذكر بابل في الكتب المقدسة إلا للتحذير من شرور أو جبابرة أو شياطين. ظل اسمها يتداول، بهذا المعنى، في الشعر العربي مرتبطا بالسّحر والخمر، والأمثلة على ذلك كثيرة، ويكفي منها ما قاله أبو الطّيب المتنبي، وأبو العلاء المعري.

قال المتنبي رابطا السّحر بابل "ما نالَ أهلُ الجاهليّةِ كلُّهم/ شِعري ولا سمعت بسحْري بابلُ"، وقال المعري رابطا صناعة الخمر ببابل "البابليّة باب كلِ بليّة/ فتوقّيْ هُجوم ذاك البابِ".

إلا أن بابل المذمومة ذكرها ماني بن فاتك الذي عاش وأعدم بالمدائن في القرن الثّالث الميلادي، وصاحب الدّيانة "المانوية" على أنها دار الإمامة، أو دار الرّئاسة "لا يجوز أن يكون الرّياسة إلا في وسط المُلك ببابل". وقيل من تقاليد هذه الدّيانة "ترك أذية الماء والنّضار والشّجر والنّبات".

لم يكن الإطناب عند "باب الله" هذا إلا لغرض ربط ما تناولته به الكتب المقدسة، بحدود حكايات وتصورات واعتقادات، ثم ما أتى به الشّعراء. وقد أصبحت بابل خرائب، بما اتخذ من ذريعة لهدم التّجاور الدّيني، الممتد إلى عهد بابل نفسها، حيث صدرت فتوى قتل جماعية ضد الصّابئة المندائيين، وهم القاطنون على ضفاف أنهر العراق وأهواره منذ القدم، وربما كانت ديانتهم ذات صلة بأجواء بابل نفسها.

بابل في الذاكرة الشعبية

كذلك تجد لبابل في التّقليد الشّيعي مكانةً فيها شيء من التّقديس، وليس أرض سحرة وخمارين فحسب، وهو أن الشّمس ردت على علي بن أبي طالب ببابل، وربما كان ذلك مكان معبد الشّمس المشهور لدى أهل بابل القدماء. كذلك ذمت كثيرا في كتب الحديث الشيعية.

كل هذا يدل على الانقطاع بل والاغتراب بين بابل وما عقبها، وما إن اكتشف ما بين تلك الخرائب من فن راق وعلم متقدم حتى سار "على نهر دجلة الكثير من السفن والأكلال المسروقة بالمنحوتات" إلى المتاحف الأوروبية. ومن تلك الآثار ما حمله الألمان من آثار إلى متحف "بيرغامون" في برلين، بعناية فائقة. حملت أحجار البوابة مرقمة على هيئة وجودها في شارع الموكب البابلي الشهير. ومن الغرابة بمكان أن يكون الأصل في برلين ونسخته في بابل. لكن، بعد سرقة المتحف العراقي وتحطيم محتوياته قال يومها الكثيرون "ليت تلك الآثار تحولت إلى المتاحف الأوروبية كافة".

لا شك أن أور وبابل ونينوى والحضر ولكش وسواها لم تكن محصورة بمناجمها الآثارية؛ إنما كانت مدنا في طول الأرض وعرضها، فأين ذهب بناؤها وأين اختفت أحجارها؟ ويأتيك الجواب من الأب أنستاس الكرملي "تنبيه عام، أجل إن الأبنية نفسها، التي كانت قائمة على أديم الأرض، هدمت منذ عهد عهيد، ليستخرج منها الآجر، فاستخرج منها شيء لا يتصوره العاقل لكثرته، وبنيت به أبنية ليتها لم تبن ولم تكن".

تضعك احتفالية المتحف البريطاني الفخمة بالإرث العراقي، المشار إليها سلفا، أمام مفارقة حادة بين ماضي العراق السحيق وحاضره: هل هناك انقطاع تام بين جيل مخترعي الكتابة والعجلة وفناني بوابة عشتار وبين الأجيال اللاحقة حتى الجيل الحاضر؟ وهل أُفرغ العراق من أولئك البشر صناع تلك الحضارة، التي ينحني الغرب لبقاياها؟ وهل أن صلة النسب بين الغابرين والحاضرين، التي نتحدث عنها ونفخر بها، مجرد خُرافة وادّعاء؟

دستور حالم

كم تبدو ديباجة الدستور العراقي "نسخة العام 2005" حالمة ومنقطعة عن زمنها وهي ترى التواصل لا الانقطاع بين ما يُحتفل به من أثر، على أنه مهد الحضارة، والأيدي التي كتبت واستفتت بما نصه "نحنُ أبناء وادي الرافدين موطن الأنبياء ومثوى الأئمة الأطهار ورواد الحضارة، وصناع الكتابة، ومهد الترقيم. على أرضنا سنّ أولُ قانونٍ وضعه الإنسان، وفي وطننا خُطّ أعرقُ عهدٍ عادلٍ لسياسة الأوطان".

نعم، كل هذا تشهد به تلك الآثار وتصرخ به الأرض كلما استفزتها تراجعات الأزمنة الفظيعة، لكن ماذا عن العراقي الحاضر وتفاعله مع إرثه الحضاري؟ أرجو ألا تكون مقالة التواصل مجرد ترميم معنوي لما تكسر من النفوس وتراجع من العقول، فالفجوة، كما تبدو، كبيرة ومخيفة بين تلك الحضارة ومعطيات ما تلاها، والأسباب لا تعد ولا تحصى.

مساحة لا تتجاوز الكيلومترات العشرة، هي كل ما بقي من بابل التي حكم ملوكها شرقا وغربًا، بابل التي قال عنها ممثل العراق لدى لجنة اليونسكو «ما هي لائحة التراث العالمي من دون بابل؟ كيف سنخبر تاريخ الإنسانية من دون أول فصولها، بابل؟»

يقول عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب "الحيوان" عن ضياع آثار كثيرة ذات عمران راق "لأن من شأن الملوك أن يطمسوا على أثار من قبلهم، وأن يميتوا ذكر أعدائهم، فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن وأكثر الحصون، كذلك كانوا أيام العجم وأيّام الجاهلية، وعلى ذلك هم في أيّام الإسلام، كما هدم عثمان صومعة غمدان، وكما هدم الحصون التي كانت بالمدينة، وكما هدم زياد كل قصر لابن عامر، كما هدم أصحابنا (العباسيون) بناء مدن الشامات لبني مروان".

وذات يوم، كانت لساطع الحصري جهود طيبة في حماية آثار العراق، ويذكر أن السفير البريطاني وجه رسالة إلى وزارة الخارجية العراقية محتجًا على تعيينه مديرا للآثار، بذريعة أن الحصري ليس مختصا في الآثار، مما يؤدي إلى صعوبات عند التعامل مع بعثات التنقيب. فاضطرت الحكومة العراقية، ممثلة بوزير خارجيتها نوري السعيد، إلى طمأنة السفير. وما أزعج الحصري أن الحكومة ألزمته بمشاورة "يوردان"، والأخذ بمشورته، فوجّه رسالة إلى الحكومة يؤكد فيها أن الاستشارة متعددة، وهي ليست حكرا على يوردان.

تقسم الآثار المستكشفة، حسب قانون العام 1924، مناصفة بين البعثة المنقبة ودائرة الآثار، هذا بالنسبة إلى الآثار المكررة، أما الآثار الفريدة فيجري تقسيمها بالقرعة، وحسب الحصري هناك ما تأخذه بعثات التنقيب من حصة العراق بحجة صيانتها، ومعالجتها معالجة خاصة، وبالتالي تذهب إلى المتاحف الغربية دون عودة. أما قوانين الآثار اللاحقة فأخذت تضمن حق العراق في آثاره. وأهم ما تحقق وفقا لتلك القوانين حرية دائرة الآثار في تعيين المراقبين، وفرض شروط إضافية على بعثات التنقيب، حتى أن عددها تنازل من إحدى عشرة بعثة إلى سبع بعثات.

لم تقتصر جهود الحصري على حماية الآثار المنقولة، وإنما بذل كل ما في وسعه لصد موجة إزالة المعالم الأثرية أو تحديث أبنيتها، بنظرة متعالية على الإرث الحضاري، جاء في مذكراته "عندما فكر أرشد العمري في إنشاء بهو الأمانة (أمانة العاصمة) خارج سور القلعة أخذ يهدم البرج القائم في نهاية السور من جهة الشط، فتدخلت المديرية (مديرية الآثار) في الأمر وأوقفت أعمال الهدم".

فرهود جديد

وبعد إفراغ المتحف العراقي من متعلقات تاريخ الرافدين يبقى الأمل في ما سيستخرج من تلك المواقع، ومما اكتشف من مواقع جديدة بعدها، لكن العبرة في حمايتها من فرهود قادم، إن كُتب للعراق أن يمتلك متحفا آخر يتناسب مع ثروته الأثرية الهائلة. وقبل قيام الدولة العراقية، أي خلال العهد العثماني، كانت سرقات الآثار تجري على قدم وساق، ففي أواسط القرن التاسع عشر حملت السفن أنفس الآثار العراقية إلى المتاحف البريطانية والفرنسية والأميركية، والبعثة التي تحصل على فرمان سلطاني بالتنقيب تحمل ما تشاء من الآثار، دون رقيب. قال سيتون لويد، المستشار الفني لمديرية الآثار العامة، في مقال نشرته مجلة "سومر" إنه خلال تلك المدة "سار على نهر دجلة الكثير من السفن والأكلاك الموسوقة بالمنحوتات الآشورية، المرسلة إلى المتاحف الرئيسية في أوروبا والعالم الجديد، والمستندات التاريخية التي لا تُثمن، تلك التي حلّ رموزها علماء الغرب".

غير أن مَن يطلع على كتاب "لُغز عشتار" لفراس السواح سيعلم أن بابل موجودة في عبادات الشعوب كافة، ويوم كانت الكنيسة الرئيسية للمانوية، احتقرت من قِبل ديانات عاشت حولها، والسّر والقصد هو إلغاء الماضي ليبدأ الجديد وكأنه جاء بلا صلة بذلك الإرث.

كان خبر اعتبار منطقة بابل الأثرية جزءا من التراث العالمي خطوة عظيمة، مع تأخرها، لكن هل هناك مَن يُنفذ شروط اليونسكو، كي يبقى القرار نافذا، أم أن الأمر سيكون مثلما كان مع الأهوار، بقي حبرا على ورق، لا قيمة له؟

● الروايات التاريخية تحكي الكثير عن العبث بالإرث البابلي وذلك ببناء مدينة واسط على يد الحجاج وتشييد الخليفة المنصور لبغداد المدورة بأحجارها، ومن قبلهما أقيم طاق كسرى بأحجار قصور بابل.

● اعتبار منطقة بابل الأثرية جزءا من التراث العالمي يعد خطوة عظيمة، مع تأخرها، لكن هل هناك مَن يُنفذ شروط اليونسكو، أم أن حالها سيكون كحال الأهوار؟

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

ذوق قادم من الستينات يغيّر مفهوم العالم عن التسوق

آرثر ريان

الأب الروحي لبرايمارك الذي سيطر على الأسواق

فادي بعاج
كاتب سوري

يعتبر خبراء التسويق حول العالم أن فيليب كوتلر هو رائد ما يسمونه بـ"علم التسويق" بلا منازع، وهو الذي برع في حقل التسويق لشركات كبيرة مثل "آي.بي.أم" و"جنرال إلكتريك" وشركات أخرى عملاقة غيرها. كوتلر ابتكر 80 قانونا تسويقيا اشترط على من يطمح إلى أن يرغب في تسويق بضائعه أن يكون متمكنا منها. ما لاحظه كوتلر هو أن نسب النمو السنوية المتوقعة من قبل المتنافسين تزيد عن نسبة نمو السوق الفعلية، وإذا وضعت كل شركة نسبة نمو مأمولة في مبيعاتها تصل إلى 10 بالمئة في الوقت الذي لا تصل فيه النسبة الفعلية لنمو السوق إلا إلى 3 بالمئة فإن ما يحدث فعليا هو زيادة فائضة وكساد وخسائر. ولذلك فقد استنتج كوتلر أن "المشكلة التي تواجه قطاع الأعمال اليوم ليست نقص البضائع بل نقص المستهلكين، فمعظم صناعات اليوم يمكنها توفير بضائع تزيد عن قدرة المستهلكين على الشراء".

البيع والشراء في العالم الجديد يدفعان الشركات إلى التواجد في أي مكان لا تستطيع أن تكون فيه على أرض الواقع، ودرس «برايمارك» أنها كانت متعاونة جدا مع مختلف الأسواق الإلكترونية، بالإضافة إلى موقعها الإلكتروني التسويقي في الكثير من الدول، وعلى رأسها الولايات المتحدة

لكن الرجل الذي رحل عن عالمنا قبل أيام، تفوق على كوتلر. لم يكن من محبي الأضواء، بل إنه ابتعد طوال حياته عن الإعلام، فضّل صبّ جهوده كلها على تطوير مشروعه. عمل لسنوات في التجارة قبل افتتاحه أول محلاته، ومنها اكتشف أن أصحاب المشاريع التي تكون على تماس مباشر مع المستهلك، هم من يحققون الربح المادي الأكبر، لذلك أحب التجربة التي قامت على المجازفة. إنه آرثر ريان الأب الروحي للعلامة التجارية المثيرة للجدل "برايمارك". وكما حافظ على ذوقه وطرازه القادم من ستينات القرن العشرين حتى حين أصبح شهيرا، لم يبتعد ريان في بداياته عن مكان عمله في العاصمة الأيرلندية دبلن. افتتح فيها أول متجر للملابس وأشرف عليه شخصيا، وأطلق عليه حينها اسم "بينيز"، وما لبث متجره هذا أن اكتظ بالزبائن، هذا النجاح شجع ريان على التوسع وافتتاح ثلاثة فروع أخرى بأيرلندا في غضون عام واحد فقط.

برايمارك فكرة

منذ تلك اللحظة وحتى وفاته، عمل ريان على أن تصبح "برايمارك" أكبر سلسلة تجارة تجزئة للملابس في العالم. وحسب آخر الإحصاءات، فإن الشركة التي افتتح ريان أول متجر لها منذ قرابة 50 عاما، انتشرت فروعها وتوسعت حتى وصل عددها إلى 350 في 11 دولة، ويشتغل فيها أكثر من 75 ألف شخص.

طموح ريان الكبير لم يتوقف عند حدود وطنه أيرلندا، اتجه نحو أوروبا وصوب أسواق لم تكن لديه أيّ خبرة فيها، لكن بدراسته الاقتصادية المسبقة لأي مكان ينوي الافتتاح فيه، وبحثه المستمر عن أذواق السكان ورواد المنطقة، تمكن من النجاح أينما حلّ. لكنه لم ينتبه إلى أمر هام واجهه في بداياته، حين منعته الشركة الأميركية "بينيي جي.سي"، من استخدام اسم "بينيز" الذي ابتدأ معه مشوار النجاح، حينها كان لا بدّ لريان من خلق فكرة جديدة واسم جديد. إنه "برايمارك".

البداية الرسمية لـ"برايمارك" كانت من مدينة مانشستر، حين قرر ريان أن يفاجئ السوق الإنكليزية، فأبهر الجميع بحجم متجره الذي وصلت مساحته إلى 14400 متر مربع على ارتفاع ثلاثة طوابق. بعده توسعت الشركة بسرعة كبيرة في بريطانيا، وأخذت تنتشر في كل مدينة. فاستطاع ريان شراء جميع المحلات التي كانت تمتلكها شركة "الغابة الصغيرة" بمبلغ قدره 409 ملايين جنيه إسترليني، وحولها جميعها إلى فروع له، حتى أن البعض ظن أن "برايمارك" إنكليزية المنشأ، بسبب كثرة المتاجر المنتشرة بأنحاء البلاد.

بعد بريطانيا كانت إسبانيا هي هدف ريان في الانتشار أكثر وأكثر، كان ذكيا جدا وحريصا في نفس الوقت، يضع الخطة بتأن وينتظر لتنجح حتى ينتقل إلى ما بعدها، وبعد نجاحه الكبير في كل المدن البريطانية، انتقل إلى مدريد لتأسيس أول فرع له في العام 2006، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن وصل عدد فروع "برايمارك" إلى 40 متجرا في إسبانيا وحدها. الوجهة بعد إسبانيا بالنسبة لريان لم تكن محددة، بل انطلق إلى عدة دول في وقت واحد، استفاد كثيرا من الشهرة التي نالتها شركته، واتجه إلى كل من بلجيكا وهولندا والبرتغال وألمانيا، وأنشأ المتاجر فيها، و بدأت "برايمارك" تنافس السوق الأوروبية كلها.

وفي تلك الجغرافيا الشاسعة صمد ريان أمام الحروب الممنهجة التي شُنت ضده من كبرى الشركات الرائدة في صناعة الملابس، كيف ولا وهو الذي ابتكر فكرة تسويقية مبدأها "حرق الأسعار"؟

اسم يثير الفزع

اقتصاد اليوم يقوم على الزبائن والمستهلكين بالدرجة الأولى، ولذلك بات من الضروري أن تعدّل الشركات من استراتيجياتها، وبدلا من الانكباب على جودة المنتج، يجب الالتفات إلى كسب الزبون. وإذا لم تهتم به، فسيفعل غيرك ذلك ويأخذه منك.

ومن هذا المبدأ، ولأنها تهتم بالمستهلك إلى درجة كبيرة، أصبح وجود "برايمارك" في أي سوق يسبب الفزع لأصحاب المحلات المجاورة وقد يجعلها في بعض الأحيان تلتجئ إلى إقفال أبوابها، لأن الزبون تسرقه الأسعار الرخيصة في المرتبة الأولى، والتنوع أيضا في البضائع، فهو يجد في "برايمارك" ما يلبسه في المنزل وخارجه، ولكافة المناسبات.

"برايمارك" تقدم مجموعات متنوعة من المنتجات، مثل ملابس الأطفال حديثي الولادة، واليافعين والملابس النسائية وملابس الرجال لكل الأعمار، وتختص أيضاً ببيع الإكسسوارات والأحذية ومستحضرات التجميل، ولذلك صار يمكن القول إن "برايمارك" تحتضن الأسرة بكل أفرادها وتقدم لها كل ما تحتاجه من كساء.

التسويق الجديد

لقد وضع ريان خطة تسويقية منذ البداية ولم يتزحزح عنها، فهي قائمة على التنوع في السلع، والرابط بينها دائما هو السعر المنخفض. لم يذهب أبدا إلى شركات الإعلان للتعريف باسم شركته وفروعها الكثيرة، فقد اعتمد على أحاديث الناس عما يقدّمه، لذلك فهي لا تحظى بشهرة عالمية مثل بقية شركات الملابس التي تضع في أولوياتها الإعلانات بمختلف أنواعها، والاعتماد على نجوم الغناء والسينما لتسويق منتجاتها.

طرحت "برايمارك" سلعها عبر عروض لا تقاوم، تجعل من الشخص الذي يكون هدفه من دخول أحد متاجرها الفرجة فقط، مجبرا على الشراء تحت وطأة السعر الجاذب، وخصوصا الأزياء العصرية، وهذا ما عمل على انتشارها بصورة أسرع من الأزياء الأخرى الموجودة منذ عقود طويلة، فهي تجبر المستهلكين على شراء تلك الملابس الجديدة، حتى لو ارتدوها لمرة واحدة، لأن أسعارها الرخيصة لا يوجد مثيلٌ لها في الأسواق والمتاجر الأخرى.

الثراء والتنوع مع أسعار ريان المغرية؛ مثل القميص ذي سعر الـ3 يوروهات، أو الخواتم العشرة التي تكلف فقط مبلغ 2 يورو، كل ذلك دفع المتسوقين إلى تفضيل بضاعته على بقية المتاجر، حتى تحولت "برايمارك" إلى ظاهرة شعبية حقيقية اكتسحت أكياسها البيوت.

مواكب للتطور التكنولوجي

لم تكتف "برايمارك" بالملابس، بل ذهبت إلى مجال تجاري هام جدا ملىء بالربح وفي تطور مستمر، هو مستحضرات التجميل، ونافست كبرى الشركات القديمة بذات السلاح وهو رخص الأسعار، مع تقديم جودة جيدة، لكون هذه الصناعة لا يمكن التلاعب بها أبدا وهي تحت مراقبة دائمة من مؤسسات الصحة، لكن الشركة الأيرلندية استطاعت الدخول بقوة في هذه السوق من خلال منتجات كثيرة التنوع تقدم للمرأة كل ما تحتاجه.

ريان حرص على أن يظل ملاحقا للتطور التكنولوجي، ولم يتمسك فقط بالسوق االواقعية، بل اخترق العالم الافتراضي والأسواق الإلكترونية، وكانت شركته من أكثر الشركات انتشارا حول العالم، حتى أن هناك مواقع تسوق عربية تعرض منتجات "برايمارك" لديها.

البيع والشراء في العالم الجديد يدفعان الشركات إلى التواجد في أي مكان لا تستطيع أن تكون فيه على أرض الواقع، ودرس "برايمارك" أنها كانت متعاونة جدا مع مختلف الأسواق الإلكترونية، بالإضافة إلى موقعها الإلكتروني التسويقي في الكثير من الدول، وعلى رأسها الولايات المتحدة.

جورج ويستون الرئيس التنفيذي لشركة "أسوشيتد بريتيش فودز" والذي ارتبط تاريخ ريان بأسرته، قال مرة إن ريان سيُذكره التاريخ كأحد أكبر عمالقة تجارة التجزئة، وأكد أنه عندما قام جده غارفيلد ويستون وعمه غالين ويستون بتعيين ريان لتشغيل متجر "بينيز" في دبلن، كانا على يقين من أنهما تعاقدا مع عقل تجاري مدبّر سينهض بالشركة إلى العالمية. وأضاف ويستون "لقد جعل ريان الموضة في متناول الجميع وأصبح إرثه كبيرا جدا".

بعقله الخلاق تولى ريان إدارة الشركة لمدة أربعة عقود كرئيس تنفيذي، ولكنه في السنوات العشر الأخيرة، تخلى عن سيطرته اليومية على الشركة. غير أنه بقي مرتبطا بالعمل ومستمرا بزياراته المنتظمة للمتاجر والتجول فيها للبحث عن الأخطاء وتفاديها. وكانت واحدة من أكثر مقولات ريان التحفيزية شهرة، تلك التي عاودت الصحافة العالمية نشرها عشية وفاته "يجب أن نتذكر من نحن، وأن نتحدى أنفسنا لنكون على أفضل ما نستطيع، وندفع الحدود طوال الوقت وألا نكون راضين عند أي نجاح".

التغيير الكبير الذي قدمه ريان لم يقتصر على السعر والجودة والتنوع، بل إنه تجاوز ذلك كله ليصل إلى التفكير في عادة التسوق ذاتها، بحيث أصبح رواد "برايمارك" يتمتعون بثقافة مختلفة، تقوم على التجول في مكان واحد واسع، بدلا من تضييع الوقت أمام واجهات المغازات (الفترينات) في الخارج، وهو انقلاب جذري في فكرة التسوق من أساسها التي غالبا ما ترتبط بالتسكع، لقد عرف ريان حقا كيف يصنع مستهلكه بيديه. مستهلك يذهب إلى هدفه مباشرة دون أن تغريه العلامات التجارية، التي روّج لها عالم الإعلانات طويلا وكرسها في أذهان الناس حتى باتوا يقبلون بأسعارها دون أن يدققوا في جودتها، وهو نوع من الإذعان في ما بين طرفي تلك المعادلة؛ البائع المبتكر والمشتري الذي صار بفضل ريان ومولوده "برايمارك" متحررا أكثر من أي وقت مضى.

«برايمارك» تقدم مجموعات متنوعة من المنتجات مثل ملابس الأطفال حديثي الولادة واليافعين، والملابس النسائية وملابس الرجال لكل الأعمار، وتختص أيضا في بيع الأكسسوارات والأحذية ومستحضرات التجميل، وهكذا يمكن القول إنها تحتضن الأسرة بكل أفرادها

● خطة ريان التسويقية تقوم على التنويع في بضائع يربط بينها السعر المنخفض. لم يذهب أبدا نحو شركات الإعلان، بل اعتمد فقط على أحاديث الناس عنه.

● مستهلك العصر الحالي يذهب إلى هدفه مباشرة دون أن تغريه العلامات التجارية، التي روّج لها عالم الإعلانات طويلا وكرسها في أذهان الناس حتى باتوا يقبلون بأسعارها دون أن يدققوا في جودتها، وهو نوع من الإذعان في ما بين طرفي تلك المعادلة؛ البائع المبتكر والمشتري.

العرب الثقافي
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

ثقافة الهامش ونسبية العالم

الشباب والمرأة مركزيتان عربيتان مهمشتان

اللوحة للفنان بسيم ريس

نوري جراح
شاعر سوري
مقيم في لندن

كيف يمكن لنا أن نتحدث عن ثقافة الهامش، ثقافة الحيز المجتمعي المهمش قسراً في الثقافة العربية، من دون أن نضطر إلى فتح ملفات شتى ترتبط بفكرة الهامش، بدءاً من المصطلح، وليس انتهاءً بالصور المتعددة والتجليات المختلفة الدالة على هذا الهامش، ومثالنا هنا، الشباب وما يصنعونه اليوم وينتمون إليه من ثقافة حددت لنفسها وجوداً على نقيض من سائر ثقافات المجتمع، أكانت رسمية، أو شعبية أو نخبوية، بتلويناتها وصورها وأيديولوجياتها ومرجعياتها وسردياتها المختلفة.

ثقافة الهامش الشبابي في المجتمعات العربية، التي جعلت من نفسها حيزاً مختلفاً، وتريد لاختلافها أن يتحقق، ويظهر من خلال صيغ تعبيرية وفنية مختلفة، تحتوي على موقف من المجتمع، وتعبر عن روح متمردة على قيم وصيغ وأحوال مرفوضة ولابد من الخروج عليها.

***

ليس منافيا للواقع أو المنطق القول إن القوة الشبابة في المجتمعات العربية قوة مركزية، لكن مركزيتها مهمشة بفعل سطوة وتسلط مركزيات أخرى عدة حاكمة وطاغية تقف في طليعتها تاريخياً مركزية الأب، وهذه، كما عرفنا دائما، لها تجليات شتى في الثقافة والاجتماع، فالأب يحضر في العائلة بوصفه عمود البيت، ويحضر في البنية التربوية، بوصفه المرجع والمركز، وفي البنية السياسية على صورة حاكم مطلق. فالأب صاحب حاكميات متعددة المستويات، متشعبة التجليات، وطاغية على نحو يتجاوز الشرط التاريخي، وبالتالي مخالف لمآلاتها في الجغرافيات الثقافية الأخرى، في الغرب مثلا حيث لم يعد للأب حضور طاغ في العائلة، تعبيراً عن انحسار دوره على مستويات أخرى، سواء في المنظومة التربوية أو في المنظومة السياسية. يمكن لأطروحات هشام شرابي (البنية البطريركية في المجتمع العربي) أن تسعفنا في تلمس الخصوصية العربية للأب، وتجليات الذكورية العربية. في حين يمكن لهربرت ماركوزة أن يقدم لنا تشخيصا مدعوما بالأمثلة البارعة على تجليات ومآلات صراع الأجيال في الثقافة والاجتماع الغربيين. (وهو ما لا نجد له نظيراً عربياً).

***

والواقع أن التطور التاريخي للمجتمعات الغربية تكفل بتحجيم صورة الأب وانتزاع سلطاته الاجتماعية منذ زمن بعيد، وذلك ترافق مع نشوء البرجوازية، وولادة الحقوق الفردية، وتطورها المضطرد بفعل التطور الرأسمالي، وظهور أنظمة حقوقية وفنون وآداب عبرت عن جملة من التحولات الهائلة التي قضت تدريجيا على سلطة الأب كما عرفت في مجتمعات الراعي والقطيع.

***

ليس من شأن هذه الكلمة أن تقارن بين تجليات صورة الأب في الثقافة العربية والثقافات الأخرى، ولا حتى محاولة قياس وزنه النوعي، أو قراءة تحولات صورته في الثقافة العربية، ولكن القصد كان مجرد الإشارة إلى خصوصية مكانته المركزية في الثقافة والاجتماع العربيين، ودوره التاريخي في صناعة مركزية طاغية مقابل تهميش مركزيات مجتمعية أخرى تمثلت خصوصا في مركزيتي الشباب والمرأة المهمشتين، على خلفية تشققات زلزالية عربية طالت جغرافيات ومجتمعات كانت قد بدت حتى الأمس القريب شبه مستقرة بمنأى عن مفاعيل السياسة والصراع السياسي، فإذا بها تواجه، مرة واحدة، واقعا زلزاليا عربيا غير مسبوق، صدم الصور المستقرة وشققها على نحو اهتزت له صيغ حاكمة، وتهاوت معه مقولات وأفكار وتصورات ذهنية عن الذات والعالم، وعن الأفراد والجماعات وصيغ الحكم، فالثقافة والأخلاق، كان الطغيان الأبوي في صيغه المهيمنة على البنية الفوقية للمجتمعات قد رسخها في المخيلة الجماعية.

***

مرة واحدة استيقظت قطاعات هائلة من الشباب والنساء على عالم عربي قديم، وعلى هامش العصر، بدا لهم كما لو أنه آيل إلى الاختفاء، ويقع على عاتقهم تاريخياً واجب دفنه، لينهض مكانه عالم عربي جديد وفي قلب العصر. وقد حدثت الاستجابة بأشكال مختلفة، بعضها منظم وبعضها اعتباطي وعشوائي، جلها سلمي قوبل بعنف مهول، استفزّ فيها عصبها الوجودي، وألجأها على الرد على العنف بالعنف. وقد حدث ما حدث من استجابة شبابية للعب دور تاريخي بإفراط عاطفي وحلمي، وبالقليل من الإمكانات الفكرية والتنظيمية في مجتمعات معطلة تاريخيا وممنوعة من امتلاك الخبرات.

***

والسؤال، الآن، هل أفرط الشباب في ثقتهم بقدرتهم على إحداث فرق حقيقي في عملية التغيير التاريخي، على سبيل زحزحة (ماض) يحتل بشبحه الثقيل (الحاضر) ويسد طريق (المستقبل)، لتحقيق آمال كبيرة لم تعد عصية على التحقق؟ أم أن البنية البطريركية العربية ما تزال المركزية الأقوى والأقدر على تهميش سائر المركزيات الأخرى، وفي طليعتها الشباب والمرأة؟ وما هي العوامل التي جعلت الشباب العربي متهيبا من اقتحام المركز بقوة تتناسب وحجمه المجتمعي وقدراته غير المحدودة على غير صعيد؟

> **ما اصطلح على تسميته بثقافة الهامش، هو التعبير اليومي بالكلمة والصورة والرسم وفنون الوشم والحركة المسرحية والأغنية، والفيديو كليب، والفيلم القصير، وغيرها من الفنون المستجدة في صيغ خارجة على المألوف**

أيا يكن الجواب، فإن ما اصطلح على تسميته بثقافة الهامش، هو التعبير اليومي بالكلمة والصورة والرسم وفنون الوشم والحركة المسرحية والأغنية، والفيديو كليب، والفيلم القصير، وغيرها من الفنون المستجدة في صيغ خارجة على المألوف، والمعنية في أن تصنع من نفسها هامشاً موازياً وله لغته وفنونه المختلفة في مواجهة مع الثقافة السائدة، فقد ألفت هذا الدور، وهاهي تعمق حضورها فيه، وتبلور صورها من داخله، وتصنع منه قلعة لخيالاتها وابتكاراتها المحمولة على موجات من الرفض الصانع للاختلاف بوصفه هوية، فهي على نحو ما تؤبد نفسها في هذا الحيز (الهامش)، قابلة به، ومؤثرة له مادامت لم تتمكن، وربما لم تحاول جدياً من احتلال قلعة الاب، وهو ما يمكنها من تفجير قدراتها الحبيسة لتوسيع رقعة وجودها الثقافي والفكري ولعب دور مركزي في المجتمع والتاريخ. إنها تقبل بالهامش بوصفه قلعتها المسورة بجماليات السلبي وأهوائه الغريبة المعبّرِ، من خلال فنون مبتكرة، سليطة أحياناً، عن نزوعه المتمرد.

لنستدع إلى الذهن الآن، الكلمات وتراكيبها في فن الراب، البعد الساخر، والسلاطة الخادشة للكمال الأبوي، والهزء بالقيم القارة، وبالسلط على صورها المختلفة. كذا فن الغرافيتي وشطحاته المكبوحة وميله إلى أنواع مبتكرة من التورية، بفعل احتراز السلطة وخوفها من الجدران. في فنون المسرح تبدأ المسألة بالتعقد أكثر، ويجد الهامش نفسه ثائراً لا على صيغ القول والتعبير المسرحي، بل وعلى المسرح كمكان وصيغة، بين خشبة وجمهور يجلس في العتمة، فها هي صيغ التعبير المسرحي تحرج إلى الشارع لتصنع من غاراتها على المارة مسرحا، ومن المارة جمهوراً لهذا المسرح. ولربما كان هذا الفعل أكثر جرأة وجدوى معا، من الاستسلام إلى الصيغ المسرحية القديمة، التي باتت في نظر الكثيرين من أهل الهامش، شيئاً عديم الجدوى. فالممثل ونصه وجمهوره لا يتعدى أهل الكار.. وهو ما يحيل الحوار المسرحي إلى مولوغ عديم الفائدة.

***

نتحدث عن فنون الهامش في ظل حالات السلم الأهلي، والظروف شبه الطبيعية، وسوف تختلف الصيغ والحالات في ظل ظروف احتراب أهلي، او صراع اجتماعي حاد، أو حراك مدني وسلمي يواجه من قبل السلطة الشمولية بالعنف، هناك تتقشف فنون أهل الهامش، تصبح أكثر آنية وغرضية وتنتج جمالياتها بالتالي من قدرتها على التعبير الحركي عن الجماعات التي تنتجها، والتي تنتج لتعبر عنهم، وتسرد قصصهم، فتبرز اللافتة، والأغنية، والصورة، والكتابة على الحائط بوسائل بسيطة، غالباً، وصارخة تعبيرياً.

آمل أن لا يبدو كلامي، هنا، ذا وظيفة نقدية سالبة، فأنا لا أميل هنا إلى تأطير لصورة سلبية للهامش كحيز متمرد على نحو فوضوي (أنارخي)، بلا وظيفة مجتمعية، بل إن بأسا مجتمعيا متمرداً على الطغيان، إنما يفتح أزهاره في هذا الهامش، ويمكن لرقعة الهامش مهما ضاقت أن تسرد الحكاية المجتمعية بأسرها، بابتكارية لاقتة، وبحميمية رائعة، عبر بلاغات متمردة.

***

وبالعودة إلى المركزية الأبوية، والعنف الذكوري المفرط، وقد عبر عن نفسه في العقد الأخير من الحراك المجتمعي، ببذاءة تاريخية، من خلال عمليات اغتصاب مرعبة انتهك معها الجسد الجماعي للمرأة، ارتكبت في جغرافيات عربية مشتعلة، فإن ما يجعل المسألة برمّتها أسيرة المفارقات التاريخية الساخرة، أن المركزية الأبوية العربية بسلطاتها التي تبدو غير محدودة، وضمنا سلطةالقضيب المغتصب، هي مجرد هامش بائس (جرى تحجيمه مراراً) من قبل الذراع الاقتصادي والسياسي والعسكري للمركزيات الجيو سياسية والحضارية الغربية الكبرى، التي ما زالت، كما في الأمس، كذلك اليوم تحيل الشرق برمته (والعرب ضمناً) بأنظمته وجموعه وثقافاته إلى مجرد هامش مستضعف (ومؤنث)، يمكن تأنيبه علناً، بل وتقريعه، ولو اقتضى الأمر إسقاطه، فهو لاحول له ولا قوة أمام سطوتها الاقتصادية والعسكرية والثقافية.

خلاصة القول، إن الهامش نسبي. كما هو كل شيء في العالم، وأساساً في الوجود.

اللغة العربية عملاق محبوس في زنزانة صغيرة

وائل فاروق: الأدب العربي في الغرب يعامل كتقرير أنثروبولوجي وليس كنص جمالي

الأكاديميات العربية في تراجع مخيف

عرفان رشيد
كاتب عراقي

ميلانو - رغم الهدوء والسكينة التي تُميّز ملامحه المصرية بوضوح، ورغم الابتسامة الدائمة التي يتوجّه بها إليك، حتى في اللقاء الأول معه، فإن في دواخل أستاذ اللغة والآداب العربية وائل فاروق، يعتلج غضبٌ كبير إزاء ما تعاني منه الآداب والفنون العربية من تجهيل وإقصاء وتسطيح، ليس في الغرب فحسب، بل في البلاد العربية ذاتها، "فما إحجام الكثير من الحكومات العربية عن دعم تدريس اللغة العربية على أساس علمي، ودعم انتشار الثقافة العربية لدى جمهور اللغات الأخرى، إلّا نوعا من الخطيئة التي تُقترف بحق لُغة عظيمة تختزن تاريخا هائلا، وينطق بها ما يربو على ثلاثمئة مليون من العرب، ويتعامل معها، كلغة للقرآن الكريم، أكثر من مليار وستمئة مليون إنسان على وجه البسيطة". ويذكر وائل فاروق أن "الصين، وبرؤية بعيدة المدى، تُنفق سنويا ملايين الدولارات من أجل دعم تدريس اللغة الصينية والتعريف بآدابها، ما وسّع من أطر تأثير هذه الثقافة في العالم بأسره، في حين تُحبس اللغة العربية في زنزانة ضيّقة وكأنها طفلٌ لقيط ليس له من يرعاه أو يهتمّ بشؤونه".

"وقد أدّى هذا الوضع" برأي الدكتور وائل فاروق "إلى ألّا يتعامل النقد الغربي مع الكتابة العربية ليس كنص جمالي، بل كتقرير أنثروبولوجي ومُجتمعي"، وهو ما يجعل المرء يشعر بالاحتقار لما تعاني منه الثقافات العربية في الغرب.

جاء ذلك في الحوار الذي أجريناه مع البروفيسور المصري في ميلانو، وقد تحدّث فيه عن عمله في الجامعة الإيطالية وأواصره مع «الجامعة الكاثوليكيّة في ميلانو» والتي صارت خلال الأعوام الأخيرة، عبر مهرجانها الثقافي السنوي الذي يشرف عليه، والمُخصّص للثقافة العربية "محطّة هامة للتعريف بثقافاتنا، ولتوفير الأدوات الضرورية للجمهور الواسع الذي يرتادها أيام التظاهرة، بهدف الخروج برؤى مختلفة ومُغايرة لما تضخّه أجهزة الإعلام الإيطالية والغربية من تعمية وتجهيل إزاء الثقافة العربية".

ابتدأت أصرة وائل فاروق مع الجامعة الكاثوليكيّة في ميلانو، رسميا منذ عام 2012 عندما كان يُدرّس في جامعة نيويورك وتلقّى دعوة من الجامعة للتعاون معها في تأسيس قسم للدراسات العربية. وكانت علاقاته بأساتذة «الجامعة الكاثوليكية» تعود إلى ستة أو سبعة أعوام قبل ذلك، وذلك من خلال زياراته إلى إيطاليا لإلقاء المحاضرات في الجامعات المختلفة، وقد رشّحه عددٌ من هؤلاء الأساتذة لكرسي الأستاذيّة عندما لمست الجامعة ضرورة الاهتمام باللغة العربية، في وقت تزايدت فيه رغبة الطلاب لدراسة اللغة العربية، "إلّا أنّ هذه الجامعة"، يقول وائل فاروق "قرّرت أن يتم تدريس اللغة العربية فيها على أساس علمي وليس عبر مجرد وصول شخص عربي يأتي ليتحاور مع الطلبة باللغة العربية دون أساس علمي".

حدث ثقافي كبير

وائل فاروق مُقتنعٌ تماما بالنظرية التي تُفيد بأن تدريس أيّ لغة، واللغة العربية في هذا المجال، إلى أبناء شعب آخر، يعني أيضا توسيعَ أُطر معرفة هؤلاء الناس، ليس باللغة العربية لوحدها، بل بثقافة هذه اللغة وبالمجتمع العربي بشكل عام، ويتابع "ويُصبح الفعل الذي تُنجزه «الجامعة الكاثوليكيّة» في ميلانو اليوم، في غاية الأهميّة، بالذات في ظروف التجهيل والتعمية والتزييف". ويُضيف "أنا لا أدّعي بأنّني شخص يحقق إنجازات كبيرة، لكن بإمكاني التذكير بأنّ الجامعة الكاثوليكية تنظّم الآن أكبر تظاهرة للثقافة العربية شعرا ونثرا ومسرحا وسينما ولغة وفنّا تشكيليا. وهي بذلك تحقق الحدث الثقافي العربي الأكبر في القارّة الأوروبية على الإطلاق، ففي هذا العام مثلا شارك في المهرجان 56 محاضرا وفنانا وكاتبا وباحثا من 19 دولة مختلفة".

وإذا أردنا الحقيقة فإنّ الدور الذي تلعبه الجامعة هامٌ جدا لأنّ، هناك، كما هو حاصل، تيار شعبوي يتزايد ويتعاظم باطّراد، وهو تيارٌ يتغذى بشكلٍ أساسي على الجهل بهذه الثقافة وفنونها، وأعتقد بأنّ الآلاف الذين تابعوا، ويتابعون الحدث السنوي المشار إليه يخرجون بعد الحفلات الموسيقية والعروض السينمائية والندوات الفكرية والقراءات الشعرية، بفكرة مختلفة تماما عن العالم العربي وعن الثقافة العربية، وهو ما يساعد على تغيير وجهات نظرهم نحو معرفة أفضل بهذه الثقافة، ويُشير هذا إلى أنّ "القوة الناعمة الحقيقية لأي ثقافة إنما تكمن في حضور لغتها وإبداعاتها في الفضاءات الثقافيّة المختلفة في العالم".

المثال الصيني

ويتابع موضحا "خذْ الصين على سبيل المثال، فهي تنفق الملايين من الدولارات كل عام لدعم أقسام تدريس اللغة الصينية، أمّا اللغة العربية، تلك اللغة التي تنتمي إلى حضارة عظيمة وإلى ثقافات كُبرى وغنيّة، تبدو وكأنها طفل لقيط ليس لديه من يهتمّ به ويرعاه. لذلك أنا أُثمّن كثيرا ذلك الانفتاح الذي تقدمه «الجامعة الكاثوليكية» على العالم العربي وعلى الثقافة العربية".

ودونما أدنى شك، هناك ثمة خطيئة كبرى تقترفها الأطراف العربية عندما تترك الفضاء فسيحا أمام من يُعادي الثقافة العربيّة، ولا توفر لهذه الثقافة أيّ وسيلة للانتشار، خارج البلاد العربية.

لكن لماذا يُشيح عددٌ لا بأس به من الحكومات العربيّة ببصره عن الثقافة، ولا يكترث بدعمها؟

يقول "لا أعتقد بأنّ المرء يحتاج إلى مواقف سياسية ليُدرك مآلات هذا الإهمال، وأعتقد بأنّ السبب الرئيسي في ذلك هو شيء من قصر النظر".

لم يكن طه حسين ملحدا

وكشف لنا وائل فاروق عن البحث الأخير الذي أجراه حول عميد الأدب العربي الراحل طه حسين وقال "في مجال البحث، أنجزت مؤخّرا دراسة عن طه حسين، دفعني إليها ما راح يتردد في الفترة الأخيرة من آراء ظالمة بحق طه حسين، من قبل الإسلاميين الذين صدروا الادّعاء بما أسموه «رحلة طه حسين من الإلحاد إلى الإيمان». لكنّ هؤلاء، الذين تعكّزوا على اسم كبير مثل طه حسين لتثبيت آرائهم الأيديولوجيّة، تناسَوا أنّ طه حسين لم يكن في يوم من الأيام مُلحدا، حتى يعود إلى الإيمان".

ويواصل "كنت أعرف أنّ هناك كتبا ومقالات عن طه حسين ذهبت لدراسة المصادر التي عاد إليها أصحاب تلك الفكرة واستقصيت الحقيقة، وقد أورد بعض الإسلاميين مقالا للتأكيد على أنّ طه حسين امتدح التيّار السلفي والوهابية، وأشياء أخرى من هذا القبيل، لكنّي اكتشفت أنّ طه حسين كتب ذلك المقال بدعوة من مجلة أميركية في عام 1931 ونُشرَ في مارس تقريبا عام 1932. المجلّة كلّفت طه حسين بكتابة تقرير عن حال الآداب العربية في الجزيرة العربية، ونكتشف أنّ هذا تقريبا كان في التوقيت نفسه الذي بدأ يتزايد فيه الاهتمام بالبترول في الخليج. وهي مجلّة أدبيّة لا علاقة لها بالاقتصاد، لكن كان هناك اهتمامٌ بالثقافة العربية من قبل القوى الاقتصادية والسياسية، انطلاقا من تصور يرى في الثقافة المدخل لأي انتصار سياسي أو اقتصادي يمكن تحقيقه. طلبوا هذا من طه حسين، وقد كتب التقرير، وجاء حديثه عن الحركة الوهابية في سياق أنّها حركة تجديدية، وبأنها ستجعل العربية السعودية جزءا لا يتجزأ من ثقافة البحر الأبيض المتوسط، لأنه توقّع بأنّها ستُرسل بعثات تعليمية وما إلى ذلك، لكن، وكما رأينا فقد كان خاطئا في ما ذهب إليه من اعتقاد".

الاهتمام بلغة العرب

ويذكر وائل فاروق أنّ اللغة العربية لم تُدرّس بشكل علمي في أي مكان في العالم حتى سنوات قليلة ماضية، فعندما اتّخذت الإدارة الأميركية القرار بغزو العراق أحتاجت إلى تدريب ضباطها وتعليمهم اللغة العربية وبالتالي خصّصت هذه الإدارة ملايين الدولارات لتطوير تدريس اللغة العربية، وهو ما أتاح لنا اليوم، وأخيرا، الحصول على منهج علمي لتدريس اللغة العربية. فعلى الرغم من مرور قرون على تدريس اللغة العربية كلغة أجنبية للناطقين بغيرها منذ العصر الإسلامي الأول إلى اليوم، لم يكن هناك منهج علمي دقيق وصارم لتدريس هذه اللغة. ولم يتحقق هذا المنهج العلمي لتدريس هذه اللغة إلّا في السنوات الأخيرة.

ويستشهد وائل فاروق بهاتين الحادثتين ليشير إلى تغاضي المؤسسة السياسية العربية عن دعم الثقافة العربية باعتبارها البوابة الكبرى للدخول عبرها إلى المجتمعات الأخرى، ويُضيف قناعته بأنّك عندما تُعلّم أبناء ثقافة أخرى وأبناء مجتمع آخر لغتك، فإنّ الكثير من هؤلاء يصبحون متضامنين بالضرورة وبالسليقة مع قضاياك ويتبنّون بالضرورة جزءا من مواقفك.

ويضيف "أمّا أن تترك تدريس لغتك لكارهيها ولأعدائها فأنت تربي أجيالا جديدة من العداوة ومن إساءة الفهم لهذه الثقافة، فيتمّ التضييق عليك لأسباب ثقافية"، وهذا، برأيه "هو ما يحدث للكثير من العرب والمسلمين الذين يعيشون الآن في أوروبا، والذين لا يتمّ التعامل معهم كأصحاب دين مختلف، بل كعرقية مختلفة، كمجموعة إثنيّة، وهذا ما ينبغي دراسته وبحثه، فهو لم يُدرس ولم يُبحث حتى الآن. المسلمون أقليّة دينيّة في أوروبا، لكن لا يتمّ التعامل مع المسلمين على أساس أنّهم أصحاب عقيدة، بل كأقليّة عرقيّة، فقد أصبحوا في نظر الغرب عرقا جديدا، وصار البنغالي والباكستاني والإيراني والأفغاني والروسي والعربي، فريقا واحدا، وكأنّ الجميع من عرق واحد، وأصبح الإسلام، كدين، علامة تُشير إلى جماعة عرقية وليس أصحابَ إيمان مختلف".

ورغم أنّ الفضاء الأوروبي يتّسع للتعددية في الأديان، فإنّ ما يحدث في هذا الصدد لا يتطابق مع واقع الاختلافات الثقافية والإثنية ما بين الأشخاص والجماعات البشريّة القادمة من أصقاع متباعدة وتواريخ وثقافات مختلفة. ويرى الدكتور وائل فاروق أنّ "كل هذا يحدُث أيضا نتيجة التقصير في تدريس اللغة العربية وثقافتها في الغرب".

تقرير أنثروبولوجي

ويُشير وائل فاروق إلى واقع أقسام اللغة العربيّة في الجامعات الأوروبيّة ويقول "كلّ الجامعات الأوروبية، سواء الكبرى أو الصغرى، تفتقر إلى أقسام للّغة العربية، وما يوجد منها ليس ذا عمر طويل، فمعظمها، وبالذات ما هو قائمٌ في إيطاليا، استُحدث بعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل. أقول هذا ولا شكّ عندي في صحّته. ومن درسوا اللغة العربية في الجامعات الأوروبية كجامعة الدراسات الشرقية العريقة في نابولي، إنّما فعلوا ذلك في معاهد للدراسات الشرقية والإسلام، وليست اللغة العربية فيها إلّا فرعا صغيرا ومحدودا للغاية ضمن ذلك المعهد" ويُضيف دون أن يُخفي غضبه "حتى هذه اللحظة التي نتحدث فيها، تتم إهانة وامتهان الأدب العربي بعمق عندما لا يُدرس كنص جمالي وإنّما كتقرير أنثروبولوجي عن تلك الشعوب التي تعيش في جنوب المتوسط". ويواصل حديثه مستنكرا "أيّ إهانة، وأيّ احتقار للشعر والرواية عندما يدرسان كتقرير عن أنثروبولوجيا ثقافية لا كنص جمالي، فلا وجود لنص عربي واحد، في كل النظرية الجمالية العالمية اليوم، يمثّل مرجعا أو يُؤتى به مثالا على هذه الجمالية في أي نظرية أدبية نعرفها اليوم؛ وحتى نجيب محفوظ، نفسه، وبعد فوزه بجائزة نوبل لم ترقَ أعماله، في نظر هؤلاء، إلى أن تكون موضع دراسة خارج إطار الأنثروبولوجيا والسياسة وعلم الاجتماع. كل هذه نتائج متراكمه لقصر النظر الناتج عن افتقاد أصرة علمية لتدريس اللغة العربية، ليس فقط هنا في أوروبا وحدها، بل في بلادنا العربية أيضا".

تقهقر لغوي وأدبي

وحول ما تشهده الحياة الثقافية العربية من تقهقر وسطحية في مستويات الكتابة الأدبية، رغم الرواج الظاهر للرواية مثلا، يرى وائل فاروق أنه "ليست السطحية فحسب، بل الأخطاء المثيرة للضحك والألم، وتلك مصيبة أخرى؛ فهناك جريدة مصرية كبرى كتبت في أحد عناوينها موجات الأثير بحرف السين وليس بالثاء أي أنّها كتبت «موجات الأسير» بدل «موجات الأثير». وكان ذلك عنوانا رئيسيّا للجريدة، وهذا ما يثير الضحك والسخرية للوهلة الأولى، ولكنّه مثير للألم في الوقت ذاته".

اللغات ملك للإنسانيّة

وحول ما إذا كان يحق لنا أن نطالب الآخرين بأنْ يُعلّموا لغتنا، فيما طلبتنا لا يحصلون على التعليم الكافي وتتميّز لغتهم العربية بالسطحية والأخطاء، يعتقد فاروق أن "لا وجود لأي لغة يمكن اعتبارها ملكا حصريا لأهلها، فلغات العالم ملكٌ للإنسانية، ومن الطبيعي لكل الباحثين والدارسين في مجال اللغة أن يدرسوا اللغات التي يشعرون بأهميتها لهم".

ويتابع "أعتقد بأنّ اهتمام الغرب باللغة العربيّة، مرتبط في جزء كبير منه بالسياسة وبالاقتصاد، لأنه حتى الجامعات والمؤسسات الأكاديمية في أوروبا تُموّل، والمشروعات البحثية تُموّل، وهناك دائما من يُموّل ويحاول أن يفرض، لا أقول أجندة سياسية، بل بأن تحتوي تلك الدراسة وتلك البحوث موضوعات تخصّ مؤسسات التمويل الداعمة، وبالتالي يتوجّه الباحثون، بشكل أوتوماتيكي إلى اختيار الموضوعات التي تلقى رضا واهتمام الممولين".

ويرى أن ذلك يحدث، للأسف الشديد، في كل المجالات، لكنّ ذلك كلّه لا ينبغي أن يُنسينا الاهتمام العلمي باللغة والثقافات لدى عدد من الجامعات الساعية في هذا الإطار. إلّا أن السؤال الذي يظلّ قائما هنا هو «هل يكفي الاهتمام العلمي والرغبة في البحث والاكتشاف لدعم حضور ثقافة كبرى ولغة من لغات دول العالم هي اللغة الرابعة المتحدث بها على مستوى العالم، لغة الدين لمليار وستمئة مليون شخص؟»، ويؤكد "كلا بالتأكيد، فنحن نتحدث عن لغة تغطي رُقعة جغرافيّة عظيمة من العالم، لها حضور في الحياة اليومية لأبنائها من المتحدثين الناطقين بها، ولمئات الملايين من المسلمين، حتى الأجانب منهم، والذين لا يتحدثون بهذه اللغة بل يمارسونها".

حضور عملاق

يقول وائل فاروق "إنّ حضور اللّغة العربية في العالم حضورٌ عملاق، وسلوكنا نحوها يقترح أن تحتبس في زنزانة صغيرة"، ثم يتابع متحسرا "وللأسف نلحظ اليوم تراجعا كبيرا للأكاديميات العربية، يرافقه تراجع مستمر في الإنتاج العلمي وهذا شيء مؤسف، لذلك عندما تتوفر بيئة علمية في مجتمع غربي، وتبدأ بطرح ثمارها نتيجة لتوفر شروط الحرية، ولغياب التحزّب والعصبية السياسية والأيديولوجية، فإنّ علينا أن ندعم تلك البيئة ونرعاها".

ويختم حديثه بقوله "يحضر مؤتمرنا الثقافي العربي السنوي الذي يُقام في إطار «الجامعة الكاثوليكيّة» في ميلانو كتابٌ ومثقّفون من كل التيارات السياسية والفكرية، لا يعنينا من الكاتب أو الفنان إلّا إبداعه، ولا نتحدث إلّا في قضايا الأدب وجمالياته، أمّا قضايا السياسة والمجتمع فلها سياقات أخرى. نسعى ما استطعنا للحؤول دون انتقال التحزّبات والصراعات والأيديولوجيات الموجودة في العالم العربي إلى هذا الفضاء الثقافي الخالص، نُوفّر مساحة للجميع ليقدموا ما لديهم من إبداعات وتصورات فكرية وجمالية، ونحاول ألّا نختزل هذا الثراء العربي في تيار فكري واحد، أو حتى في تيار جمالي واحد في مجال الأدب. هذا ما يحدث في ميلانو، على الأقل اليوم، وهذا ما نسعى إلى الحفاظ عليه وتطويره وترسيخه".

على الرغم من مرور قرون على تدريس اللغة العربية كلغة أجنبية للناطقين بغيرها منذ العصر الإسلامي الأول إلى اليوم، لم يكن هناك منهج علمي دقيق وصارم لتدريس هذه اللغة

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

تعالوا نرى كيف يبدو الإنسان الفارغ

جورجيو أغامبين: البعد الجمالي في الفن ليس ظاهرة بريئة

محمد الحمامصي
كاتب من مصر

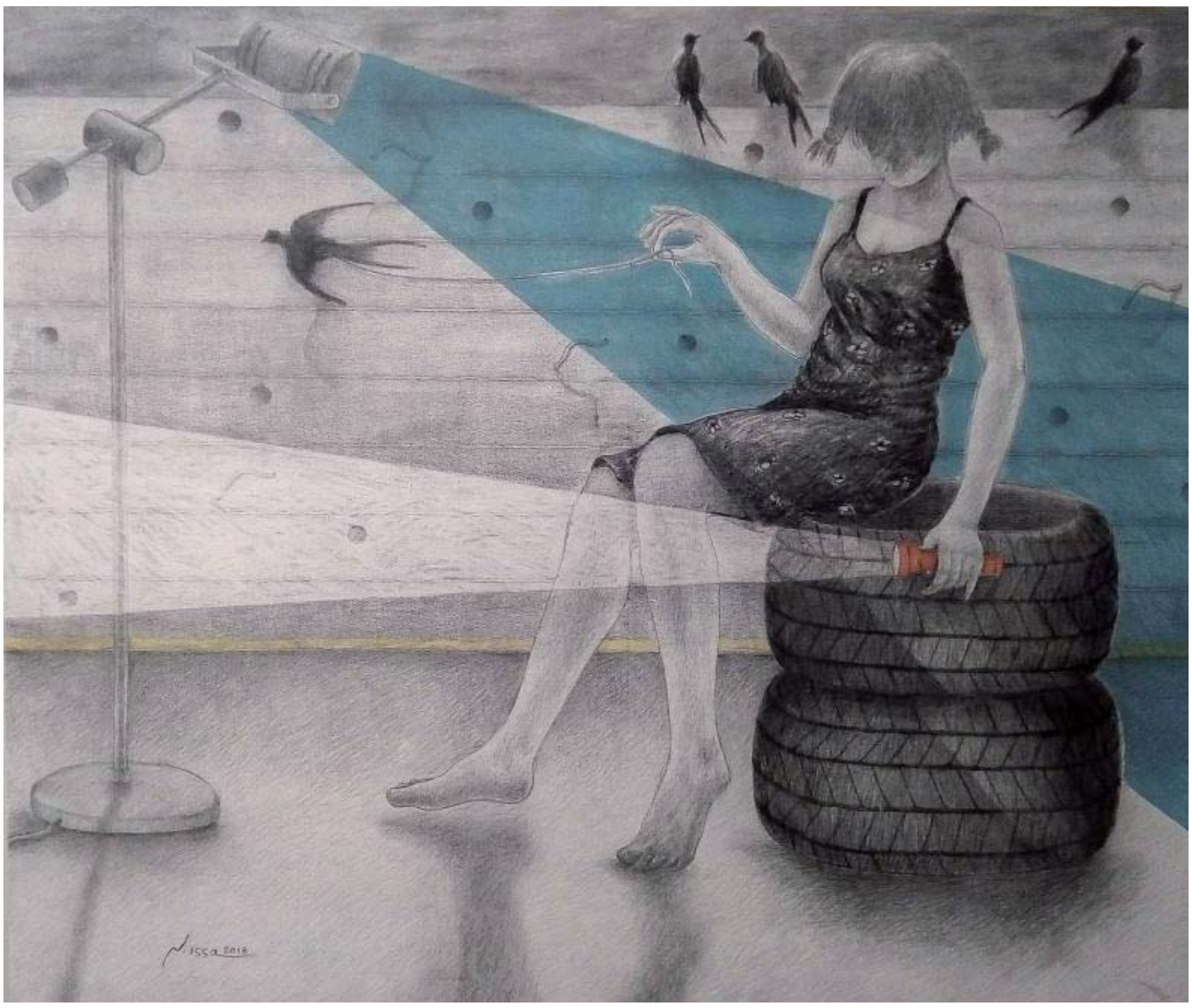

لوحة نعمان عيسى

تقدم الباحثة والناقدة الثقافية الفلسطينية د. أماني أبورحمة لكتاب المفكر الإيطالي جورجيو أغامبين "الإنسان بلا محتوى" بقراءة مضيئة لأفكار ورؤى أغامبين الحافلة بالتميز في قراءاتها للأدب والفن، إذ تعد قراءات أغامبين الفريدة في الأدب والفلسفة القارية والفكر السياسي والدراسات اللاهوتية والفن الأكثر ابتكارًا في عصرنا. مشيرة إلى أن الكتاب إذ يحقق في طبيعة الفن ووظيفته تحقيقًا غير محايد؛ لا يتورط في التحقيق الجمالي لأجل التحقيق الجمالي كما أنه لم يُكتب من منظور متعال عن تاريخ الأفكار، بل يتجاوب مع ما يراه أغامبين الحالة المرعبة للفنون المعاصرة.

وتضيف أبورحمة في مقدمة ترجمتها الصادرة عن مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر أن أغامبين يرى أن طبيعة الفن وعمله في ثقافتنا المعاصرة قد تشوّش. أصبح الفن بكلماته "كوكبا لا نرى منه إلا جانبه المظلم". ومع خفوت نور الدور اللامع الذي لعبه الفن في العصور المبكرة، يرى أغامبين أن هدفه فهم كيف ولماذا غَرُب عنا وجه الفن المشرق، وما الذي يتوجب علينا فعله كي نستعيد إشراقاته على عالمنا المعاصر.

"ربما لا شيء أكثر إلحاحا -إذا كنا نريد حقا أن نتشارك مشكلة الفن في عصرنا- من تفكيك الجماليات، الذي يسمح لنا، من خلال إزالة ما يعد عادة أمرًا مفروغًا منه، أن نثير التساؤلات عن معنى الجماليات بوصفها علم اشتغالات الفن. والسؤال، مع ذلك، ما إذا كان الوقت قد حان لمثل هذا التفكيك، أو بدلا من ذلك ما إذا كانت نتيجة هذا الفعل لن تتسبب في خسارة أيّ أفق ممكن لفهم عمل الفن وخلق هاوية أمامه لا يمكن عبورها إلا بقفزة جذرية". ويتابع "ربما أن مجرد مثل هذه الخسارة وهذه الهاوية هي ما نحتاج إليها أكثر إذا أردنا لاشتغالات الفن أن تكتسب مكانتها الأصلية مجددا".

يرى أغامبين إن دخول الفن في البعد الجمالي -وفهمه بدءًا من إحساس المتفرج- ليس ظاهرة بريئة وطبيعية كما نعتقد عادة. ربما لا شيء أكثر إلحاحًا -إذا كنا نريد حقًا أن نشارك مشكلة الفن في عصرنا- من تفكيك الجماليات الذي يسمح لنا، من خلال إزالة ما يعد عادة أمرًا مفروغًا منه، أن نثير التساؤلات عن معنى الجماليات بوصفها علم اشتغالات الفن.

ويلفت إلى أنه في مواجهة هذه الخصائص الأربع للجمال كهدف للحكم الجمالي "أي الرضا دون مصلحة، والعالمية بقطع النظر عن المفاهيم، والغاية من دون غاية، والمعيارية بدون معيار"، لا يمكن للمرء إلا أن يفكر فيما كتبه نيتشه في جدله ضد خطأ الميتافيزيقا المزمن في "غسق الأوثان": "العلامات المميزة التي كانت تُعد الجوهر الحقيقي للأشياء هي علامات مميزة لعدم الوجود، للاّشيئية". وعلى ما يبدو، أنه في كل مرة يحاول الحكم الجمالي تحديد ما هو جميل، فإن ما يحمله بين يديه ليس الجميل ولكن ظله، كما لو كان موضوعه الحقيقي ليس ما هو الفن بل ما هو ليس الفن، ليس الفن ولكن اللاّفنّ.

ويرى أغامبين أنه إذا بدأنا فقط في مراقبة طريقة عمل آلية الحكم النقدي فينا، يجب أن نعترف، حتى ضد أنفسنا، أن كل ما يقترحه حكمنا النقدي للعمل الفني ينتمي بالضبط إلى هذا الظل. في فعل الحكم الذي يفصل الفن عن غير الفن أو اللاّفنّ، فإننا نحول اللاّفنّ إلى محتوى الفن، وفي هذا القالب السلبي فقط نكون قادرين على إعادة اكتشاف حقيقته. وعندما ننكر أن العمل فني فإننا نعني أن لديه كل العناصر المادية لعمل فني باستثناء شيء ما وهو أمر أساسي تعتمد عليه حياته، بنفس الطريقة التي نقول بها إن الجثة تمتلك كل عناصر الجسم الحي، ما عدا شيء عصيٌ على الإدراك هو ما يجعل منها كائنا حيا.

ومع ذلك، عندما نجد أنفسنا فعلا أمام عمل فني، نتصرف دون وعي مثل طالب الطب الذي درس علم التشريح فقط على الجثث حين يواجه أعضاء المريض النابضة، لا بد أن يعود عقليا إلى نموذجه التشريحي الميت من أجل توجيه نفسه.

وأيا كان المعيار الذي يستخدمه الحكم النقدي لقياس حقيقة العمل -هيكله اللغوي، بعده التاريخي، وأصالة الخبرة التي نشأت، وهلم جرا- فإنه سيضع فقط، في مكان الجسم الحي، هيكلا عظميا متطاولا من العناصر الميتة، وعمل الفن سيصبح في الواقع بالنسبة إلينا، كما يقول هيجل، الفاكهة الجميلة المقطوفة من الشجرة التي وضعها مصير ودي أمامنا، دون، مع ذلك، أن يعطينا، معها، الفرع الذي يحملها أو التربة التي تغذيها أو المواسم المتغيرة التي ساعدت على نضجها. إن ما تم نفيه يُعاد للحكم بوصفه محتواه الحقيقي، وما تم تأكيده مغطى بهذا الظل.

إن تقديرنا للفن يبدأ بالضرورة مع نسيان الفن. وهكذا، يواجهنا الحكم الجمالي بمفارقة محرجة لأداة لا غنى عنها بالنسبة إلينا في معرفة العمل الفني، ولكن، ليس فقط أنها لا تسمح لنا باختراق حقيقته، ولكن أيضا وفي الوقت نفسه لأنها توجهنا نحو شيء آخر غير الفن وتُمثل حقيقة الفن لنا بوصفه لا شيئاً خالصا وبسيطا.

ويقول إنه ضمن أفق إدراكنا الجمالي، لا يزال العمل الفني خاضعًا لنوع من قانون تدهور الطاقة: لا يمكن للمرء أن يعود إليها من حالة بُعَيْد إنشائها. تماما كما النظام الفيزيائي المعزول عن الخارج يمكن أن ينتقل من الحالة "A" إلى الحالة "B" ولكن لا يمكن أن يعود مرة أخرى إلى حالته الأصلية، لذلك بمجرد أن يُنتج العمل الفني، لا توجد وسيلة للعودة إليه عن طريق المسار العكسي للذوق.

ويوضح أغامبين أن "الحكم الجمالي، بقدر ما يحاول إصلاح الانقسام الذي يسكنه، لا يمكنه الهروب من هذا القانون، والذي قد نطلق عليه قانون تدهور الطاقة الفنية. وإذا كان النقد في يوم ما يجب أن يخضع للمحاكمة، فإن تهمته التي سيكون عاجزًا عن الدفاع عن نفسه حيالها هي أنه، على وجه التحديد، قد اعتمد موقف نقد-ذاتي غير كافٍ، متجاهلًا السؤال عن أصله الخاص ومعناه الخاص. ومع ذلك، فإن التاريخ، كما يُقال، ليس حافلة يمكنك الخروج منها، وهكذا، رغم هذا الخطأ الأصلي، ومهما كان التناقض الذي قد نجده، فقد أصبح الحكم الجمالي، في الوقت نفسه، العضو الأساسي لإدراكنا الحسي للعمل الفني.

وقد بلغ الأمر حدًا بحيث يسمح لعلم أن يولد من رماد البلاغة ولا يوجد، في البناء الحالي، ما يعادله في أيّ زمن آخر. وعلاوة على ذلك، فقد خلق شخصية، شخصية الناقد الحداثي، حيث السبب الوحيد لوجوده ومهمته الحصرية هي ممارسة الحكم الجمالي. وتحمل هذا الشخصية ضمن نشاطها التناقض الغامض لأصلها. أينما واجه الناقد الفن، فإنه يعيده إلى نقيضه، مذيبا إياه في اللاّفنّ؛ وأينما يمارس تأملاته، فإنه يجلب معه اللاوجود والظل، كما لو أنه لم يكن لديه أيّ وسيلة أخرى لعبادة الفن سوى الاحتفال من نوع القداس الأسود تكريما لديوسوس إنفرسوس، الإله المقلوب، للاّفنّ. إذا كان لأحد أن يتصفح الكتلة هائلة من كتابات لونديستس في القرن التاسع عشر، من الأكثر غموضا إلى الأكثر شهرة، يفاجأ المرء حين يلاحظ كمّ الاعتبار والمساحة الممنوحة لا للفنانين الجيدين وإنّما للمتوسطين والسيئين".

ويؤكد أن "الحقيقة الأعلى للعمل الفني هي الآن المبدأ الإبداعي الشكلي الخالص الذي يحقق إمكاناته فيه، بشكل مستقل عن أيّ محتوى. وهذا يعني أن ما هو ضروري للمتفرج في العمل الفني هو بالضبط ما هو مغترب عنه ومسلوب الجوهر، في حين أن ما يراه بنفسه في العمل، أي المحتوى الذي يدركه، لم يعد يبدو له بمثابة الحقيقة التي تجد التعبير الضروري في العمل، بل بدلًا من ذلك، الشيء الذي يدركه تماما وبالفعل بوصفه ذاتا تفكر، وبالتالي فإنه يمكن أن يعتقد نفسه قادرًا على استنطاقه والتعبير عنه بصورة شرعية.

ويشير أغامبين إلى أن الحكم النقدي يمر بانحسار أو كسوف، ولكن مدته وعواقبه لا يمكن إلا أن تكون تخمينات. واحدة من هذه -وليس الأكثر تشاؤمًا- هو أنه إذا لم نبدأ في أن نسأل الآن، وبقوة، عن أساس الحكم النقدي، فإن فكرة الفن كما نعرفها سوف تنزلق من بين أصابعنا دون فكرة جديدة تأخذ مكانها على نحو فعّال. إلا إذا عزمنا على استخلاص، من هذه العتمة المؤقتة، السؤال القادر على حرق فينيق الحكم الجمالي من قمة الرأس إلى أخمص القدمين والسماح بطريقة أكثر أصالة، وأكثر أولية، للتفكير في الفن.

ويضيف "الآن، إذا ما سألنا أنفسنا مرة أخرى، ماذا عن الفن؟ ماذا يعني أن الفن يشير إلى ما هو أبعد منه ؟ يمكننا الإجابة ربما: الفن لم يمت ولكنه، وقد أصبح اللاشيء مدمرًا ذاته، يُبقي نفسه على قيد الحياة إلى الأبد.

بلا حدود، ومفتقرًا للمحتوى، ومزدوجًا في مبدأه، يتجول في أرض الجماليات حيث اللاشيء، في صحراء من الأشكال والمحتويات التي توجهه باستمرار إلى ما هو أبعد من صورته الخاصة التي يستحضرها ويلغيها فورا في محاولة مستحيلة للعثور على يقينه الخاص. يمكن لغسقه أن يستمرّ لأطول من يومه كله، لأن موته هو، على وجه التحديد، عدم قدرته على الموت، عدم قدرته على قياس نفسه بالنسبة إلى الأصل الجوهري للعمل.

الذات الفنية دون محتوى هي الآن القوة الخالصة للنفي التي تؤكد في كل مكان وزمان نفسها فقط بوصفها الحرية المطلقة التي تعكس نفسها في وعي ذاتي خالص. ومثلما أن كل محتوى يسير بمقتضاها، فإن المساحة الملموسة للعمل تختفي فيها، المساحة التي وجد فيها كل من عمل الإنسان والعالم ذات مرة حقيقتهما في صورة الإلهي المقدس، وبها اعتادت سكنى الإنسان على الأرض أن تحدد قيمتها مباشرة. في الدعم الذاتي الخالص للمبدأ الإبداعي الشكلي، يصبح مجال المقدس، مبهما وينسحب، وفي خبرة الفن يصبح الإنسان واعيا، بأكثر الطرق جذرية، بالحدث الذي رآه هيجل بالفعل السمة الأكثر أهمية للوعي غير السعيد؛ الحدث الذي أعلنه مجنون نيتشه "الإله ميت".

إن الجماليات ليست ببساطة البعد المتميز الذي ادّخرته حساسية الإنسان الغربي المتطورة للعمل الفني بوصفه مكانه الأكثر ملائمة؛ بل إنها مصير الفن نفسه في العصر الذي لا يعود الإنسان فيه قادرًا، مع التقاليد التي قُطعت الآن، على العثور، بين الماضي والمستقبل، على مساحة الحاضر، ويضيع في الزمن الخطي للتاريخ. ملاك التاريخ، الذي علقت أجنحته في عاصفة التقدم، وملاك الجماليات، الذي يحدق في أنقاض الماضي في بعد لازمني، لا ينفصلان. وطالما لم يجد الإنسان طريقة أخرى لتسوية الصراع بين القديم والجديد، فرديًا وجماعيًا، وبالتالي الاستيلاء على تاريخيته، يبدو من غير المحتمل تجاوز الجماليات التي لن تقتصر على تضخيم الانقسام الذي يجتازه.

يذكر أن تلقى أغامبين تعليمه في القانون والفلسفة في جامعة روما، حيث كتب أطروحة دكتوراه عن الفكر السياسي لسيمون ويل. وله عشرات المؤلفات، درّس في جامعة ماشيراتا وجامعة فيرونا والكلية الدولية في باريس وجامعة ديلا سفيزيرا الإيطالية وجامعة إيواف دي فينيزيا والمدرسة الجديدة في نيويورك والمدرسة الأوروبية العليا حيث يشغل كرسي باروخ سبينوزا.

> أغامبين يرى أن دخول الفن في البعد الجمالي. وفهمه بدءا من إحساس المتفرج. ليس ظاهرة بريئة وطبيعية كما نعتقد عادة

شخصية المتطرف في الرواية

صور من أربع روايات لفوّاز حدّاد

هيثم حسين
كاتب من سوريا

لوحة عزة الشريف

تقارب الرواية الواقع والتاريخ، توثّق لعصرها بكلّ ما يعترك فيه من تناقضات واختلافات ونقائض، تعالج قضاياه المستجدّة، وتسعى لتأريخ تفاصيلها، تتمّ معالجتها وتصويرها عبر شخصيات تمثّل كلّ طرف أو فكر وترمز إليه، حيث أنّ الرواية تصبح بمثابة دراسة فكرية وفلسفية واجتماعية نفسية وتاريخية للأحداث والشخصيات، وإن كان ذلك كلّه عبر الخيال والتخييل المبنيين على الوقائع والتواريخ والمنطلقين منهما.

تبرز الروايات أنّ التطرّف لا يقتصر على جانب حياتيّ أو سلوكيّ بعينه، بل يتعدّى إلى مختلف مناحي الحياة، وإن كان التطرّف قد ألصق بالدينيّ في الخطابات الإعلاميّة الراهنة، لكنّه لا ينحصر أو يتقيّد به، بل هو انعكاس زاوية من زواياه المتشعّبة، وحالة من حالاته المتكاثرة في الواقع.

يتعامى المتطرّف الذي يرفع الدين ستاراً وشعاراً عن واقعه، يسدّ أذنه عن سماع الأصوات المختلفة عنه، يخشى من التغيير، وإن كان يزعم نشدانه، إذ أنّ التغيير الذي ينشده يختلف عن ذاك الذي يقضّ مضجعه ويتهرّب منه، لأنّه يأمل ويعمل على توسيع رقعة تطرّفه يستقطب أتباعاً ودعاة ومريدين لفكر التطرّف الذي يسجنه في ظلماته. المتطرّف النقيض، ذاك الذي يعادي الدين، يشهر أسلحته بدوره ليكون رأس حربة في حربه المعلنة على الدين، لا يعدم اختلاق الذرائع لتشويه المختلفين عنه، وتراه صورة مشوّهة عن الفكر الذي يزعم قدرته على التغيير ومرونته لمواكبة الجديد والعصري.

صراعات التاريخ والحاضر

هناك كثيرون من الروائيّين صوّروا شخصيات أبطالهم بصور متطرّفة، نقلوا من خلالهم حالات وظواهر تاريخية وأخرى معاصرة، كانت تلك الشخصيات علامات على دروب الإنارة والمعرفة، والتركيز على القضايا التي تكون مثار المقاربة والمعالجة والتناول.

يعدّ السوريّ فوّاز حدّاد أحد أبرز الروائيّين السوريّين الذين صوّروا عوالم غنية مفعمة بشخصيات قلقة، باحثة عن انتماء هنا أو هناك، وتراه في عدّة أعمال له يركّز على قضايا الإرهاب والتطرّف والاحتراب، وذلك في سياق قضايا أخرى يعالجها بتدقيق الحريص على مجمل التفاصيل المحيطة بها.

بالاطّلاع على نماذج من الشخصيات التي يرسمها حدّاد في بعض أعماله الروائية المنشورة ما بين 2017 و2018، يمكن الوقوف على شخصيات غاية في التطرّف في المنحى الذي توضع فيه، من ذلك مثلاً شخصيات في رواياته "عزف منفرد على البيانو"، "جنود الله"، "السوريّون الأعداء"، "الشاعر وجامع الهوامش".

في رواية "عزف منفرد على البيانو" يرسم فوّاز حدّاد صوراً شتّى للتطرّف، هناك المتطرّف العلماني، وهناك المتطرّف التابع للنظام، يمثل جانباً من جوانب التطرّف الذي يسود بنية النظام الإجرامية الناهضة على العنف والفساد والتطرف والقتل.

تكون شخصية الأستاذ المفكر فاتح القلج بتخبطاته واضطراباته وأوهامه ومخاوفه مثالاً للتطرّف الذي يتّخذ هيئة متحضّرة، مستعينة بالفكر في صراعها مع الواقع والتاريخ. يوقع الروائي شخصية بطله في مأزق ليمرئي التطرّف الكامن في روحه، وذلك من خلال دفعه ليصبح تحت حماية أجهزة تابعة للسلطة، ومواجهته لشخصية متطرف من النظام، يكون صدى للتطرف السابق ونتيجة له.

يكون الخبير سليم موفداً سرّياً إلى المفكر العلماني، يحاول الانسلاخ عن ماضي أسرته التي كانت ضحية بدورها، ويسعى إلى التكتم عن حالته كابن لأحد ضحايا الجماعات الإسلاميّة التي سحلت أباه سحلاً على مرأى ومسمع من الناس، ثمّ دفنته بعد أن جمعت عظام آخرين معه في قبر مشترك، قيل له إنّه قبر والده.

يبرز الروائي كيف أنّ الخبير سليم يظلّ مسكوناً بعقد كثيرة، يسعى إلى الانتقام بشتّى السبل، يلوذ بالتطرف والعنف والقتل والإجرام للثأر من الماضي وشخصياته التي تسببت بيتمه وقهره. كما يظهر استغلال النظام لعقد الناس وتحويلهم إلى وحوش في خدمة سياساته العدوانية.

في رواية "جنود الله" يكون تصوير التطرّف حاضراً بقوة، وذلك عبر عدّة شخصيات، هناك حالة أخرى من التطرف العلماني اليساري التي أفضت إلى تطرف إسلامويّ مشوّه، كأنّه يكون رداً على تطرف سابق، لكن بطريق معاكسة تماماً، يكون المشترك بينهما عدم تقبل الآخر، واعتباره عدواً ينبغي التخلص منه لمجرد أنه مختلف.

ينبش حدّاد الدوافع المفضية إلى صياغة شخصية المتطرف، الأب اليساريّ العلماني الذي لا يستطيع المحافظة على أسرته، يفقد صديقته التي يبدأ بمعاداتها، وابنه سامر الذي يكون طفل الخطيئة، يستكمل نسل التطرّف بصيغة أشدّ عنفاً ودموية ووحشية، الذي يحمل آلامه وضغائنه على والده ومحيطه، ليتحوّل إلى العنف ويستعين به في محنته ورحلته في بحثه عن ذاته المهدورة.

يتورّط سامر في الانضمام لتنظيم "القاعدة" في العراق، يتسلّم منصباً قيادياً فيه، يصبح أميراً من أمرائها يعرف بالأمير عبدالله السوري، يدعو إلى القتل والعنف وممارسة الأعمال الانتحارية، يحرّض على ما يسمّيه بالجهاد ويدعو له، وتراه يحكم نشأته في بيئة علمانية، مطلعاً على المحاججات ومتمكناً من خوضها. يكون إفرازَ التطرّف اليساريّ، يغالي في تطرّفه، يضيف إلى تطرّف والده السابق، يشينه بالعنف والدم اللذين يراهما السبل الوحيدة لنشر مبادئ جماعته والردّ على الأعداء.

يصوّر حدّاد كيف أن الفشل الأسري يقود ابن مفكّر علماني يدرس الإرهاب ويحاول تشريح بناه الفكرية إلى أحضان الإرهاب نفسه، ليصبح إرهابياً قيادياً، يرافق أبو مصعب الزرقاوي في تنقلاته، كما يوزّع مهمات الانتحاريين وينهض بدور المحامي عن الفكر الإرهابي المتقنع بأقنعة الدين والتدين. كما يصور حدّاد صورة من صور التطرف المسيحي كذلك في "جنود الله" وذلك من خلال شخصية القسيس توماس باركلي ذي الماضي المشين، باركلي يؤكّد أنّ هذه الحرب الدائرة هي حرب مقدّسة، صليبيّة، ويدعو إلى إنقاذ جنود الربّ والتطوّع لمحاربة جيوش الشيطان.

عنف وحشي

في روايته "السوريون الأعداء" يصوّر حدّاد شخصية النقيب سليمان الذي يتبدّى مهندس الخراب الكارثيّ الذي يساهم فيه بقسطه، يحمل حقداً منقطع النظير على الآخرين، يحمل حقداً على ذاته كذلك، كأنّه لا يمكنه العثور على بذرة محبة في داخله، يكون العداء مستوطناً في كيانه ومشوّهاً لنفسيّته وروحه التي تكون متسمّمة بسموم الحقد القاتل.

الطالب الفاشل الذي يشي بخاله المعارض للأسد في بدايات انقلابه، ولا يهتمّ لنبذه من قبل أسرته، يسير وراء هوسه بالسلطة، تعميه شهوة القتل والتسلط، يحمل كثيراً من العقد النفسيّة في داخله، يكون مشوّهاً في قراراته، يحاول التعمية على قلقه ووساوسه المرضيّة بتقديم ولائه المطلق لسيّده الذي يستغلّ تلك الروح العدوانية لديه، وينقله من الجامعة التي يفشل على مقاعد دراستها إلى صفوف الجيش ليمارس دوره في الوشايات والفتن، ثمّ لينقله إلى القصر ليكمل دوره المنوط به. يتحوّل إلى وحش بيد النظام، يبني نظامه الوحشي الخاصّ به أيضاً، يكون حلقة من حلقات التطرف الدموية، ومخطّطاً للقتل والإرهاب والدمار، يستعين بأدوات إجرامية ليمارس تطرّفه العنيف، وبغضه الغريب على السوريين الآخرين جميعاً.

يظهر سليمان مسموماً بحقده الذي يقوم بتحويله إلى طاقة عنفية هدّامة، ينكّل بجثث الأبرياء، يلعب دوراً في المجازر الطائفية التي وقعت في مدينة حماة السورية في بدايات الثمانينات في القرن العشرين، وكان أحد موفدي النظام حينها للقضاء على التحرّك الشعبيّ الرافض للحكم الطائفيّ البغيض.

يكون سليمان متطرّفاً في ولائه لسيّده، يوقن أنّ وجوده مرتبط به بطريقة شرطية لا غنى عنها، وأنّ تفانيه في خدمة سيده يكفل له الاستمرار في دوره كمهندس للخراب ومحرّض على التدمير والقتل، يكون وجهاً بشعاً من وجوه السلطة المتطرفة.

هناك المتطرف الآخر الباحث عن العدالة وسط ركام المآسي والجرائم المنسوبة إلى مجاهيل، في حين أن المجرمين الفعليين معلومون بشخصياتهم وهوياتهم المعبرة عن ضغائنهم تجاه البلد وأهله، يكون الطبيب عدنان الراجي الضحية التي لا ترضى بالتحول إلى قاتل، تمنعه أخلاقه من التحول إلى قاتل، أو التفكير في ذلك، يؤثر الاستمرار في رسالته الإنسانية كطبيب، يختار الانضواء تحت لواء الثورة عساه يساهم بقسطه فيها.

يكون الضحية الآخر؛ الراجي، المتشبّث بالعدالة المفترضة، يتخذها دريئة ليغلّف ما يتناهبه من مشاعر متناقضة من خوف وجبن وكره.. يحمل جراحه ويحاول المكابرة عليها، يزعم النظر إلى الأمام، في حين أنّه ينوء بأعباء الماضي القاتلة التي لا ترضى أن تزايله.

خراب وتشويه

في روايته الأحدث "الشاعر وجامع الهوامش" يختار حدّاد بطل الرواية شاعراً، يكون الشاعر مأمون حاملاً لبذور التطرّف من جهة الجبن والتحسّب والتردّد والتبعية، يمضي في المهمة التي تمّ تكليفه بها إلى قرية "مغربال" ليقف على حقيقة الصراع الدائر فيها، ويقوم بتشريحه بدقة. تراه يستقوي بالسلطة الوهمية التي يتمّ إشعاره أنّه تمّ منحه إياها، في حين يشعر في قرارته أنّه رسول الخراب إلى الخراب لا غير.

> بالاطّلاع على نماذج من الشخصيات التي يرسمها حدّاد في بعض أعماله الروائية المنشورة ما بين 2017 و2018، يمكن الوقوف على شخصيات غاية في التطرّف

> في روايته الأحدث «الشاعر وجامع الهوامش» يختار حدّاد بطل الرواية شاعراً، يكون الشاعر مأمون حاملاً لبذور التطرّف من جهة الجبن والتحسّب والتردّد والتبعية

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

فنان سوريّ يرى الطبيعة وكائناتها ظواهر لونيّة

محمود الداود: قرار إنهاء اللوحة فعل أنانيّ

كل عنصر في الحياة يحوي سحرا خاصا أحاول التقاطه في لوحتي

لا يمكن أن نحدد بدقة ملامح التكوينات التي نراها في لوحات الفنان التشكيلي السوري محمود الداود، الذي أقام معارض فرديّة وشارك بأخرى في سوريا ولبنان والكويت وإسبانيا، تاركا إيانا أمام ما يشبه أجسادا بلا حدود ولا ملامح واضحة، تطفو داخل اللوحة تاركة للمخيّلة إكمالها، لنراها تتحرك بين القماش وبين مخيّلة المشاهد، الذي يحار في "حسم" معنىٰ ما يراه، فالداود في بحث دائم عن مفهوم تختزنه اللوحة لا يمكن له أن يتجلىٰ بوضوح، "العرب" اللندنيّة التقت الداود في محاولة للإجابة عن التساؤلات الجماليّة والتقنيّة التي تستدعيها أعماله.

عمار المأمون
كاتب سوري

لا تحضر ضربات الريشة في أعمال الداود، بل يركّز علىٰ المزج علىٰ "الكانفس" تاركا للألوان حرية الظهور والتداخل، ما يثير سؤال الضوابط الجماليّة والتقنيّة التي يوظفها ليصل إلىٰ ما هو "نهائيّ".

بصورة أدق، هل يمتلك الداود لديك تخيلا مسبقا عن النتيجة، فيجيب بأنه لا توجد ضوابط لما هو مناسب في عمله الفنيّ، لأن وجودها يعني تحول العمل إلىٰ جملة من المعادلات الرياضية، فهو يرسم كما يشعر خصوصا أن أجمل مراحل العمل هي اللحظات التي يقوم فيها ببناء طبقات من الألوان علىٰ القماش معيدا إياها مجددا دون خوف من البداية.

ويضيف "علىٰ الفنان أن يخاطر لأن السعادة المصاحبة لانتهاء العمل تخفي كل مراحل الضياع التي كانت سابقا، فالعمل الفني بالنسبة لي هو حقيقة في عالم مليء بالأشياء المزيفة يحمل جاذبية وسحرا خاصا به، ومنذ بداية بحثي الفني دائما ما كان يستهويني اللون كوجود طبيعي علىٰ سطح العمل دون تدخل، لأترك الحرية لتداخلات لونية تبقيني مستمتعا لنتيجة دائما ما تجعلني أبدأ بتخيل تلك الأشكال التي أفكر بها وكيفية تلاقيها مع ذلك المزيج اللوني علىٰ سطح العمل".

يؤمن الداود بالتجربة المستمرة، فالفنان يقدم ذلك المشهد الصامت الذي لا يستطيع قوله ككلمات، أما المفهوم فمرتبط بالتجربة المتغيرة دوما، فكل مرحلة فنية بحاجة إلىٰ حساسية جديدة يرتبط بها، فهو لا يعمل تحت جملة من القواعد المكررة لإنجاز العمل الفنّي إنما يحاول دائما خلق مفهوم جديد للوحته القادمة، فكل عمل يجب أن يحمل سحرا خاصا به.

ويضيف "أريد التأكيد علىٰ كلمة سحر فهذه الكلمة تستحوذ علىٰ كامل تفكيري عند العمل في مرسمي، فلكل عنصر في الحياة سحر مرتبط به وبكينونته، وهذا ما أحاول تجسيده في لوحاتي فكل عنصر وكل مساحة لونية يجب أن تحمل سحرا وجاذبية لتكمل ذلك المشهد الذي أحاول الوصول إليه".

تتلاشىٰ الحدود ضمن التكوينات في لوحات الداود، وكأنه لا توجد مساحة صلبة، وكأن الشكل يُحتوى بناء علىٰ امتداد مساحة اللون، لنرى أحيانا أشكالا دون مرجعيات واقعية أو فنيّة وأحيانا لوحات دون اسم، فما الذي يراهن عليه الداود في هذا التحرر من المرجعيّة؟ فيجيب "لا أستطيع وضع حواجز أو قيود فأنا أهرب من كل تلك القيود التي تحيط بنا إلىٰ داخل مرسمي لأرسم هذا العالم المتخيل الذي أحلم يوما ما بالعيش بداخله، فاليوم أصبحت أرى تلك الأشكال علىٰ قيد الحياة بقربي فكل شيء أراه من حولي يتحول إلىٰ شكل لوني علىٰ القماش تستهويني تلك الكتل الإنسانية الضخمة المنهكة وكأنها أقرب إلىٰ عمل نحتي ولكن كما ذكرت سابقا أن لكل مرحلة وعيها الخاص بها فأنت كفنان يجب أن تقدم شيئا جديدا لتخلق حالة متجددة، لا أرغب بأن أعيد عملا أتقنته مرارا مع تغيير اللون، هذا يشكل ورطة الوقوع في التكرار ومن المفروض أن كل مرحلة مختلفة عمّا قبلها.

وما أطمح له في أي عمل فني أبدأ به هو أن أخلق حالة خاصة بي بغض النظر عن معرفتي بتاريخ الفن فليس لدي قانون أو قواعد فنية أتبعها أثناء العمل وإنما أترك لنفسي الحرية الكاملة لخلق عمل متفرد وذاتي".

يقول الداود إنه منذ بداية بحثه الفني كان يبتعد عما هو جمالي فقط، ما يهمه بالدرجة الأولىٰ هو أن يجذبه العمل، وأن يضع ما يشعر ويفكر به علىٰ سطح اللوحة.

> أريد التأكيد على كلمة سحر فهذه الكلمة تستحوذ على كامل تفكيري عند العمل في مرسمي، فلكل عنصر في الحياة سحر مرتبط به وبكينونته

أما الجمالية فهي نتاج مجموعة من العوامل التي تظهر عند نهاية العمل ويضيف "في معظم أعمالي هنالك كتل تبدو ذات ثقل ولكنها طافية دون ارتكاز علىٰ الأرض، وفي اللوحات التي أعمل عليها الآن تبدو هذه الفكرة أوضح، السبب يعود إلىٰ رغبتي بتصوير الأشياء والشخوص في حالتها البدائية متحررة من القيود والضوابط التي فرضت عليها لذلك أسعىٰ لتصوير كل كائن أرسمه ضمن علاقة حيّة مع الطبيعة وكجزء لا يتجزأ منها، فدائما ما أشعر بأن العمل متحرك في رأسي يمكن لكائناتي الطيران والمشي والحركة ضمن فضاء العمل ومن الطبيعي أن تجعلني هذه الحركة المتواترة أشعر بعدم انتهاء العمل وبأنه مستمر وأن القرار بإنهائه هو قرار أناني".

سألنا الداود عن الخصائص السياسيّة التي يمكن أن تكتسبها لوحاته بسبب مساحة عرضها "بيروت- دمشق" وما هو مقدار الحذر الذي يتوخاه حين المشاركة في معرض ما، فيجيب بأنه يعيش في دمشق ضمن ساحة الحرب الدائرة، ولا يمكنه أن يعزل نفسه عنها بأي شكل من الأشكال عن آثارها التي تظهر في حياته وأعماله بطريقة ما ولكنه لا يسعىٰ أبدا لأن يسوّق أعماله ضمن مرحلة معينة أو تيار معين.

ويضف "لدي قناعة عميقة بأن اللوحة لا يمكن لها أن تغير ما يحدث، كذلك لا يمكنني تصوير ما يحدث بشكل مباشر لأني أشعر بالابتذال حينها فأنا أؤمن بالجمال ضمن العمل الفني فلا أستخدم لوحة لاستدرار عواطف المتلقي وتسويق عملي تبعا لحالة إنسانية".

أرواح ميتة

أميرة الموت

كائنات تطفو بلا حدود

الأندلس تجربة متفردة في تاريخ الإنسانية

المخرجة الإسبانية إيسيار بوياين تتحدث عن علاقتها بعشاق السينما

قدرة على تحويل أي حدث عابر أو واقعة أو فكرة إلى حكاية مكتوبة

أخرجت الإسبانية إيسيار بوياين سبعة أفلام روائية طويلة، مثلما أخرجت سبعة أفلام تسجيلية، وكتبت سيناريو سبعة أفلام.. لكنها، وقبل ذلك أدت دور البطولة في عشرات الأفلام الإسبانية الشهيرة، في 27 فيلما تحديدا، منذ فيلم "الجنوب" للمخرج فيكتور إيرسي سنة 1983 وصولا إلى فيلم "ليلة الأخ" لسانتياغو غارسيا دي ليانيث، ومجموعة من أعمال المخرج خوصي لويس بورو وآخرين. هذه التجربة الزاخرة في التمثيل مكنتها من التقدم إلى عالم الإخراج والوقوف وراء الكاميرا هذه المرة، وهي تدرك جيدا معنى أن تقف أمامها أيضا.

مخلص الصغير
كاتب مغربي

مع اسم السينمائية الإسبانية إيسيار بوياين في عالم التمثيل، وأصبحت في ظرف عشر سنوات نجمة سينمائية، مثلما دخلت ابنة مدريد عالم الإخراج السينمائي من بابه الفسيح لتقدم لنا أفلاما رائقة من قبيل "أهبك عيني" و"زهور من عالم آخر" و"حتى المطر"، و"ماطاهاريس"، و"السنيورة"، وأفلاما أخرى توجت في العديد من المهرجانات الدولية، كان آخرها فيلم "شجرة الزيتون" الذي أخرجته قبل سنتين، وكرسها واحدة من علامات السينما الإسبانية، ومن ضمن أبرز مخرجات الحوض المتوسطي.

وعبر هذا المسار الطويل لصاحبة الفيلم القصير "العشاق القتلة" امتلكت إيسيار بوياين تجربة كبيرة في عالم السينما، كما تحكيها لنا في هذا الحوار مع "الجديد".

أمام الكاميرا

تألقت إيسيار بوياين في عالم التمثيل منذ شبابها. وهي ترى بأن "الوقوف أمام الكاميرا تجربة إنسانية تعلمنا الكثير، ونحن نتقمص حيوات أخرى، حيث نشعر بقيمة الكيان الإنساني عندما نعرض مشاعره وانفعالاته، ارتباطا بوقائع وقصص متخيلة، لكنها شديدة التعبير عن الوجود الإنساني برمته".

وترى بطلة فيلم "سقف العالم" أن أحلامها في عالم التمثيل "ظلت بلا سقف، رغم أنني انتقلت إلى عالم الإخراج في حدود 1992، مع تجربة فيلم قصير، ثم مع أول أفلامي الروائية الطويلة، وهو فيلم 'هل أنت وحدك؟' سنة 1995".

كما تؤكد السينمائية الإسبانية أنها أفادت الكثير من تجارب المخرجين الذين اشتغلت تحت إدارتهم وخبراتهم في مجموع الأعمال السينمائية التي شاركت في بطولتها.وهذه التجربة التي امتدت على مدى 27 فيلما جعلتها على دراية بمختلف مدارس السينما الإسبانية وتياراتها، وهي تتنبأ لها بالأفضل، خلال السنوات المقبلة، بسبب تطور الصناعة السينمائية في عالم اليوم.

لكن النجمة الإسبانية تحذر من ممثلات الأضواء والإغراء، معتزة بتجربتها في عالم التمثيل، والتي حرصت فيها على "النفاذ إلى عمق الشخصيات التي كنت أجسدها من أجل كسب تعاطف المشاهد، وانغماسه في عوالم التجربة الفيلمية إلى درجة ينسى فيها أنه بصدد عمل سينمائي".

ذلك لأن قمة التمثيل في نظر بوياين هو "أن لا يظل تمثيلا، بحيث يصبح شكلا من أشكال الحقيقة وتجلياتها في حركات الممثلين وسكناتهم ومشاعرهم، وعلى محياهم، وفي تفاعلهم مع القصص التي يحيونها".

> في رؤيتها السينمائية تقر بوياين بأن «الإخراج تمرين يعلّم التواضع، لأنه يجعلك تكتشف قدرا هائلا من المسؤولية عليك تحملها»

خلف الكاميرا

سرعان ما تألقت إيسيار بوياين عندما وقفت وراء الكاميرا لتقدم لنا أعمالا سينمائية مثيرة. وقد برزت تجربتها السابقة في التمثيل حين استطاعت اكتشاف مواهب سينمائية جديدة أدارتها بإحكام وبثت فيها روحا سينمائية قوية. وهي تؤكد فضل التمثيل في نجاح تجاربها في الإخراج مع الممثلات والممثلين، من الجيل الجديد، منذ تسعينات القرن العشرين. كما قدمت هذه المخرجة الإسبانية أعمالا سينمائية تحكي تجارب إنسانية فاصلة، تثير دهشة المتلقي أكثر مما تهادنه، "لكن هذا الجانب الإنساني لا يعني أن تكون السينما ملتزمة بقضايا إنسانية معينة، ما دامت السينما نفسها قضية جمالية إنسانية في نهاية المطاف"، تشدد محدثتنا. وهي ترى أنها لا تشتغل في أعمالها السينمائية تحت وطأة فكرة الالتزام حيث تقول "أعتبر أنني ملتزمة مع المتفرج، وملزمة باحترام ذكائه وعدم التحايل عليه".

لذلك، تضيف المخرجة، فإنني "أحرص على أن أحكي وأصور له حكايات تشبه تلك التي يروقني أن يحكيها لي الآخرون، عن فضاءات وعن عوالم مختلفة ومغايرة للمألوف واليومي العادي". من هنا، فإن "التزامي إنما يكمن في تقديم قصص جذابة وإخراج أفلام تضيف شيئا ما وتكون مؤثرة". وهو تأثير جمالي، بالأساس، في نظر المخرجة دائما.

وعن معنى الإخراج في رؤيتها السينمائية تقر بوياين بأن "الإخراج تمرين يعلّم التواضع، لأنه يجعلك تكتشف قدرا هائلا من المسؤولية عليك تحملها".

وإلى جانب كونها ممثلة ومخرجة وكاتبة سيناريو، تصر محدثتنا على أنها "متفرجة"، قبل هذا وذاك. وهو "ما يشجعني على طرح الأسئلة على أفلامي نفسها، من قبيل: هل يمكن لها أن تصل وتتواصل مع متفرجين من مجتمعات أخرى؟ وهل ظلت أسيرة نزوع محلي؟ وما هو الشيء الهام والجديد الذي سيحمله معه المتلقي بعد نهاية العرض...؟". وأما الإجابات التي تلتمسها المخرجة لهذه الأسئلة فما هي إلا ذرائع، حسب رأيها، من أجل مواصلة فتنة السينما، ومهنة الإخراج.

كتابة السينما

تتحدث إيسيار بوياين هنا عن قضية أساسية تحكم تجربتها في الإخراج، وهي أنها لا تبحث عن موضوع ما لكي تجعل منه فيلما سينمائيا، بل إن هذه الأفلام هي التي تبحث عنها، كما تقول، باقتراح من صديق أو صديقة، أو عن طريق المصادفة.

وهذا ما يتحقق لها بفضل خبرتها في كتابة السيناريو أيضا، بما يمنحها القدرة على تحويل أيّ حدث عابر أو واقعة أو فكرة إلى حكاية مكتوبة، ثم إلى حكاية بصرية ترويها للعين.

وبرغم تعاملها مع نجوم مكرّسين مثلما تتعامل مع ممثلين صاعدين أو تكتشفهم هي لأول مرة، تؤكد المخرجة، بل كاتبة السيناريو، هذه المرة، أن "السيناريوهات التي كتبتها لم أكتبها وأنا أفكر في ممثلين محددين. بحيث يتساوى لديّ أن يكون الممثل محترفا أو يؤدي أول أدواره. وأنا أثق في الممثلين المحترفين، لأن لديهم مهارات وتحكما في تقنيات بعينها، وبإمكانهم أن يجددوا طرائقهم، وأن يعبّروا بشكل جيد عن مختلف الانفعالات. ولكن، حينما يتعذر العثور على ممثل محترف،

> سرعان ما تألقت إيسيار بوياين عندما وقفت وراء الكاميرا لتقدم لنا أعمالا سينمائية مثيرة

أو حين تراهن على وجه سينمائي جديد، فإن هذا الأمر يتطلب وقتا طويلا وعملا شاقا ومضنيا وممتعا في الآن نفسه. وهذا الاشتغال المكثف في هذه الحالة قد يصل بك إلى تجسيد أمثل للشخصية المطلوبة".

وعن علاقتها بالعالم العربي ومعرفتها بالسينما والفن في هذه الضفة الجنوبية من المتوسط، ترى بوياين أن ثمة "الكثير من الأحلام المشتركة بين الضفتين، لأننا جميعنا كائنات إنسانية بنفس الآمال والطموحات. كما أننا نحلم بطريقة متوسطية، ونفكر بطريقة متوسطية.

> الصفحات 10 - 13 - 15 تنشر بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

الأوروبي لم يعد سائحا سخيا

السياحة مرآة تعكس ثقافة البلاد وعاداتها دون عوائد اقتصادية

هل أن السياحة فعلا رافد اقتصادي مهم للبلدان العربية ذات الموارد المحدودة؟ سؤال صار يتردد منذ أحداث الربيع العربي وما تبعه من فوضى أمنية في البلدان التي عاشت موجة الانتفاضات التي طردت السائح القادم من أوروبا الغربية وما زال يتحسر عليه العاملون بالقطاع، خاصة بعد أن عوّضه سائح قادم من أوروبا الشرقية والذي لم تتحرك معه دواليب التجارة وحتى الخدمات.

لطيف جابالله
صحافي تونسي

فرجة بلا مقابل

تونس - كشفت آخر الإحصائيات أن الملايين من المواطنين في ألمانيا لا يستطيعون تحمّل تكاليف السفر لقضاء عطلات.

وأظهرت بيانات هيئة الإحصاء الأوروبية "يوروستات" أن واحدا من بين كل سبعة ألمان لم يستطيعوا العام الماضي قضاء أسبوع واحد على الأقل خارج منازلهم. ذات الإحصائية تشير إلى تراجع مستمر في نسبة الألمان غير القادرين ماديا على السفر لقضاء عطلات.

وبحسب الإحصائية، فإن الوضع أسوأ في كثير من الدول الأوروبية، فحال الإنكليز والفرنسيين والإيطاليين والإسبان ليس بأفضل حال من الألمان، هؤلاء أيضا لا يسافرون ومحظوظ من فاز بعطلة داخل بلده.

ربما ظل الأسكندنافيون قادرين على السفر وقضاء عطلهم، لكنهم يختارون بلدانا بعيدة عن رائحة البارود والتفجيرات والأخبار السيئة التي تلاحقها القنوات التلفزيونية العالمية، حتى هؤلاء لا يفضلون الدول العربية التي جعلت من السياحة رافدا اقتصاديا مهما لها مثل الأردن ومصر ولبنان وتونس والمغرب، أما الجزائر الوجهة السياحة المهجورة فهي تخطط الآن لتكون مزارا يجذب السياح في مدينة سياحية يعرف هذا النوع من الضيوف.

أزمة السياح في البلدان العربية التي مازالت تصر على أن السياحة رافد اقتصادي هام جعلت المستثمرين وحتى السلطات المكلفة بإدارة الشأن السياحي يجدون الحلول سريعا دون تخطيط أو دراسة شاملة، توجهوا إلى أوروبا الشرقية،أو كما يسمونه السوق الشرقي، وانهالت أفواج السياح من هذه الاتحاد السوفييتي سابقا، فركب الروس المناطيد في مصر، واضطرت السلطات الجهوية في مدينة المنستير الساحلية في تونس إلى استخدام اللغة الروسية في لوحات توجيهية بشوارع المدينة، بعد أن أصبح الضيوف الجدد يمثلون 30 بالمئة من الوافدين على النزل في المنستير، في سابقة هي الأولى بتونس، بل ربما في الوطن العربي.

يذكر أن تونس فتحت أبوابها لسياح أوروبا الشرقية منذ 2015 بعد أن انهارت الأسواق السياحية التقليدية عقب الهجمات الإرهابية، وباتت الروسية من بين اللغات الشائعة في المنتجعات السياحية مع الارتفاع الكبير لعدد السياح الروس. وأعجب السياح السلوفاكيون بالشاي المغربي، والعمارة القديمة وخاصة في طنجة، أين يستمتعون بالشاطئ والشمس الأفريقية، وأسال لعابهم المطبخ المغربي، فتذوقوه بأصنافه، وبهاراته.

سياح أوروبا الشرقية يأتون إلى الدول العربية في رحلات منظمة "أول انكلوزف" اي يأكلون ويشربون وينامون مقابل معلوم معيّن يدفعونه مسبقا.

استعد العاملون والموظفون في القطاع السياحي والمستفيدون منه بالقادم الجديد وتعلموا من لغته ما يكفي للتواصل، حتى تجار الأنتيكة والمنتوجات التقليدية تعلموا الترحاب والبيع والشراء باللغة الروسية، لأنهم يريدون الخروج من عنق الأزمة التي يعيشون.

لكن المفاجأة التي أول من علمها عمّال الفنادق والمطاعم، علموا أن السائح الجديد لا يعطي بقشيشا، لم يزعجهم ذلك كثيرا، لأن وجوده يحافظ على عامل النظافة والنادل والفراش في عملهم بعد أن كانوا مهددين بالجلوس على رصيف البطالة، ثم تبعهم التجار الذي حاولوا جاهدين إقناع السائح الجديد بشراء هدية ثمينة تظل ذكرى الرحلة، لكن أضطر بعضهم في الأخير إلى تحويل وجهة محله إلى مصلحة تجارية أخرى منهم من حول محله إلى مقهى للشباب المحليين المعجبين بالعمارة والأجواء القديمة، وترك لغات الدنيا والزبائن الشقر، ومنهم من غير بضاعته التقليدية الثمينة بأخرى رخيصة قادمة من الصين.

هؤلاء التجار يتساءلون من المستفيد من السياحة الجديدة تحديدا من سياح أوروبا الشرقية، أهلا بهم، لكنهم هكذا أصبحوا يزاحمون المواطن في المواد التي تدعمها الدولة، فيشاركون المواطن المواد الغذائية المدعومة والكهرباء والماء، دون أن تستفيد منهم البلد.

قليلون من يستفيدون من سائح أوروبا الشرقية، وهم تحديدا أصحاب الفنادق ووكالات الأسفار، أما الدولة فتدفع لهم دعم بعض المواد، لذلك يبدو أن القطاع السياحي بهذه الحلول لن يكون رافدا اقتصاديا حقيقا، حتى وإن تعللت الحكومات بأن الفائدة تكمُن في جلب العملة الصعبة.

حري بالحكومات أن تبحث حلولا جدية كي تستعيد السائح الثري وهو أمر صعب في ظل الفوضى الأمنية التي يشهدها الوطن العربي، أو أن تستقطب السائح الصيني وهو سائح جديد خرج حديثا للتنزه في أرجاء العالم، ليصل عددهم إلى مئة مليون سائح سنويا. فالمغرب تحرص على استقبال الصينيين وقد بلغ عدد القادمين لقضاء عطلتهم سنة 2018، حوالي 120 ألف صيني، وينفق الواحد منهم بشكل يومي حوالي 2500 درهم (262 دولارا أميركيا تقريبا)، في حين لا يتعدى معدل الإنفاق اليومي لباقي السياح الأجانب حوالي 1800 درهم (حوالي 190 دولارا أميركيا)، ليحتل الصيني المرتبة الأولى مخلفا وراءه سياح الجنسيات الأخرى من أوروبا الغربية التي تزور المغرب.

> **تونس فتحت أبوابها لسياح أوروبا الشرقية منذ 2015 بعد أن انهارت الأسواق السياحية التقليدية**

حلول أخرى يمكن أن تقترحها الحكومات لإنعاش دواليب اقتصادها لتبقى السياحة واجهة للترويج لثقافة البلاد وتراثها بعاداته وتقاليده، كما تفعل المراكز الثقافية المنتشرة في العواصم الأجنبية وفرق الفنون الشعبية التي تجول العالم.

السياح يركبون الأمواج في سيدي إفني أثناء رحلتهم إلى المغرب

سيدي إفني (المغرب) – بواجهة بحرية خلابة ومغرية للممارسة الرياضات البحرية يكون إقليم سيدي إفني مؤهلا ليكون قبلة نموذجية لهواة هذه الرياضات بصفة عامة، وركوب الموج على وجه خاص، من المغرب وخارجه.

ويسعى المهتمون بهذه الرياضة في الإقليم إلى جعل رياضة ركوب الموج وسيلة جذب سياحي ورياضي، لاكتشاف ما تزخر به المنطقة من مؤهلات سياحية وطبيعية تجمع بين البحر والجبل والسهل، ومغارات ذاع صيتها عالميا، هذا إلى جانب فرصة اكتشاف جهة كلميم واد نون باب الصحراء، ككل.

ويمارس المهتمون، حاليا، هذه الرياضة بسيدي إفني عبر ناديين، الأول بسيدي إفني والثاني بشاطئ لكزيرة المشهور، ويشارك أعضاء الناديين والمنخرطين فيه في المسابقات التي تنظمها الجامعة الملكية لركوب الموج، ضمن المنطقة الشاطئية التي تمتد من ميرلفت (إقليم سيدي إفني) إلى مدينة الداخلة.

وفي هذا الإطار، أكد رئيس جمعية نادي الصحراء لرياضة ركوب الموج بسيدي إفني، في تصريح لوكالة المغرب العربي للأنباء، أن الإقليم يتوفر على كل المؤهلات لتطوير هذه الرياضة، لتعلب دورا في استقطاب السياح للإقليم ولجهة كلميم عموما.

وأبرز في هذا السياق توفر الإقليم على شواطئ نظيفة ذات سمعة عالمية مثل لكزيرة، الذي اكتسب شهرة عالمية بفضل أقواسه الصخرية الطبيعية، وإمي نتركا وورزيك وغيرها، والتي تتميز بأمواجها وهبوب الرياح المناسبة طيلة السنة لممارسة هذه الرياضة، إضافة إلى الإقبال الكبير للسياح عشاق الرياضات المائية والسياحة الجبلية والقروية والإيكولوجية الذين يتوافدون على المنطقة، خصيصا، لممارسة هواياتهم ورياضاتهم المفضلة.

وذكر رئيس الجمعية بأن ركوب الموج أو "الركمجة" كما تُسمّى، ليست مجرد رياضة بل هي مهنة أيضا بحيث تساهم في خلق فرص شغل للشباب المكوّنين الذين يتخرجون من نوادي الإقليم الأمر الذي يحفزهم للاشتغال بشكل حر في تكوين الراغبين في ممارسة هذه الرياضة لاسيما خلال موسم الصيف.

وعبّر كثير من المهتمين بهذه الرياضة البحرية بسيدي افني عن رغبتهم في تضافر الجهود ومزيد من الاهتمام من أجل تنظيم بطولات وطنية وعالمية للتسويق لشواطئ سيدي إفني سياحيا، حيث أكد رئيس جمعية لكزيرة لركوب الموج والتنمية، محمد فكري، أن حلم رياضيي الركمجة هو تنظيم بطولة "إفني أوبن" ذات مواصفات عالمية تزيد من إشعاع عالمي للإقليم وتجذب الاهتمام الإعلامي، لاسيما الرياضي منه، وذلك على شاكلة بطولة "أكادير أوبن" المشهورة.

وقال، "الإقليم يتوفر على كل المؤهلات، بشرية وطبيعية، للعمل على إنجاح مثل هذه التظاهرات الرياضية العالمية"، مسجلا أن هذا المجال يحتاج فقط، إلى الدعم والتشجيع، داعيا كل الفاعلين والمهتمين إلى بذل الجهود " لتحقيق هذا الحلم ".

وفي الإطار ذاته أكد توفر جمعية لكزيرة لركوب الموج والتنمية على مدرسة لتكوين رياضيين في ركوب الموج، نظريا وتطبيقيا، ويشرف عليها مدرب متخصص في المجال، وتضم حاليا 35 منخرطا، ومفتوحة للفتيان والشباب من 12 سنة فما فوق.

من جانبه يرى المندوب الإقليمي لوزارة الشباب و الرياضة بسيدي إفني، ماء العينين مصطفى، في تصريح مماثل للوكالة، أن لرياضة ركوب الموج بسيدي إفني "مستقبلا واعدا"، مشددا على أهمية وضرورة تضافر الجهود لتسويقها بشكل جيد وطنيا ودوليا.

وقال المسؤول الإقليمي، إن الإقليم يتوفر على واجهة بحرية مهمة "تستوفي كل الشروط اللازمة لممارسة جيدة لهذه الرياضة العالمية"، مؤكدا أن وزارة الشباب والرياضة "شريك رئيسي للجامعة الملكية لرياضة ركوب الموج".

وخلص إلى أن إقليم سيدي إفني "يستحق فعلا تنظيم بطولة قارية في رياضة ركوب الموج لتسويق مؤهلات الإقليم على المستوى العالمي ليصبح وجهة وقبلة جذابة سياحية لعشاق هذه الرياضة على غرار مدينة الداخلة".

السفر إلى المغامرة

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

النسوية تهاجم التمييز الجنسي في الابتكارات التكنولوجية

المقاسات الموحدة للأجهزة الإلكترونية والبرامج لا تناسب الجميع

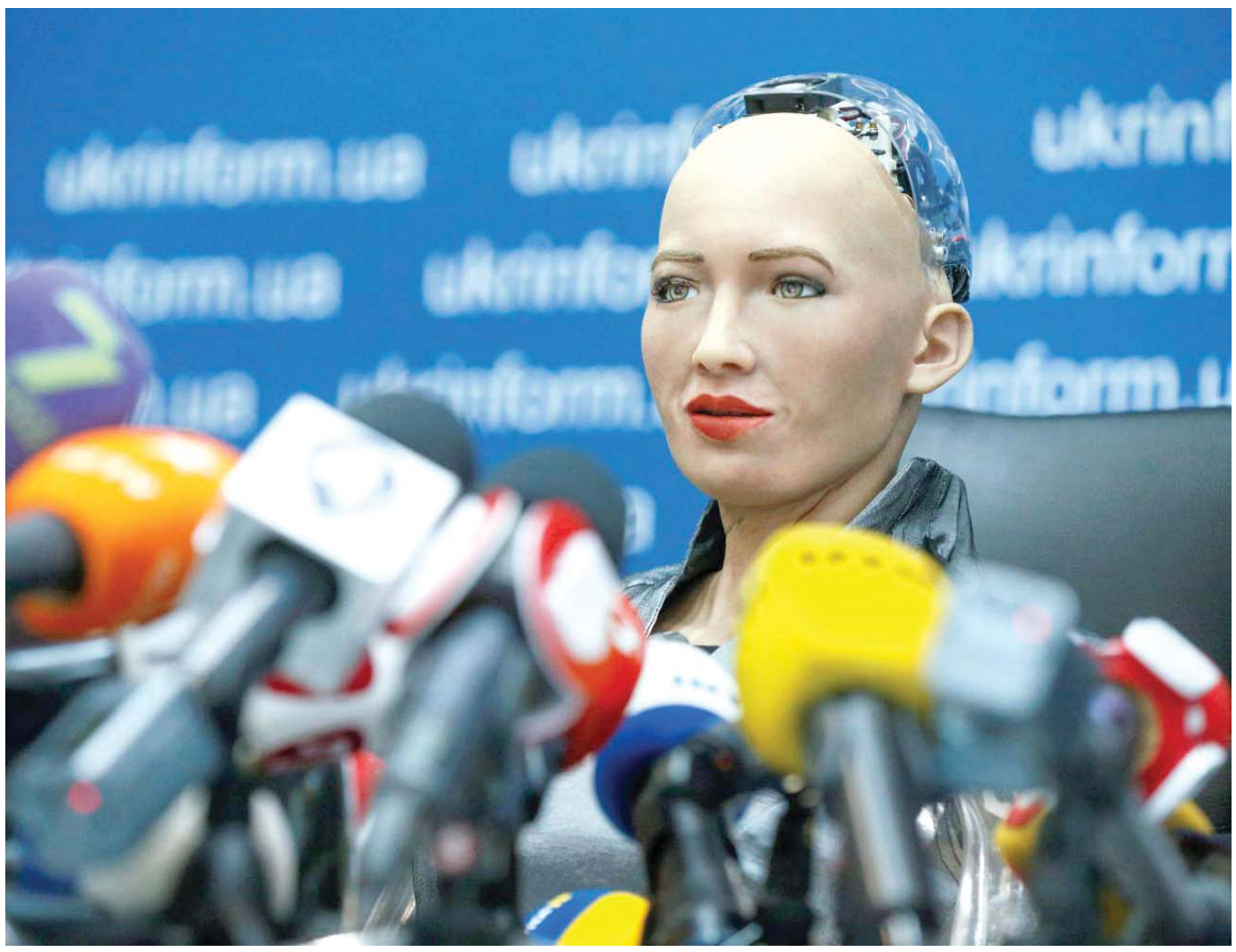

تأنيث شكلي بأعماق ذكورية

سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

تتصاعد في ثنايا التقارير والدراسات الأصوات النسوية المتذمرة من انحياز منتجات وبرامج التكنولوجيا لصالح الرجال في مستويات عميقة تتكشف يوما بعد يوم عن تفاصيل جديدة.

الشكوى المباشرة والأكثر وضوحا هي المقاسات، حيث تجد معظم النساء أن أحجام الأجهزة في الغالب غير مناسبة بدرجة ملاءمتها للرجال مثل سماعات الرأس، أو حتى أحجام الهواتف الذكية، التي تجدها بعض النساء أكبر مما ينبغي.

لكن موضع التذمر الأكبر واتهامات الانحياز للرجال بدأت تتسع وتصل إلى عمل البرامج الذكية ودرجة تفاعلها واستجابتها للرجال والنساء.

هناك اليوم اختبارات تؤكد على سبيل المثال أن برامج المساعد الصوتي تستجيب لأصوات الرجال بطريقة أفضل من استجابتها للنساء، اللاتي يقول بعضهن أن ذلك قد ينطوي على تحيّز عميق في تصميم البرامج.

تمييز يبدأ بالمقاسات

تقول الكاتبة إيلين مور في مقال في صحيفة فايننشال تايمز البريطانية إن القاسم المشترك عند تجربة الأجهزة الإلكترونية التي يمكن ارتداؤها يتمثل في مشكلة واحدة، هي أنها نادرا ما تطابق مقاسات النساء من حيث الحجم.

إيلين مور:

يبدو وكأنّ مبتكري البرامج والأجهزة التكنولوجية ينطلقون من افتراض أن المستخدم سيكون رجلا

وتضيف أن سماعات الرأس تنزلق غالبا بسبب حجمها الكبير المنحاز لأحجام رؤوس الرجال، وأنها تجد أن معظم الهواتف الذكية الرئيسية المطروحة في الأسواق جدا بحيث تكون غير عملية بالنسبة لها.

وتقر بأن ذلك لا يفسد التجربة تماما لكنه يشعرها بعدم الارتياح إلى حد ما. وتقول إن ذلك لا يعود إلى أنها رقيقة بشكل خاص، ولكن لأنها فقط أصغر قليلا من حيث المقاسات من متوسط مقاسات الرجل الغربي.

قبل بضع سنوات، لم يكن هذا التذمر شائعا ولم تكن النساء يعبّرن عنه ربما لأن الأجهزة والبرامج كانت جديدة، ولم يحن الوقت لتأمل تلك التفاصيل، إضافة إلى أنها كانت قليلة وأقلّ شيوعا.

لكن الانتباه إلى التحيّز في التصميم اتسع بشكل كبير وبوتيرة متصاعدة مع رسوخ دور تلك الأجهزة في حياة الجميع. وبدأت شركات التكنولوجيا تتلقى انتقادات وشكاوى متزايدة، حتى أن الأصوات النسوية المنتقدة أصبحت تستغرب عدم الاستجابة وعدم حدوث تغيير يذكر.

في عام 2014 تعرّضت شركة أبل لموجة انتقادات ساخرة بسبب طرحها تطبيقا يراقب مقاييس صحية مثل مستويات تناول الصوديوم، وعدم التوجه إلى قضايا صحية تهم أعدادا أكبر من مستخدميها مثل الحيض لدى النساء.

وتتركز الانتقادات اليوم إلى أن برامج المساعد الصوتي مثل أمازون أليكسا وأبل سيري تفهم أصوات الذكور أكثر من الإناث.

كما أن الهواتف الذكية التي تتلاءم بشكل مريح مع أيدي الرجال يمكن أن تشعر النساء بالإرهاق، رغم أن البعض يقول إن بعض الهواتف الذكية أصبحت كبيرة جدا على أي يد بشرية.

بعض التقارير والدراسات تقول إن التمييز اتسع ولم يعد يقتصر على التمييز الجنسي لصالح الرجال على حساب النساء.

وتشير إلى بعض الحالات، التي لا يكون التحيّز مقصودا، وربما يكون موضع ترحيب، مثل تقنيات التعرّف على الوجه، التي تعمل بشكل أفضل مع الوجوه البيضاء.

وهناك أدلة على وجود نوع من التمييز في نتائج تطبيقات الرعاية الصحية، التي تؤدي إلى تباين في التشخيص لا تحسمه إلا التجارب السريرية.

افتراضات متحيزة

تقول مور إنه في كثير من الأحيان، يبدو وكأنّ مبتكري البرامج والأجهزة التكنولوجية ينطلقون من افتراض أنّ المستخدم سيكون رجلا. ربما دون قصد وأنّ الأمر لا يتجاوز سوى أنّ المبتكرين غالبيتهم من الرجال.

وقد لا يقف التمييز عن هذا الحد بل يبدو أحيانا أنهم افترضوا أيضا أنه رجل غربي أبيض وحاصل على درجة عالية من التعليم، وأيضا يعمل معهم في ذات المختبر!

وتعرض الصحافية والناشطة البريطانية كارولين كريادو بيريز في كتابها "نساء غير مرئيات: كشف انحياز البيانات في عالم مصمم للرجال" تفاصيل أوسع للتمييز الجنسي في علم التكنولوجيا.

وتشير إلى أن فجوات البيانات، التي تؤدي إلى التمييز الجنسي تحدث ببساطة لأن العيّنات التي تستند إليها ضيقة جدا، إضافة إلى أن استخدامات الرجال مباشرة ويمكن أن تؤخذ كنموذج في تصميم الأجهزة والبرامج.

وترى أن اتساع استخدام الذكاء الاصطناعي في مسح وتحليل كميات هائلة من البيانات يمكن أن يؤدي إلى رصد أوجه القصور والتمييز، التي تهمش النساء ومجموعات أخرى كثيرة من البشر.

ويعتقد الخبراء أن اتساع توجهات ما يعرف باسم "فيمتك" (femtech) أي التكنولوجيا المعنية بالاستجابة للنساء، أن تبدأ على الأقل بإعادة التوازن إلى توجهات الأجهزة والبرامج في التعامل مع الجنسين.

وبدأ ذلك المصطلح يزداد شيوعا في المؤتمرات والدراسات والمشاريع الجديدة واجتماعات المستثمرين. وأصبحت التكنولوجيا الصحية التي تركّز على حاجات النساء، من قضايا الحمل إلى انقطاع الطمث تحظى بالإشادة باعتبارها نجاحات كبيرة.

تحول استثماري ملتبس

هناك مؤشرات على أن التمويل بدأ يتدفق من أصحاب رأس المال المغامر ويسجل مستويات قياسية في تكنولوجيا "فيمتك"، بعد أن كانت لا تتجاوز 23 مليون دولار سنويا قبل عقد من الزمن، وفقا لبيانات مؤسسة بيتشبوك.

وتقول المؤسسة أن ذلك المجال استقطب في العام الماضي استثمارات تزيد على 400 مليون دولار، وأنها من المتوقع أن تسجل قفزة كبيرة أخرى خلال العام الحالي.

ويُنسب مصطلح "فيمتك" إلى إيدا تين المؤسسة المشاركة لتطبيق "كلو" الذي يتعقب الحيض الشهري النساء، والتي تقول إن المستثمرين الذكور كانوا غير مرتاحين عند الحديث عن المنتجات التي تركز على النساء وكانوا بحاجة إلى مصطلح جديد.

وقد تزايد عدد التطبيقات التي تعمل في هذا المجال والتي تنظم وتراقب الرضاعة الطبيعية والتنبؤ بمعدلات نجاح التلقيح الاصطناعي، وصولا إلى منصات صحية شاملة تركز على النساء عبر الإنترنت مثل منصة ميفن.

وترى إيلين مور إن ذلك أمر جيد، لولا أنّ عاملا غير مريح في توجّهات الاستثمار في "فيمتك"، وهو أنّ المستثمرين وغالبيتهم من الرجال يشعرون بأنهم يقدّمون خدمة تستحق الإشادة لأنهم يضعون أموالهم في مجالات تخصّ النساء.

وتشير إلى أن مؤسسي شركات في مجال "فيمتك" يواجهون صعوبة عند جمع التمويل من المستثمرين، الذين غالبيتهم من الرجال حيث يبدو الموضوع وكأنه محرج لأولئك المستثمرين.

وتضيف ساخرة أن الغريب في الأمر أن المستثمرين لم يشعروا بالحرج وهو يتسابقون لتمويل تطبيق رو (Ro) المتعلق بمشاكل الانتصاب الجنسي لدى الرجال، والذي جمع 88 مليون دولار في نهاية العام الماضي.

وتقول إن الحديث عن تراجع التمييز ينبغي أن ينتظر إلى أن نرى فصل تطبيقات القضايا الصحية الخاصة بالرجال عن المحور العام للقضايا الصحية، مثلما هو حاصل مع قضايا المرأة أو نرى ارتفاع الاستثمار فيها لتقترب من تلك المتعلقة بالرجال.

ويبدو مستقبل التمييز بين الجنسين غامضا، حيث تنقسم آراء الخبراء بشأن استشراف الدور الذي يمكن أن يلعبه الذكاء الاصطناعي في ردم فجوة عدم المساواة بين الجنسين أو في توسيعها في مجال الوظائف التي ستزحف إليها الآلات والأتمتة لتستبعد الحاجة إلى الموظفين.

هناك من يحذّر من أن تطبيقات ومسارات الذكاء الاصطناعي، التي يهيمن الرجال على تحديد مسارها قد تفاقم التمييز ضد النساء، بسبب قلّة مشاركة النساء في ابتكاراتها وقلة ميلهن إلى تطوير مهاراتهن.

> برامج المساعد الصوتي مثل «أمازون أليكسا» متهمة بالتمييز الجنسي لأنها تستجيب إلى أصوات الرجال بدرجة أكثر دقة من استجابتها لأصوات النساء

ويمتد التحذير إلى أن الوظائف المكتبية التي تهيمن عليها النساء قد تكون من أكبر ضحايا الأتمتة.

في المقابل هناك من يرجّح أن تكون مهارات النساء أكثر حصانة وقدرة على الصمود، وأنها سوف تتأقلم بشكل أفضل مع وظائف المستقبل من الكثير من الوظائف اليدوية التي يهيمن عليها الرجال.

هل التكنولوجيا ذكية بالفعل؟

يرى فريق المتفائلين أنّ المسارات المستقبلية لتطبيقات الذكاء الاصطناعي ستكون أكثر استجابة لحاجات المستهلكين، وبذلك فإنها سوف تنصف المرأة بدرجة أكبر، لأنها ببساطة تمثّل نصف المستهلكين، ولا بد للتكنولوجيا أن تنصفها إذا كانت ذكية بالفعل.

وتقول جيما لويد الشريكة المؤسسة لشركة وورك 180 وهي شبكة وظائف دولية للنساء مقرّها أستراليا "إذا لم تزدد مشاركة النساء في ابتكار التكنولوجيا فإنّ منتجاتها لن تكون جيدة ولن ترضي المستهلكين لأن النساء يشكّلن 50 بالمئة منهم".

وتثير قلة نسبة النساء بين المبرمجين والمبتكرين وصانعي التكنولوجيا، إحباط المدافعين عن المساواة في الحقوق، حيث لا يشكّلن على سبيل المثال سوى 22 بالمئة من المهنيين العاملين في مجال الذكاء الاصطناعي على المستوى العالمي.

ويخشى البعض من أن المستقبل الرقمي يجري تصميمه للرجال من قبل الرجال. ويطالبون بضرورة إشراك المزيد من النساء في الابتكارات والبرامج والاستثمارات، لكي تلبّي بدرجة أكبر احتياجات النساء، خاصة في مجل تطبيقات صحة المرأة المسماة "فيمتك".

الأتمتة تستهدف النساء

تتنبأ دراسة أجراها باحثون في صندوق النقد الدولي بأن يؤدي الذكاء الاصطناعي إلى تفشي فقدان الوظائف بشكل غير متناسب بين النساء والرجال، عندما تزيح الأتمتة ما يقدّر بنحو 10 بالمئة من الوظائف الحالية خلال العقدين المقبلين.

وتتوقّع استنتاجات الدراسة التي أجريت في 30 دولة، أن تكون وظائف النساء الأكثر تضرّرا نتيجة شيوع عملهن في الوظائف المكتبية والإدارية المعرّضة بشكل أكبر للاختفاء بسبب الأتمتة وتطبيقات الذكاء الاصطناعي.

في ذات الوقت يتوقّع الباحثون أن تؤدي هيمنة التكنولوجيا إلى خلق الكثير الوظائف الجديدة ذات الأجور المرتفعة، يذهب معظمها لأصحاب التعليم المرتفع في مجالات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات.

لكن دراسة صندوق النقد الدولي تحذّر من أن قلّة ميل النساء إلى دراسة تلك المواضيع سوف يؤدي إلى قلة نصيبهن من تلك الوظائف.

وتشير البيانات التي توردها الدراسة إلى مؤشرات مقلقة مثل تراجع نسبة حصول النساء في الولايات المتحدة على شهادات في علوم الكمبيوتر منذ عام 2000.

إيدا تين أول من أطلق مصطلح «فيمتك» الذي يشير إلى التكنولوجيا والتطبيقات المعنية بشؤون النساء

أما في بريطانيا فقد أظهر استطلاع أجرته شركة برايس ووترهاوس كوبرز في عام 2017 أن نسبة 3 بالمئة من الطالبات يفضلن دراسة الاختصاصات التكنولوجية في حين تصل النسبة بين زملائهن الذكور إلى نحو 15 بالمئة.

لكن تلك المخاوف من أن يضع انتشار تطبيقات الذكاء الاصطناعي النساء في المسار الخطأ، يقابلها رأي آخر يرجح أن يحدث العكس.

ويقول أنصار ذلك الرأي أن استخدامات الذكاء الاصطناعي والابتكارات التكنولوجية، مثل الطباعة ثلاثية الأبعاد وأتمتة المصانع ووسائل النقل والنشاطات الزراعية سوف تؤدي بدرجة أكبر إلى اختفاء وظائف الأعمال اليدوية المرتبطة عادة بالرجال.

ويتوقعون أن تنجو معظم الوظائف المرتبطة تقليديا بالمرأة، والتي له علاقة بمهارات الذكاء العاطفي، وقد يؤدي ذلك إلى تزايد الوظائف الجديدة المناسبة للنساء أكثر من تلك الملائمة للرجال.

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

رياضة رفع الأثقال تقلل من دهون القلب أيضا

تدريبات المقاومة تحفز حرق السعرات أكثر من التمارين الهوائية

اهتمت الكثير من الدراسات بالبحث عن الطرق الفعالة والأكثر نجاعة لحرق الدهون في مناطق عديدة من الجسم، خاصة البطن والأرداف، لما لهما من تأثير ملحوظ على الشكل الجمالي للفرد. لكن عددا قليلا من الباحثين نبهوا إلى أهمية ممارسة تمارين بعينها في إذابة الدهون التي تحيط بالقلب.

رفع الأثقال يزيد القدرة على التحمل

كوبنهاغن - كشفت دراسة جديدة أن الأشخاص الذين يعانون من البدانة ومارسوا تدريبات المقاومة شهدوا انخفاضا في نوع ما من دهون القلب ترتبط بأمراض القلب والشرايين.

وتوصل الباحثون في الدراسة الصغيرة إلى أن نوعا معينا من دهون القلب، النسيج الدهني التاموري، قد انخفض لدى المرضى الذين مارسوا رفع الأثقال، ولكن ليس لدى أولئك الذين عملوا على زيادة قدرتهم على التحمل من خلال التمارين الهوائية.

وأدى هذان النوعان من التدريبات إلى تقليل النوع الثاني من دهون القلب، وهي الأنسجة الدهنية النخابية، والتي ترتبط أيضا بأمراض القلب والشرايين.

وقالت الباحثة ريجيت هوجارد كريستنسن التي قادت فريق الدراسة وهي تعمل في مركز أبحاث الالتهاب والتمثيل الغذائي ومركز أبحاث النشاط البدني في مستشفى جامعة كوبنهاغن "لقد فوجئنا بهذه النتيجة".

وعلى الرغم من أن الدراسة لا تفسر لماذا سيكون لتدريب الأثقال تأثير مختلف عن تدريبات التحمل، قالت كريستنسن في رسالة بالبريد الإلكتروني "نعلم من دراسات أخرى أن تدريبات المقاومة تعد حافزا قويا لزيادة كتلة العضلات وزيادة معدل التمثيل الغذائي مقارنة بتدريبات التحمل، وبالتالي نعتقد أن المشاركين الذين يمارسون تدريبات المقاومة يحرقون المزيد من السعرات الحرارية خلال اليوم وكذلك في الفترات التي لا يمارسون فيها أي نشاط مقارنة بمن يمارسون تدريبات التحمل".

ولاكتشاف تأثير أنواع مختلفة من التمارين على دهون القلب استعانت كريستنسن وزملاؤها بنحو 32 بالغا يعانون من البدانة وضعف النشاط البدني لكنهم لا يعانون من أمراض القلب أو السكري أو الرجفان الأذيني.

وتم توزيع المشاركين عشوائيا على برنامج لمدة ثلاثة أشهر من التمارين الهوائية أو تدريبات الأثقال أو عدم تغيير النشاط البدني (المجموعة الضابطة). وخضع كل شخص لفحص بالرنين المغناطيسي للقلب في بداية الدراسة وفي نهايتها.

وخفض كلا النوعين من التمرينات كتلة الأنسجة الدهنية النخابية في مقارنة مع عدم ممارسة أي تدريبات، حيث خفضتها تدريبات التحمل بنسبة 32 في المئة وتدريبات الأثقال بنسبة 24 في المئة ومع ذلك كان لتدريبات رفع الأثقال فقط تأثير على الأنسجة الدهنية التامورية والتي انخفضت بنسبة 31 في المئة مقارنة مع عدم ممارسة أي تدريبات.

وبذلك توصل أخصائيو اللياقة والطب الرياضي إلى أنه بعد ممارسة رياضة رفع الأثقال، يكون معظم الوزن المفقود من الدهون. فقد قام الباحثون في جامعة بنسلفانيا بتقسيم المتدربين إلى 3 مجموعات، مجموعة تلتزم باتباع نظام غذائي، دون تمرين ومجموعة تلتزم بالدايت مع تمارين الإيروبكس، بينما تجمع المجموعة الثالثة بين الدايت وتمارين الإيروبكس وتمارين الحديد.

وكانت النتائج في النهاية أن تمكن المتدربون من المجموعات الثلاث من خسارة 10 كلغ. ولكن المجموعة الثالثة (مجموعة تمارين الحديد) تمكن المشتركون فيها من خسارة 3 كلغ من الدهون، بينما خسر بقية المشتركون وزنا أكبر من العضلات.

ووجد باحثون من جامعات أخرى أن من يقوم بحمية غذائية دون تمارين رفع الأثقال، تكون نسبة الخسارة لديهم من الدهون بـ60 في المئة فقط، أما الباقي فيأتي من خسارة الكتلة العضلية.

كما وجدت دراسة سابقة نشرت سنة 2017 أن خسارة الكتلة العضلية مع خسارة الوزن كذلك، تؤديان إلى زيادة حدة الجوع، وذلك لأن الجسم يريد تعويض هذه الخسارة الفادحة.

يفسر العلماء أنه أثناء تمرينات الحديد ورفع الأوزان الثقيلة، تحدث تمزقات صغيرة في الألياف العضلية وهو ما يسمى بعملية الهدم.

وبعد التمرين يستهلك الجسم كميات من السعرات الحرارية لإصلاح هذه التمزقات في ما يسمى بعملية إعادة البناء، وهي عملية مكلفة للطاقة والسعرات. فقد اكتشف الباحثون أن المتدربين الذين يقومون بساعة من تمارين تقوية كل عضلات الجسم تحدث لديهم زيادة في معدلات الحرق والأيض الغذائي تمتد إلى 38 ساعة بعد التمرين.

> بعد ممارسة تمارين رفع الأثقال يستهلك الجسم السعرات الحرارية لإصلاح التمزقات في ما يسمى بعملية إعادة البناء

جدير بالذكر أن أخصائي أمراض القلب في مستشفى القلب بمركز ديترويت الطبي، شادي الرئيس، يلفت أنه في حين أن هناك "الكثير من الدراسات التي تبحث في تأثير تقليل السمنة في منطقة البطن فإن الدراسة الجديدة مثيرة للاهتمام لأنها تبحث بشكل خاص في العلاقة بين التمارين والدهون (حول القلب)".

وقد وجد باحثون أميركيون أن وجود الدهون في محيط القلب يضر بصحته أكثر من وجود كمية الدهون في كافة أنحاء الجسم.

وتبين للباحثين في مركز بابتيست الطبي التابع لجامعة وايك فوريست في ولاية كارولاينا الشمالية الأميركية أن كمية الدهون حول القلب والتي تعرف باسم "دهون غلاف القلب" مرتبطة بأمراض تصلب الشرايين التاجية أكثر من زيادة الوزن وضخامة محيط الخصر. وقال الباحث جينغزونغ دينغ، المسؤول عن الدراسة، إن "الدهون حول القلب قد تكون موجودة لدى شخص نحيل أيضا".

وجاء في الدراسة، التي نشرت في مجلة "السمنة"، أنه بعد مراقبة 58 شخصا، تبين أن نسبة الإصابة بتصلب الشرايين هي أعلى بـ5 مرات لدى الأشخاص الذين لديهم دهون تغلف القلب. ويشار إلى أن هذا النوع من الدهون يفرز كمية من مادة السايتوكاين، وهي بروتين يستخدم في عمليات نقل الإشارة والتواصل بين الخلايا لتخفيف نسبة الالتهابات، أكبر من كمية الدهون الموجودة تحت الجلد.

كما اكتشف باحثون أكثر من دليل على وجود دور للدهون التي قد تتجمع حول القلب في الإصابة بالتصلب العصيدي. وأوضحت نتائج دراسة دولية على التصلب العصيدي أن الدهون حول القلب ترتبط ببقع الشريان التاجي بشكل أكبر من كتلة الجسم أو محيط الخصر، فعندما تتكون البقع في الشرايين تتراكم بشكل غير منتظم مسببة ازديادا في سمك جدار الشريان على جانب واحد فقط.

وبينما حللت دراسات سابقة العلاقة بين الدهون حول القلب والإصابة بالتصلب المتعدد بين الأشخاص المرضى بأمراض الشرايين التاجية الحادة، فإن هذه هي أول دراسة تبحث في العلاقة بين الدهون المتجمعة حول القلب وتأثيرها على عبء البقع في الشريان التاجي عند الأشخاص الذين لا تظهر عليهم أعراض المرض.

وتضمنت عينة البحث المتألفة من 183 رجلا وامرأة في عمر الـ61 سنة، لا يعانون من مرض بالأوعية الدموية في القلب.

واستعان الباحثون بصور أشعة الرنين المغناطيسي لقياس أقصى وأقل فارق في سمك جدار الشريان وهو المقياس الذي يشير إلى المراحل الأولى من التصلب العصيدي. واستعانوا كذلك بالتصوير الطبقي بالكمبيوتر لتحديد مقدار الدهون على القلب.

وصرح مدير علوم الأشعة بالمعهد القومي للصحة وكاتب الدراسة ديفيد بلومك قائلا "لم يظهر المشاركون في هذه الدراسة أي أعراض للمرض بل بدوا أشخاصا أصحاء".

وأضاف أنه بالرغم من أن هؤلاء الأشخاص لم يكن لديهم ضيق كبير في الشريان التاجي، إلا أنه كانت لديهم بقع بالشريان التاجي والتي يمكن الكشف عنها بأشعة الرنين المغناطيسي.

وتابع بلومك قائلا "هؤلاء الأشخاص كانوا يمثلون مختلف الأجناس التي تشكل الشعب الأميركي بالرغم من أن غالبيتهم ممن يعانون الوزن الزائد". وتتجمع الدهون حول القلب، إلا أننا لا يمكن أن نراها إلا من خلال أشعة الكمبيوتر المقطعية أو الرنين المغناطيسي. ومع بعض الأشخاص يكون تجمع الدهون الزائدة ميزة في هذه المنطقة، إلا أن الدهون الزائدة حول القلب ترتبط بشكل عام بزيادة الوزن والبدانة.

وأوضحت النتائج أن مقدار الدهون حول القلب ترتبط بشكل أساسي بدرجة البقع المتمركزة لدى كل من الرجال والنساء، إلا أنه بعد أخذ العوامل الأخرى في الاعتبار مثل وزن الشخص ومحيط الخصر وعوامل الخطورة التقليدية ومستويات البروتين الارتجاعي ومحتوى الكالسيوم بالشريان فإن العلاقة بين الدهون حول القلب وظهور البقع على جدار الشريان التاجي يبقى أساسيا في الرجال دون النساء.

وأفادت إحصاءات جمعية القلب الأميركية أن مرض القلب هو السبب الرئيسي للوفاة في الولايات المتحدة، ففي عام 2010 أصيب ما يقرب من 785 ألف شخص بأزمة قلبية جديدة وحوالي 470 ألف شخص بأزمة متكررة، وفي كل دقيقة يموت شخص في الولايات المتحدة بسبب الأزمات القلبية.

وتعتبر منظمة الصحة العالمية أن أمراض القلب هي السبب الأول للوفاة على مستوى العالم، وهي تحصد سنويا أرواح الناس أكثر من سواها من الأمراض وتشير الإحصائيات إلى أن أمراض القلب تمثل 31 بالمئة من مجموع الوفيات في العالم.

تمارين الاسترخاء مفيدة لمرضى ارتفاع ضغط الدم

تمارين التحكم في التنفس من تقنيات الاسترخاء

فرانكفورت - أشارت مؤسسة علاج أمراض القلب الألمانية إلى أن تمارين الاسترخاء تتمتع بفائدة كبيرة لمرضى ارتفاع ضغط الدم؛ حيث إنها تحارب التوتر النفسي، الذي يتسبب في ارتفاع ضغط الدم.

وأوضحت أن أفضل تقنيات الاسترخاء تتمثل في ممارسة رياضات قوة التحمل، مثل المشي والركض والسباحة وركوب الدراجات الهوائية، لمدة نحو 30 دقيقة يوميا.

ومن تقنيات الاسترخاء المفيدة والسهلة تمارين التحكم في التنفس والاسترخاء العضلي التقدمي.

وبالنسبة إلى اليوغا، حذرت المؤسسة من أن بعض تمارين اليوغا تشكل خطرا على مرضى ارتفاع ضغط الدم، ألا وهي التمارين، التي تتطلب الثبات لمدة طويلة في وضعية معينة؛ حيث إنها تحتاج إلى الكثير من القوة، ومن ثم فهي قد تؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم.

لذا يعد من الأفضل بالنسبة إلى مرضى ارتفاع ضغط الدم ممارسة تمارين اليوغا، التي تتطلب الكثير من الحركة.

كما خلصت مراجعة بحثية سابقة إلى أن ضغط الدم لدى البالغين الذين يمارسون اليوغا مع تمرينات التنفس والاسترخاء ثلاث مرات على الأقل أسبوعيا ربما يكون أقل من غيرهم.

ولإجراء الدراسة، حلل الباحثون بيانات 49 تجربة شارك فيها 3517 شخصا معظمهم رجال ونساء في منتصف العمر، بدناء ويعانون بالفعل من ضغط الدم المرتفع أو أوشكوا على الإصابة به.

وقيمت التجارب مستويات ضغط الدم قبل وبعد تكليف المشاركين إما بممارسة اليوغا أو بالامتناع عن ذلك.

وبشكل عام، تبين أن ضغط الدم الانقباضي لدى المشاركين الذين مارسوا اليوغا كان أقل بخمس مليمترات زئبقية في المتوسط مقارنة بالمجموعات التي امتنعت عن ممارسة التمرينات كما انخفض ضغط الدم الانبساطي لديهم بـ3.9 مليمتر زئبقي بفضل اليوغا.

واتضح أيضا أن ضغط الدم الانقباضي لدى مرضى الضغط الذين مارسوا اليوغا ثلاث مرات أسبوعيا في جلسات اشتملت أيضا على تمرينات التنفس والاسترخاء انخفض بـ11 مليمترا زئبقيا كما تراجع ضغط الدم الانبساطي لديهم بست مليمترات زئبقية.

وقال يون وو الباحث في علم حركات الجسم بجامعة كونيتيكت في مدينة ستورز وكبير الباحثين في الدراسة "لا تظهر نتائجنا فقط أن اليوغا ربما تكون فعالة من خلال التمرينات البدنية في خفض ضغط الدم بل تشير أيضا إلى أهمية ممارسة تمرينات اليوغا للتنفس والاسترخاء العقلي والتأمل إلى جانب الحركات". إلا أن الباحثين كتبوا في دورية "مايو كلينيك بروسيدنجز" إنهم لم يحصلوا على بيانات عن كيفية ممارسة اليوغا بما في ذلك الفترة التي حافظ عليها المشاركون في كل وضعية، وسرعة انتقالهم من وضعية إلى أخرى.

> أفضل تقنيات الاسترخاء تتمثل في ممارسة رياضات قوة التحمل، مثل المشي والركض والسباحة، لمدة نحو 30 دقيقة يوميا

وقال مهرشيد سيناكي وهو أخصائي في إعادة التأهيل في مستشفى مايو كلينيك بمدينة روتشستر في ولاية مينيسوتا ولم يشارك في الدراسة "تحسن تمارين الاسترخاء والتنفس من التوازن والقوة والمرونة بشكل عام".

وأوضحت الدراسة أن فصول اليوغا تساعد على تحسن ألم أسفل الظهر المزمن مثلها مثل العلاج الطبيعي.

وأوضحت الدراسة أن ممارسة اليوغا لمدة 12 أسبوعيا تخفف من الآلام وتحسن حالة المصابين بألم أسفل الظهر مثلها مثل حضور جلسات العلاج الطبيعي في نفس هذه الفترة.

وأفادت دراسة صينية سابقة بأن ممارسة رياضة التأمل أو اليوغا لمدة عام، تساعد في علاج الأشخاص الذين يعانون من متلازمة التمثيل الغذائي.

وبحسب الدراسة، فإن متلازمة التمثيل الغذائي هي مجموعة من الأعراض التي تشمل ارتفاع ضغط الدم، وارتفاع مستويات الغلوكوز والدهون الثلاثية التي تزيد من خطر تعرض الشخص لنوبة قلبية وأمراض السكر والسكتات الدماغية.

الشباب الإيرانيون يفضلون طعم الحياة الأميركية

أحلام الجيل الجديد لا مكان لتحقيقها في إيران الخميني

طريقة للتمرد على الدعاية الرسمية المناهضة لـ«الشيطان الأكبر»

تردد الحكومة الإيرانية نغمة واحدة للسيطرة على أفكار الشباب وقناعاتهم، بأن بلادهم وأمنهم مستهدفان من الأميركيين، لكن نمط الحياة الذي يعيشه الشباب يعكس رفضا تاما لجميع الأجندات السياسية الحكومية، وتبدو طموحات هؤلاء الشباب وآمالهم المستقبلية بعيدة كل البعد عن قيم الثورة الإيرانية.

طهران – في مقهى بالقرب من جامعة طهران، يشرب أحمد رضائي وصديقته سيما نجف زادة، الكوكاكولا، قائلين إنهما استمتعا بالطعم. كما يرغبان في مشاهدة المزيد من هواتف آيفون والمزيد من مطاعم ماكدونالدز وغيرها من المنتجات الأميركية. تقول نجف زاده "نحن نحب الأميركيين"، في مشهد يناقض تماما الصورة التي تحاول الحكومة تثبيتها في أذهان الإيرانيين عن "الشيطان الأكبر".

وقال أحمد رضائي، الطالب البالغ من العمر 21 عاما في جامعة طهران، "نمط الحياة الأميركي جذاب للغاية. كوكاكولا تنقل لنا أسلوب الحياة هذا".

فرضت العقوبات الأميركية عبئا ثقيلا على قطاعات عديدة مثل النفط والصناعات الرئيسية الأخرى في البلاد، وانعكس تأثيرها مباشرة على السكان الذي يبلغ عددهم 80 مليون نسمة، وبطبيعة الحال كانت الانعكاسات السلبية كبيرة على الشباب الذين يمثّلون النسبة الأكبر من السكان.

ورغم جهود الحكومة والدعاية المكثّفة التي أغرقت بها وسائل الإعلام والصحافة المحلية ضد الولايات المتحدة وتصويرها على أنها معادية للشعب الإيراني وتحيك مؤامرة ضده وتستهدف النسيج الاجتماعي الداخلي لإضعاف البلاد عبر العقوبات الاقتصادية، إلا أن جميع هذه الحجج والمبررات لم تجد لها طريقا إلى أذهان الشباب والجيل الجديد من الإيرانيين المولعين بالمنتجات والثقافة الأميركية.

وبعد مرور 40 عاما على الثورة الإسلامية، وعلى الرغم من اللوحات الإعلانية والتجمعات التي تنادي بـ"الموت لأميركا"، تبدو هموم وأحلام الشباب في مكان آخر. فقد ولد نحو ثلثي الإيرانيين بعد الثورة الإسلامية 1979 وتعودوا أثناء نشأتهم على الشد والجذب بين حكوماتهم وواشنطن.

> الشباب ينتقدون الحكومة والنظام بصراحة بطريقة لم يكن من الممكن تخيلها قبل سنوات قليلة، ولكنهم يشعرون بأنه يتم تجاهلهم

ويركز هؤلاء الشباب بشكل أكبر على ما يحدث داخل بلادهم، وبالنسبة للعديدين فإن القرار في أبريل بحظر تطبيق تليغرام الأكثر انتشارا للتواصل الاجتماعي كان ضربة قاصمة.

وقال شاب في العشرينات يعمل في مونتاج الأفلام وساهم في حملة إعادة انتخاب الرئيس حسن روحاني عندما وعد بوقف الرقابة "بقيت في غرفتي يومين لشدة الاكتئاب الذي شعرت به".

وأضاف "لقد قطع كل هذه الوعود، لكن حدث ذلك. كنت أغضب بشدة من جميع أصدقائي الذين كانوا يغادرون البلاد، ولكن للمرة الأولى أشعر أن الوقت ربما حان لأغادرها".

واليوم ينتقد الشباب الحكومة والنظام بصراحة بطريقة لم يمكن من الممكن تخيلها قبل سنوات قليلة، ولكنهم يشعرون بأنه يتم تجاهلهم.

ويقول الطالب إحسان (24 عاما) "المسؤولون لا يستمعون للشبان، فهم يتجاهلون أمالهم ورؤيتهم للحياة والمجتمع والدين والسياسة".

وأضاف "لقد كنت من الذين قالوا لأصدقائهم إن عليهم التصويت لأن ذلك يسمح لنا بالمطالبة بأمور... لكنني أرى الآن أنه ليس بإمكاننا أن نفعل شيئا".

ويضطر الشباب أمام صعوبة الأوضاع الاقتصادية وانعدام الأفق في الإصلاح السياسي، إلى التأقلم مع الواقع وصناعة الفرص بأنفسهم والكفاح حتى النهاية.

ويقول أمير رضا محمدي أحد رواد الأعمال أن تأثير العقوبات لم يكن سلبيا تماما. ويوضح أنه من خلال حجب المنافسة الخارجية فإن العقوبات "خلقت وظائف للشباب الإيرانيين وأوجدت لدينا الرغبة في دفع مشاريعنا إلى الأمام".

ويضيف "ربما اضطر في يوم ما إلى مغادرة البلاد.. ولكن هنا يمكنني أن أحدث تأثيرا وهذا ما يدفعني للبقاء".

ويعكف عدد من رواد الأعمال على تصوير قصص نجاح وتوجيه النصائح للجيل التالي من الراغبين في أن يكونوا رواد أعمال وأصحاب شركات ناشئة.

ويعبر رضا غيابي الرئيس التنفيذي لشركة استشارات تركز على لتكنولوجيا "نحن خبراء في التأقلم مع أوقات الأزمة"، ويطلق على نفسه لقب "المتفائل المسؤول الأكيد".

وأضاف "العديد من الإيرانيين حققوا نجاحا في الماضي في برلين ووادي السيليكون ولندن، لكن جيلنا متعب من الهجرة ومن مجرد العمل في وظيفة. والآن نحاول عمل شيء لأنفسنا".

ويعلم الجميع أن التحديات كبيرة تتمثل في انتشار البطالة وارتفاع الأسعار وانهيار سعر العملة.

ولا تساعد عودة العقوبات الأميركية في تحسن الأوضاع عقب قرار واشنطن الانسحاب من الاتفاق النووي 2015، ولا التهديدات المتبادلة بين الرئيس الأميركي دونالد ترامب والمسؤولين الإيرانيين في الأيام الأخيرة.

هناك بعض الأمثلة التي تبعث الأمل لدى الشبان الذين يمتلكون تعليما عاليا ومعرفة بالعالم وهو نجاح تطبيق سيارات الأجرة "سناب"، ومجموعة المقاهي والمطاعم الجديدة، ومراكز التكنولوجيا التي تقدم مختلف الخدمات من بث الموسيقى على الإنترنت إلى بوابات التعليم الإلكتروني.

التفاؤل يتضاءل

لكن هذا التفاؤل يتضاءل بين المتعلمين من الطبقة الوسطى والعليا من الشبان الإيرانيين الذين لا يرون أي احتمالات للتغير السياسي والاقتصادي.

ومن غير المرجح أن ينخرط هؤلاء في احتجاجات واسعة ضد الحكومة، فالرد القاسي الذي واجهته التظاهرات السابقة والخوف من أن تؤدي الاحتجاجات إلى حالة من الفوضى كما حدث في سوريا، أوجدت عند الشبان حالة من القبول بالواقع. وبدلا من ذلك فإنهم يرغبون في مغادرة البلاد.

وتقول باريسا طالبة الحقوق (20 عاما) "الشباب فقدوا كل أمل لهم في المستقبل".

وأضافت "كنت أتطلع إلى العمل لثلاثة أشهر لتغطية تكاليف دراستي ومساعدة والدي. أنا طالبة حقوق ولكنني أعلم أنني عندما أنهي دراستي لن أجد عملا".

وتابعت "هناك العديد من الراغبين في المغادرة، وهم على حق لأنه بإمكانهم إحراز التقدم خارج البلاد والحصول على راتب لائق".

ويدفع الشباب مبالغ كبيرة لمغادرة البلاد وتعد بريطانيا الوجهة المفضلة لأغلبهم، وغلامي (31 عاما) هو واحد من المئات من الإيرانيين الذي خاطروا بحياتهم لعبور القنال الإنكليزي الذي يعد من أكثر الممرات الملاحية ازدحاما في العالم، وقد دفع 16 ألف يورو لمهربي البشر لنقله من كامياران في غرب إيران إلى بريطانيا. لكنه أدرك وهو على الشاطئ قرب كاليه أنه سيضطر هو والآخرون إلى تدبير أمورهم بأنفسهم. في القوارب المطاطية التي يستخدمها اللاجئون وهي ليست مجهزة لعبور القنال وخاصة في الطقس الشتوي الغادر.

وقد حاول أكثر من 500 مهاجر، أغلبهم إيرانيون وبعضهم من الأطفال، السفر إلى بريطانيا في قوارب مطاطية خلال 2018 وجاءت محاولات أربعة أخماسهم في الأشهر الثلاثة الأخيرة من العام الماضي. وأعيد بعضهم إلى فرنسا. وقطع وزير الداخلية البريطاني ساجد جاويد إجازة عائلية لمعالجة هذه المشكلة. وضاعفت بريطانيا عدد زوارق الدورية في القنال إلى أربعة زوارق، بالإضافة إلى سفينة تابعة للبحرية.

الحياة تحت ظل «الأخ الأكبر»

وبعد شهر من القبض عليه قرب ميناء دوفر أصبح غلامي يعيش في نزل في ليفربول وتوفر له الحكومة وسائل الإقامة المؤقتة لحين البت في طلب اللجوء الذي تقدم به.

ووصفت وسائل الإعلام البريطانية النزوح الإيراني بأنه محاولة أخيرة للوصول إلى بريطانيا قبل أن تنفصل عن الاتحاد الأوروبي. غير أن كل طالبي اللجوء قالوا إن الانفصال عن الاتحاد الأوروبي ليس عاملا في تحركاتهم. بل إن أحدهم قال إنه لم يسمع به من قبل.

وغادر غلامي الذي يعمل مدرسا إيران بعد القبض على أصدقاء له من نشطاء البيئة وانتابه الخوف من القبض عليه أيضا. أما بختياري، الذي كان يعمل مدير مشروع كهربائي، فقد أمضى عامين في السجن بتهمة نشر معلومات عن حقوق العمال في المصانع. وفر من إيران أثناء الإفراج عنه لفترة مؤقتة.

ورحل حاج بور، الذي يعمل سباكا وكهربائيا، بعد أن تعرض للضرب على أيدي رجال الشرطة في الشارع لارتدائه سروالا قصيرا. وقال "أعتقد أن العقوبات والوضع الاقتصادي في إيران وخلط الدين بالسياسة هي الأسباب الرئيسية التي تدفع الشباب للرحيل عن البلد".

وقال إيرانيون آخرون من طالبي اللجوء في أوروبا وتركيا إنهم قرروا الرحيل عن إيران بعد أن يئسوا بسبب الصعوبات الاقتصادية والسياسية المتزايدة.

وتبين أرقام الأمم المتحدة أن أكثر من 21 ألف إيراني غادروا بلادهم في 2018 لطلب اللجوء في أوروبا وتركيا والولايات المتحدة وكندا وأستراليا.

مغالطات حكومية

ويبدي السياسيون والمسؤولون الإيرانيون مبررات أخرى ترقى إلى مستوى المغالطات والتضليل بشأن أسباب هجرة الشباب، ويستخدمون مبررات تخدم الأجندة السياسية الإيرانية، حيث يقول الميجر جنرال محمد باقري رئيس هيئة أركان القوات المسلحة الإيرانية "الأعداء الخارجيون يشجعون الشباب على مغادرة إيران وإدارة ظهورهم لقيم الثورة الإسلامية بإقناع الناس أن مقاومة القوى العظمى ستؤدي إلى الحرب".

وفي الربع الثالث من العام 2018 زاد عدد طالبي اللجوء الإيرانيين في بريطانيا بأكثر من 30 في المئة عن العام السابق.

وقالت وزارة الداخلية إن معظم طالبي اللجوء في العام الماضي كانوا من إيران. وأفاد غلامي "هنا، وربما في دول أخرى أيضا، يوجد لاجئون إيرانيون أكثر من السوريين".

وأضاف "الوضع في إيران أسوأ منه في بلد في حالة حرب. خاصة في الفترة الأخيرة وبسبب الطموحات النووية في البلد تدهور الوضع الاقتصادي، وأعتقد أنه ستحدث موجة جديدة من اللاجئين الإيرانيين لأسباب اقتصادية".

وقال شاب إيراني عمره 37 عاما طلب عدم نشر اسمه لأنه يخشى على سلامة أسرته في إيران إنه باع بيته للسفر إلى بريطانيا.

وتابع "لم أحلم قط بالقدوم إلى أوروبا. كنت أحيا حياة كريمة في إيران وعندي سيارة ومصنع صغير وعمال".

وأضاف أنه شعر بالمهانة لاضطراره للوقوف في طوابير من أجل الحصول على الطعام في ليفربول حيث يتسلم 35 جنيها أسبوعيا من الحكومة البريطانية. غير أن ركوب الحافلة يكلفه 2.5 جنيه كما أنه مضطر لدفع أكثر من 30 جنيها من أجل الاشتراك في خدمة الإنترنت على هاتفه لمكالمة عائلته في إيران.

وربما كانت المصاعب الاقتصادية هي التي أدت إلى النزوح من إيران غير أن رويا كاشفي من رابطة الباحثين الإيرانيين تعتقد أنه يجب اعتبار اللاجئين الإيرانيين لاجئين سياسيين لا اقتصاديين.

وقالت كاشفي التي تعمل في وزارة الداخلية وتختص بأمور طالبي اللجوء الإيرانيين إنهم "في الغالب من الطبقة المتوسطة والمتعلمين. وبعضهم موسر بما يكفي لدفع 16 ألف دولار لمهربي البشر".

وفي كاليه تعتقد مايو كونفورتي أمينة رابطة للمهاجرين أن طالبي اللجوء الإيرانيين يلجؤون لتدابير فيها مغالاة مثل خياطة الشفتين أو الإضراب عن الطعام أو عبور القنال الإنكليزي في قوارب صغيرة بسبب انتمائهم إلى الطبقة المتوسطة.

وتابعت "كانوا يعيشون حياة كريمة من وجهة النظر المالية في إيران في حين أن الأوضاع المعيشية في كاليه رهيبة. ولذلك لا يتحملون الوضع".

وأضافت "يقولون لنا إن البقاء في كاليه مثل الموت... وهم على استعداد لتجريب أي شيء. فيقولون موافقون للقوارب. لا نكترث. سنغامر وربما نموت لكننا سنموت موتا سريعا على الأقل".

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

الحيف الاجتماعي يدفع المرأة إلى حافة الجنون

تفاقم الضغوط الاجتماعية يجعل النساء عرضة للاضطرابات النفسية أكثر من الرجال

أصبحت الفجوة بين الجنسين في الإصابة بالأمراض النفسية معروفةً لدى معظم الخبراء، لكن أغلب الأسباب الضمنية ما زالت مجهولة، رغم أن القضاء على هذه الأسباب يمكن أن يغيّر الطريقة التي تكافح بها المصابات تلك الأمراض، ويحد من المشاكل المرتبطة بها.

يمينة حمدي
كاتبة تونسية مقيمة في لندن

تعاني النساء من الاضطرابات النفسية والعقلية أكثر مما يعانيها الرجال، هذه الحقيقة أصبحت معلومة الآن لدى معظم الخبراء، غير أن أغلب الأسباب التي تقف خلف ذلك ما زالت مجهولة.

ويعتبر الشعور بالاكتئاب الشديد من أكثر الأمراض النفسية شيوعا في صفوف النساء، إذ كشفت الدراسات أن نسبة انتشاره تبلغ نحو 21.3 بالمئة لدى النساء، أي ضعف نسبة انتشاره لدى الرجال (12.7 بالمئة)، وينسحب هذا على معظم بلدان العالم.

وأشارت بيانات البنك الدولي إلى أن 7 بلدان من أصل 10 تتصدر العالم في ظاهرة الاكتئاب عند النساء، وهي بلدان من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

ورغم عدم توفر إحصائيات دقيقة بشأن حجم المشكلة، نتيجة التحفظات الحكومية أو الأسرية، إلا أن منظمة الصحة العالمية كشفت عن تزايد أعداد المصابين بالاكتئاب، بسبب تزايد الأزمات الإنسانية والنزاعات والنزوح السكاني في العالم العربي، وخصوصا في إقليم شرق المتوسط الذي يضمّ لبنان وسوريا والأردن وفلسطين وقبرص.

عوامل بيولوجية

يرجع الخبراء جزءا كبيرا من الفجوة بين الجنسين في الإصابة بالاكتئاب إلى العوامل البيولوجية التي تأتي في مقدمة الأسباب التي تجعل النساء يصبن بالاكتئاب أكثر من الرجال؛ فهن على الأرجح معرضات لتقلبات الهرمونات المرتبطة بمرحلة البلوغ والحيض وتعقيدات الحمل والولادة، وانقطاع الطمث، ووسائل منع الحمل والعلاج بالهرمونات البديلة، التي يرجح العلماء أن جميعها من ضمن العوامل المتسببة في الاكتئاب لدى النساء.

> **7**
> **بلدان تتصدر العالم في ظاهرة الاكتئاب عند النساء، وهي بلدان من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا**

ولا يستبعد الخبراء أن تمثّل تجارب الطفولة القاسية أيضا سببًا في إصابة النساء بالاكتئاب أثناء مرحلة انقطاع الطمث، مقارنة بالنساء اللاتي لم يعشن تجارب حياتية ضاغطة في مرحلة الطفولة.

وشدد باحثون من جامعة بنسلفانيا الأميركية على أن الضغوط النفسية في مرحلة مبكرة من العمر، قد تترك أثرا مستديما في المنطقة المسؤولة عن المزاج في الدماغ، حيث تتسبب المعاناة خلال مرحلة الطفولة في زيادة أو مضاعفة الأعراض النفسية القائمة في مرحلة انقطاع الطمث.

وأشار الأستاذ نيل إيبرسون إلى أن الضغوط التي تواجهها المرأة في مقتبل عمرها -وخصوصا في مرحلة الطفولة- لها آثار سلبية طويلة الأمد على تطوير وظائف مناطق معينة في الدماغ، وهي تلك المسؤولة تحديدا عن العواطف والمزاج والذاكرة.

ويحتل الاكتئاب المرتبة الثانية من بين أهم أسباب الإصابة بالإعاقة على المستوى العالمي، إلا أن تأثيره يختلف باختلاف الدول والمناطق.

وتقول منظمة الصحة العالمية إن مرض الاكتئاب يؤثّر في الناس بمختلف أعمارهم، ويطال أثره جميع مناحي الحياة، ويسبب ألما نفسيا ويؤثر في قدراتهم على القيام حتى بأبسط المهام اليومية.

ويمكن أن يؤدي الاكتئاب إلى عواقب مدمرة على مستوى علاقات تواصل الأشخاص الذين يعانون منه مع أفراد أسرهم وأصدقائهم، وعلى مستوى قدرتهم على العمل. وقد يدفعهم إلى الانتحار الذي يعد السبب الأساسي الثاني للوفيات لمن هم ما بين 15 و29 عاما.

وأوضحت منظمة الصحة أن فهم الاكتئاب على نحو أفضل ومعرفة السبل الكفيلة بالوقاية منه وعلاجه، يساعدان على التقليل من الإحساس بالوصمة الناجمة عن الإصابة به، وكل ذلك من شأنه أن يحفز المصابين به على طلب العلاج.

ويبدو أن معظم الأبحاث قد ربطت الاكتئاب بعناصر وراثية أو باضطرابات في عملية الأيض في المخ، أو بالعوامل البيولوجية، إلا أنها ليست الأسباب الوحيدة التي قد تؤدي إلى إصابة النساء بالأمراض النفسية، فالنساء يتعرضن في مختلف مراحل حياتهن إلى مجموعة من الضغوط النفسية، ما يجعلهن أكثر عرضة للقلق والتوتر اللذين يساهمان بصورة كبيرة في الإنهاك والإرهاق على المستويين النفسي والبدني.

وغير أن الأبحاث التي ركزت على الاكتئاب لم ترسم صورة واضحةً المَعالم بشأن البيئات التي تتسم بالتمييز بينَ الجنسين، وتتضافر فيها المواقف المتحيزة ضد المرأة بشكل عام، لتفضي إلى تهيئة الظروف التي تؤدي إلى إحساس النساء بالإجهاد الشديد.

وخلصت دراسة علمية دولية إلى أن النساء أكثر عرضة للإصابة بالقلق بمعدل الضعف مقارنة بالرجال.

وقالت رئيسة فريق البحث أوليفا ريميس، من قسم الصحة العامة والعناية الأولية في جامعة كامبريدج، إن اضطرابات القلق يمكن أن تجعل الحياة صعبة للغاية.

وأضافت "لقد كان هناك تركيز شديد على الاكتئاب، وهو أمر مهم، لكن القلق مهم أيضا قدر أهمية الاكتئاب، ويسبب الوَهَن، ويمكن أن يؤدي إلى أمراض أخرى واضطرابات نفسية بل ويزيد خطر الإقبال على الانتحار".

وشددت ريميس على أن النساء أكثر عرضة للقلق، بسبب التقلبات الهرمونية أو لدورهن التقليدي في العناية بالأطفال.

وترتفع معدلات القلق عند الأم العاملة أكثر من غيرها، بسبب رغبتها في تحقيق المزيد من الإنجازات الشخصية في العمل والحياة الأسرية.

الإجهاد المزمن

هناك أدلة متزايدة، سواء أكانت مستمدة من دراسات علمية أم مستقاة من إفادات الخبراء، تشير إلى أن التوتر الذي قد يستمر مدةً طويلة -جراء تحمل عبء هائل من المهام، مع عدم التمتع بقدرة كبيرة على التحكم في الأمور المرتبطة بهذه المهام- يرتبط بالإنهاك النفسي.

ومن هذا المنطلق يزداد خطر معاناة النساء -اللاتي يحرصن على أداء مهامهن بإتقان وعلى أكمل وجه- من الإنهاك، لاسيما اللاتي ينتقدن أنفسهن دائما بسبب ضعف أدائهن. فهؤلاء تحديدا يعملن بجد لتجنب الفشل، وهو ما يجعلهن أكثر عرضة لـ"الإجهاد المزمن" مقارنة بنظيراتهنّ. وتشير الدراسات إلى أن عدم القدرة على التعامل مع الإجهاد النفسي يزيدُ مخاطرَ الإصابة بأمراض القلب، إذ يؤثر في وظائف القلب والأوعية الدموية، لكن الطريقة التي يحدث بها هذا التأثير لم تكن مفهومة بدقة.

ويمثل ازدياد نشاط اللوزة الدماغية عاملا مساعدا في تفسير هذه العلاقة. واللوزة الدماغية هي منطقة في المخ تقوم وظيفتها على معالجة الضغوط النفسية مثل الخوف والغضب.

ويقول الباحثون إن اللوزة الدماغية ترسل إشارات إلى النخاع العظمي لإنتاج المزيد من خلايا الدم البيضاء، التي تنتجه بدورها إلى الشرايين وتسبب التهابها. ويمكن أن يؤدي هذا إلى الإصابة بالنوبات القلبية والذبحات الصدرية والسكتات الدماغية.

ونتيجة لذلك، عند الشعور بالإجهاد الشديد، يُعتبر هذا الجزء من المخ مؤشرا جيدا على احتمالية الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية.

وقال أحمد توكل، أستاذ الطب المساعد في جامعة هارفارد الأميركية، "نتائجنا تقدم تصورا فريدا للطرق التي يمكن من خلالها أن يؤدي الإجهاد إلى الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية".

وأضاف أن "هذا يشير إلى أن الحد من الإجهاد قد يؤدي إلى الفوائد التي تتجاوز الشعور بتحسن الصحة النفسية".

وقالت إيلز بوت، من جامعة لايدن في هولندا، إن عدد من يتعرضون لضغوط يوميّة في تزايد مستمر.

وأضافت "المهام الجسيمة، وعدم الشعور بالأمان الوظيفي، والعيش في فقر، كلها تعتبر ظروفا قد تؤدي إلى زيادة الإجهاد المزمن، وهذا بدوره قد يؤدي إلى الإصابة باضطرابات نفسية مزمنة، مثل الاكتئاب".

فقدان السيطرة

تبقى هذه النتائج حقيقية، حتى إذا أخذنا بعين الاعتبار الأمور الأخرى التي ربما تلجأ إليها النساء المصابات بالإجهاد النفسي للتغلب على الحالات العصبية والنفسية، مثل تعاطي الكحول والتدخين.

لكن أحيانا يصل الضغط أو الإجهاد إلى مرحلة فقدان السيطرة على النفس، ومن ثم تبدأ المعاناة من آثار الإنهاك التام.

ففي حين أن الإجهاد في العمل يرتبط بالإرهاق العاطفي أو الذهني، ويصيب الشخص من حين لآخر، فإن درجة الإنهاك التام هي حالة من الإرهاق المتواصل جسديا وذهنيا وعاطفيا، يسببها ذلك الإجهاد المزمن. وتتكون حالة الإنهاك التام عبر فترة زمنية طويلة، ويكون الشفاء منها أمرا صعبا.

وفي أماكن كثيرة من العالم ما زالت النساء عرضة -في الأغلب الأعم- للمعاناة من الممارسات الضارة بالصحة في بيئة العمل، ومنها ساعات العمل الطويلة والتعارض بين العمل والحياة العائلية، وغياب الأمان الوظيفي الناتج عن فقدان النساء لوظائفهن جراء الحمل والولادة، أو العمل بوظيفة ذات ساعات عمل غير منتظمة.

كما أن الفجوة في الأجور ليست بجديدة، وهناك الكثير من الأبحاث التي تُظهر أن النساء يتعرضن دائما لضغوط مستمرة في أماكن العمل مع عدم وجود الدعم الإداري وغياب تحقيق التوازن بين العمل والحياة الأسرية، ما يفقدهن القدرة على التماسك الداخلي في مواجهة الضغوط المختلفة التي يتعرضن لها.

وذكر المنتدى الاقتصادي العالمي (دافوس) أن الأمراض المزمنة والأمراض غير المعدية تستهلك نحو ثلاثة أرباع حجم الإنفاق على الرعاية الصحية، وتتسبب في 63 بالمئة من إجمالي الوفيات في العالم.

وتعد الأمراض المزمنة جزءا من تبعات الضغط النفسي والتوتر والسلوكيات غير الصحية كالتدخين ومعاقرة الكحول وتعاطي المخدرات ونهم الطعام، وهي السلوكيات التي يزيد من حدتها الضغط النفسي.

وأكدت الدكتورة جوديث مورينغ من مركز "برايوري" الطبي في لندن أن النساء اللاتي يشغلن مناصب إدارية في مجالات يهيمن عليها الرجال، ترتفع لديهن نسبة التوتر لمحاولة إثبات أنهن يمتلكن الكفاءة ذاتها، وبالتالي يستحققن الأجر ذاته.

ودعت مورينغ الشركات الراغبة في ضم كوادر نسائية إلى تقديم عروض وظيفية أكثر مرونة، مثل السماح لهن بالعمل من المنزل عندما تستجدّ ظروف طارئة، ملفتة إلى أهمية تحسين تلك الشركات لرواتب النساء وتحقيق الأمن الوظيفي لهن.

وكشفت دراسة جديدة نشرت في مجلة "الصحة والسلوك الاجتماعي" الأميركية عن تعرض النساء القياديّات للإصابة بالاكتئاب بنسبة 47 بالمئة مقارنة بالرجال في وظائف مماثلة.

وقالت تيتيانا بودروفسكا الباحثة المساعدة في مادة علم الاجتماع من جامعة تكساس "يتم تقييم النساء بأسلوب أكثر صرامة، وقد يفتقرن إلى الدعم من الرؤساء، ويواجهن التمييز بين الجنسين والتحرش".

وأضافت "هذه الظروف قد تؤثر على الصحة النفسية والعقلية للكثير من النساء، ويمكن أن يواجهن مأزقا مزدوجا، فمن ناحية يجب عليهن أن يتسمن بالخصائص الأنثوية مثل غريزة الاهتمام والرعاية، ومن ناحية أخرى يجب أن يكن حازمات ويتمتعن بحس المنافسة والثقة بالنفس".

وأشارت بودروفسكا إلى أن "النساء عندما يستعرضن الصفات القيادية الأكثر صرامة، يُنظر إليهن نظرة سلبية، كما لو أنهن لا يتصرفن تصرّفا أنثويّا، ما يسبب لهن التوتر المزمن وحالة من الاكتئاب".

ومن جانبها لفتت كريستي غلاس الباحثة الاجتماعية من ولاية يوتا الأميركية إلى أن "النساء يواجهن عددا لا يحصى من العقبات والحواجز التي تعتقد أنها تمثل عبئا على صحتهن النفسية".

وترى الدكتورة روث سيلي، من جامعة سيتي في لندن، أن النساء عادة ما يكن حبيسات النظرة الجنسانية لمواصفات القائد الجيد.

وقالت سيلي إنه بسبب التصور الشائع الذي يعتبر أن الرجال أقدر على القيادة، تضطر النساء إلى العمل أكثر بكثير للوصول إلى المناصب التي يشغلها الرجال، ليكتشفن أنه حتى بعد وصولهن إليها يواصل البعض التشكيك في حقهن في تولي هذا المنصب أو ذاك.

ولكن إذا واجهت المرأة هذا الضغط يوما تلو آخر، فستكون عرضة لارتفاع هرمون التوتر في الجسم بمعدل ثابت، وستعاني من أجل محاربة هذا الهجوم المستمر.

ولأن الوقاية خير من العلاج، فمن المهم مواجهة الأسباب التي تجعل النساء عرضة للمعاناة النفسية، من أجل تخفيض معدلات الأمراض النفسية والجسدية، والحد من مشاكلها التي تؤثر سلبا في الأسرة والمجتمع ككل.

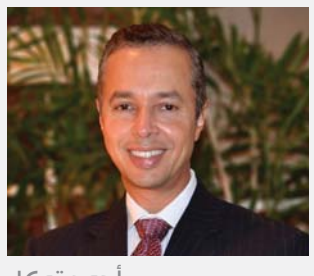

أحمد توكل

الحد من أسباب الإجهاد التي تعاني منها المرأة يؤدي إلى فوائد تتجاوز مجرد الشعور بتحسن الصحة النفسية

أوليفا ريميس

هناك تركيز شديد على الاكتئاب، وهو أمر مهم، لكن القلق مهم أيضا قدر أهمية الاكتئاب ويسبب الوَهَن

التعب والألم أفقدها معنى الحياة

إن كانت الطبيعة لا تعفي المرأة من الإصابة بالاكتئاب، ألا يمكن للمجتمع أن يفعل شيئا؟

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

كيف تحافظين على حياتك الخاصة وأنت أم

تمسك المرأة بإحساسها وكيانها لا يعني أنها أم أنانية تخلت عن أبنائها

تتخلى العديد من الأمهات عن العمل وعن طموحاتهن الشخصية ويتفرغن تماما، إما بإرادتهن وإما بدافع ظروف شخصية، لرعاية الأبناء والزوج، وتحمل غالبية النساء فكرة أن الأمومة من أهم وأسمى المهام وهي سبب وجود المرأة وهو ما يجعلهن ينسين أنفسهن ويمحين رغباتهن الشخصية حتى البسيطة منها، الأمر الذي باتت تنتقده عدة نساء في العصر الراهن من اللواتي يرفضن أن يكون معنى الأمومة مرادفا لمحو الذات، وأصبحت هذه الفئة تفضل الحفاظ على العديد من الأسس في حياتهن الخاصة لكي لا تضعن في سبيل الأمومة.

لندن - يغيّر إنجاب الأطفال حياة المرأة وأحيانا يقلبها رأسا على عقب وهو ما تقر به العديد من الأمهات خاصة من قدّمن تضحيات كبيرة في سبيل الأبناء والأسرة ومن بينهن من تخلين عن العمل للتفرغ لرعاية الأبناء.

وتقول الكاتبة البريطانية جيل سيمز مؤلفة كتاب "لماذا تشرب أمك"، أعمل حاليا بعيدا عن المنزل، إذ تخليت عن أسرتي لمتابعة اهتماماتي بـ"أنانية". هذا ما شعرت به قبل أسبوع من مغادرتي. خلال تلك الفترة، لم أستطع التطلع إلى قضاء بعض الوقت بمفردي للقيام بالأشياء التي أحبها. بدلا من ذلك، كنت أفكر في كل مهمة يتعين علي القيام بها من أجل أطفالي، فعلى الرغم من أنني كاتبة، إلا أنني أم أيضا. ومثل الكثيرين منا، أنسى أحيانا بعض الجوانب الأخرى من حياتي وأغفل رفاهيتي.

> بمجرد أن تصبح المرأة أما، تتحول من محور الصورة إلى إطارها. تعني الأمومة لجل النساء على ما يبدو أنهن أصبحن موجودات من أجل أطفالهن فقط، ويتوقفن عن الاهتمام بأنفسهن

وتضيف لصحيفة الغارديان البريطانية "عندما كنت أحزم أمتعتي، وجدت نفسي أبكي لفراق أطفالي. وبدلا من التفكير في العمل الذي كان ينتظرني بعيدا عن المنزل، كنت أركز على إخفاقاتي كأم تخلت عن أطفالها من أجل أهدافها الشخصية".

طرحت الأم على نفسها العديد من الأسئلة عن حياة أبنائها وأسرتها في غيابها، وهو ما كان يشغل بالها عند استعدادها للسفر ومن بينها؛ "هل سيتمكن والدهم من السيطرة على شؤون المنزل؟ هل سيعد أطعمتهم المفضلة بشكل صحيح؟ ماذا لو استهلكوا جميع علب العصير أو الحليب؟ ماذا عن الأنشطة المدرسية التي ستحضرها الأمهات الأخريات إلا أنني سأفوتها؟ ماذا عن الحفلات التي كان علي أن آخذهم إليها بالسيارة؟ كيف يمكن لأي شخص آخر غيري إدارة حياة أطفالي؟".

وتقر بأنها في النهاية، فكرت في الأمر بهدوء، فزوجها يتمتع بخبرة في إدارة مشاريع معقدة في عمله، فهو إذا سيستطيع التحكم في شؤون المنزل. وفي الواقع، لن تنهار العائلة لأنها غابت عنها لفترة. واستدركت قائلة "في بعض الأحيان، يجب علي التحرر من قيود المنزل وإتباع رغباتي وأحلامي، فأنا أكثر من مجرد امتداد لأطفالي وأكثر من مجرد أم، ويجب أن أبذل المزيد من الجهد لتذكير نفسي بذلك".

وتابعت سيمز "مرت الأزمة بسلام، وتركتني أتساءل عما يمكنني فعله للحفاظ على حياتي التي أميل إلى دفنها من أجل الحرص على رفاهية أطفالي".

يسهل أن تنسى من أنت حقا عندما تكون عالقا في الروتين الأسري اليومي، وعندما يبدو لك أنك الشخص الوحيد القادر على العثور على الجوارب النظيفة والواجبات المنزلية المفقودة التي تقبع أمام أطفالك دون أن يروها.

تعرف الأمهات هذه اللحظات عندما يتوقفن عن الصراخ والجري وراء أطفالهن ويفكرن "من أنا؟ أين ذهبت؟ متى أصبحت حياتي تحوم حول أطفالي؟ لماذا لا أرقص أو أعمل على تغيير العالم؟".

لذا، تذكري أنك لا تحتاجين إلى السفر إلى اليونان، بل يمكنك أن تتناولي العشاء في مدينتك في أحد المطاعم، ولكن عليك الخروج من المنزل لوحدك أو دون أطفال على الأقل، تقول الكاتبة موجهة هذه النصيحة لغيرها من الأمهات.

لكنّ التمسك بإحساسك بذاتك لا يتطلب منك إلا قضاء وقت بعيد عن أطفالك، إذا كنت لا تريدين ذلك، فيمكنك البقاء في المنزل دون إملاء أنشطة الصغار والتحكم بها كل يوم. بدلا من المنتزهات والملاهي، تدعو سيمز كل أم قائلة "خذيهم إلى المعارض الفنية إن كنت تفضلينها، حتى لو كانوا يشتكون من الملل. أفلا يشتكون من كل شيء على أي حال؟ كوني أنانية، سيصبح أطفالك أناسا أفضل عندما يدركون أن لديك احتياجات أيضا". تشعر الأمهات في كثير من الأحيان بالحاجة إلى تبجيل أطفالهن عن أنفسهن. فبمجرد أن تصبح المرأة أما، تتحول من محور الصورة إلى إطارها. تعني الأمومة لجل النساء على ما يبدو أنهن أصبحن موجودات من أجل أطفالهن فقط، ويتوقفن عن الاهتمام بأنفسهن. يمكن أن تُشعر الأمومة المرأة أنها غير مرئية. وبهذه الطريقة، لا تعتبر ضارة لها فحسب، ولكنها تفسد الأطفال أيضا.

العديد من الأطفال غير معتادين على سماع كلمة "لا" لأن والديهم كانا يعاملانهم بطريقة يحسون فيها بأنهم مركز العالم وأن على الآخرين أن ينصاعوا لرغباتهم.

وتقول سيمز نصيحتي كأم "لا تقتلوا أنفسكم من أجل أن يعيش أطفالكم. ضعوا أنفسكم في وسط الصورة من حين إلى آخر. أطلبوا من الأطفال أن يبحثوا عن ملابسهم وألعابهم بأنفسهم، وتناولوا قطعة الحلوى الأخيرة إذ لن يتنازل عنها أطفالكم لكم كما تفعلون من أجلهم دائما".

وتضيف توقفوا عن الحديث عن أطفالكم وحاولوا قضاء بعض الوقت مع الأصدقاء الذين لا يصطحبون معهم أطفالهم أين ما ذهبوا. فنحن نحتاج إلى محادثة البالغين التي لا تحوم حول الأطفال، سيساعدكم هؤلاء الأشخاص في تذكر هويتكم بعيدا عن الصغار. وستصبحون قادرين على مناقشة المواضيع الأخرى.

في بعض الأحيان، لا نجد وقتا للحفاظ على الصداقات، وينجرف الأصدقاء القدامى بعيدا ولا نراهم أكثر من مرة في السنة. لكن وسائل التواصل الاجتماعي تسهل البقاء على اتصال يومي أو أسبوعي. وإذا كنا محظوظين حقا، سنستطيع تكوين صداقات جديدة مرة أخرى.

تجربة الأمومة يجب أن تخضع بدورها لمعايير تراعي الأم مثلما تراعي الأبناء والزوج، وإلا فإنها تضر الأم في البداية ثم يتوسع ضرر تخليها عن ذاتها وأحلامها وأهدافها الشخصية ليلحق بالأبناء أنفسهم. ولا تفكر الأمهات عموما في وضع حدود لعطائهن وتلغي بعضهن نفسها دون قصد ودون أن تتفطن لذلك في سبيل أن تكون الأم المثالية التي نجحت في أعظم مهمات حياتها، لكن كثيرا ما تتفطن بعض الأمهات إلى أنهن أضعن طموحاتهن وأحلامهن وأهدافهن الشخصية بعد فوات الأوان وقد تندمن على ذلك.

نصائح

المنظفات الطبيعية لا تخلو من العيوب

رغم أن الأسواق تزخر حاليا بالمنظفات الكيميائية الحديثة، التي تمتاز بالسرعة والراحة، إلا أن المنظفات الطبيعية، كالخل والصودا وحامض الستريك، لا تزال تحتفظ بمكانتها في العديد من البيوت بفضل نجاعتها في التنظيف والاعتقاد بأنها غير ضارة، غير أن هذه المنظفات الطبيعية لا تخلو من العيوب؛ حيث إنها قد تتسبب في تهيج الأغشية المخاطية.

وأوضحت لورا غروس، من مبادرة حماية المستهلك الألمانية، أن استعمال الخل يرتبط بالجرعة ونطاق الاستخدام. وعند خلط الخل بالماء فإنه يعمل على تعقيم الأسطح الداخلية للثلاجة بعد التنظيف لتجنب البكتيريا والجراثيم، ولكن عند الرغبة في تنظيف المرحاض، فإنه من الأفضل الاعتماد على منظف خل قوي، ويمكن استعماله مع حامض الستريك، غير أنه قد يتسبب في تهيج الأغشية المخاطية. ولا يصلح كمنعم للملابس في الغسالات الأوتوماتيكية.

ويعتبر بيكربونات الصوديوم من المواد التقليدية لإزابة الدهون، ونظرا لكونه أحد مكونات مسحوق الخبز، فإنه عادة ما يُوصَى باستعمال مسحوق الخبز كمنظف، ولكن النشا الموجود في مسحوق الخبز يؤدي إلى عكس ذلك تماما؛ إلا أن الدقيق الموجود في مسحوق الخبز يوفر طعاما لفطريات العفن، التي تتكاثر بسرعة، وبالتالي تتحول فواصل البلاطات إلى اللون الأسود مرة أخرى.

ويمكن الاعتماد على الصودا لعمل محلول مذيب للدهون، وأوضحت غروس أن الصودا تساعد في إزابة الحروق الشديدة في الأواني، إلا أن استخدام الصودا كمنظف قد يتطلب عدة ساعات، ولا تتناسب الصودا مع الملابس المصنوعة من الصوف أو الحرير.

أما الصابون الصلب فيعتبر منظفا عاما لكل الأغراض، ولكنه ليس لطيفا على البشرة في كل الأحوال، علاوة على أنه قد يهيج الأغشية المخاطية بشدة. وإذا رغب المستخدم في الحفاظ على البيئة، فمن الأفضل استعمال الصابون الصلب دون زيت النخيل، أي استعمال المنتجات، التي لا تحتوي على بالميتات الصوديوم.

وينصح الخبراء بالاعتماد على الصابون السائل المحايد؛ حيث لا تستغرق عملية التنظيف وقتا طويلا، علاوة على أنها تكون مريحة.

حتى تمرّ الأزمة بسلام

نهى الصراف
كاتبة عراقية

تمّر علينا مشاهد كثيرة من مثل هذا؛ يسقط طفل أو يتعثر على الرصيف فيصاب بنوبة بكاء متواصلة سرعان ما تخفت مع تصاعد نبرة صراخ الأم، التي تجد نفسها في حالة ذهول وصدمة وهي لا تعرف ما الذي يتوجب عليها فعله أو كيف يمكن أن تداوي بكاء طفلها ليخرج من الموقف بجروح نفسية طفيفة.

يتجمع المارة فينتشلون الطفل من الأرض ينفضون عن ملابسه الغبار ويكفكفون دموعه، مع ذلك، تستمر دموع الأم بالانهمار حتى يتحول صراخها إلى نشيج بعد أن تطالع وجه طفلها وتتأكد من أنه بخير. في الأوقات العصيبة هناك حاجة ملحّة إلى أم قوية، وهي لا تشبه بالتأكيد تلك الأم التي تولول وتصرخ بأعلى صوتها عندما تلج قطرة دم على أنامل طفلها أحدثها جرح طفيف.

بالطبع، فإن أغلب الأمهات يخضعن لضعفهن البشري في مواقف مشابهة بدافع الغريزة أولاً ثم التعلق الشديد بالأبناء، على أن المحبة والحرص والخوف مشاعر طبيعية حتى في المواقف التي لا تستدعي ذلك، شرط أن تبقيها الأمهات قدر الإمكان خلف ستارة شفافة فيقفلن عليها حواسهن بصورة مؤقتة، حتى تمر الأزمة بسلام.

التظاهر بالقوة والشجاعة أكثر ما يحتاجه طفل يمر بمحنة وهو في ذات الوقت يحتاج إلى يد أمه الممدودة صلبة تشد على يديه وتقوي من عزيمته، حتى إذا كانت المحنة تفوق طاقته وطاقتها على التحمل، لكن الأمر بالتأكيد مهمة عسيرة.

عندما يشتكي الأبناء من ألم ما أو يمرون بموقف مربك، فإنهم يوجهون أنظارهم مباشرة إلى وجوه أمهاتهم وكأنهم يطلبون النجدة... فهي الملجأ الذي يحتمون به من أي أذى قد يصيبهم ومن دون كلمات، تسري مخاوفهم إلى روحها وتسكن أوجاع جسدهم في جسدها. ومثلما هو الملجأ الذي يحتمي فيه الناس من الحروب؛ قوي ومتين، عصي على العواصف والنيران والخراب، هكذا يتوجب أن يكون قلب الأم، ملجأ منيع يحتمي بجدرانه الأبناء من الخوف والألم.

على الرغم من ذلك، تحاصر الأمهات في بعض الأوقات أسئلة لا تجد لها إجابات حاضرة من مثل؛ ماذا لو كان طفلي بحاجة إلي في اللحظة التي أكون فيها بعيدة عنه؟ ماذا لو لم أكن قوية ومهيأة نفسياً لأقدم المساعدة والدعم؟ كيف يمكن أن يقوم شخص آخر، حتى لو كان الأب، بدوري في تلك الأوقات العصيبة وهل سيكون وجوده كافياً وفاعلاً؟

نمو سوي

يحدد متخصصون في التربية أن مدى مسؤولية الوالدين وكفاءتهما لا يتعلقان بتجنب تعريض الطفل لسوء المعاملة أو الإهمال، بل يتعديان ذلك بكثير ونذكر في المقام الأول؛ تقديم الرعاية الصحية والحماية الكاملة وتعزيز رفاههم العاطفي وتعليمهم المهارات الاجتماعية الضرورية وإعدادهم من الناحية الفكرية والثقافية.

أما أفضل الآباء والأمهات، من وجهة نظر هؤلاء، فهم من يجدون طريقة مناسبة في تربية أبنائهم فيجمعون بين العاطفة وتحري السلوك الجيد؛ فالطفل لا ينمو جسدياً ونفسياً بالحب فقط، بل بالتعليم والرعاية النفسية والبناء المحكم لشخصيته.

في نهاية المطاف، فإن الصغار معرضون للحوادث والإصابات الجسدية والعوارض النفسية ومهما حاولت الأمهات جهدهن لدرء المخاطر عن الأبناء، فإن الأمر الواقع قد يخالف كل تقديراتهن. ومهما كان الأمر فالتحلي بالصبر والشجاعة هو الخيار الوحيد المتاح للخروج بأقل الخسائر للطرفين.

موضة

حيل الموضة لإخفاء البطن

تعد البطن من الأسباب الرئيسية، التي تُفسد أناقة المظهر، حتى مع ارتداء ملابس فخمة.

وقالت مستشارة المظهر الألمانية زيلكه جيرلوف إنه يمكن للمرأة إخفاء البطن ببعض حيل الموضة.

وذكرت أن أبرز هذه الحيل تتمثل في ارتداء قطع فوقية تزدان بتقليمات طولية، في حين تتسبب التقليمات العرضية في إبراز البطن.

كما ينبغي، حسب مستشارة المظهر، وللسبب ذاته الابتعاد عن النقوش المستديرة.

وأضافت جيرلوف أنه يمكن إخفاء البطن من خلال الإطلالة الداكنة الكاملة، كتوب وسروال باللون الأسود؛ حيث تعمل هذه التوليفة على إطالة القوام بصريا، ومن ثم يبدو القوام أكثر نحافة ورشاقة.

ومن الحيل الأخرى لإخفاء البطن ارتداء قطعة فوقية يصل طولها إلى الخصر وذات خامة انسيابية كالحرير والشيفون، بينما ينبغي الابتعاد عن الخامات، التي تلتصق بالجسم أو الخامات المطاطة (ستريتش)؛ نظرا لأنها تسلط الضوء على البطن.

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

نجوم صاعدة في الكان

بطولة أمم أفريقيا تكشف معالم خارطة جديدة للمنتخبات

خروج الفرق الكبيرة يقابله صعود نجوم أخرى في سماء مصر

أظهرت بطولة أمم أفريقيا في نسختها الثانية والثلاثون بمصر معالم خارطة جديدة للمنتخبات المشاركة، حيث لم يعد التنافس محصورا مثلما كان الوضع سابقا بين الكبار الذين غادر أغلبهم المسابقة مبكرا، بل برزت إلى العلن منتخبات طموحة غيّرت معالم اللعبة وأدخلتها طورا جديدا من الجدل في مستوى التحليل والنقد حول حظوظ وهوية هذا المنتخب أو ذاك.

تونس - كشفت بطولة أمم أفريقيا الدائرة في مصر حتى الـ19 من الشهر الجاري في نسختها الجديدة عن مفاجآت مدوية وجرّت وراءها الكثير من الجدل خصوصا للبلد المضيف منتخب مصر الذي غادر السباق باكرا برفقة منتخبات عتيدة على غرار المغرب والكاميرون وفي مرحلة لاحقة غانا.

وفيما بات التركيز منصبا على المنتخبات المتأهلة إلى الدور النصف النهائي والنهائي لمعرفة هوّية صاحب اللقب، ينظر المشاهد العربي إلى سجل هذه البطولة منذ انطلاقها كونها على غير ما جرت عليه العادة لمسابقة تقام في فترة محددة وينتهي كل شيء بخروج أحد المنتخبات الكبيرة فائزا.

وأقيمت النسخة الثانية والثلاثون من البطولة هذا العام في مصر بمشاركة 24 منتخبا في نسخة جديدة تدور في توقيت مغاير تماما في الصيف بقرار من الاتحاد الأفريقي للعبة "كاف".

وقبل انطلاق الكان رأى محللون رياضيون في قرار "كاف" مخاطرة كبيرة وأعربوا عن تخوفهم من فشل المسابقة، لكن ما بدا ظاهرا أنه لا الزيادة في عدد المنتخبات كانت عائقا أمام الرهان على إنجاح المنافسة ولا التوقيت مثّل مشكلة بالنسبة إلى المنتخبات المشاركة وخصوصا منها مجموعة شمال أفريقيا المتعودة على خوض غمار هذه البطولة في فصل الشتاء.

لكن اللافت في هذه البطولة، التي يثني المراقبون على النجاح المصري فيها تنظيميا، هو أنها فجّرت العديد من المفاجآت وأظهرت إلى العيان خارطة جديدة للمنتخبات المنافسة على لقبها.

خيبة عربية

بدأت بطولة هذا العام على غير المتوقع، أين انقاد منتخب الفراعنة صاحب الأرض والجمهور إلى هزيمة وخرج من السباق من الدور الثاني، قبل ذلك كان المنتخب المغربي أبرز المراهنين على اللقب قد غادر السباق هو أيضا في مشهد مؤثر أصاب الجماهير العربية بالإحباط والخيبة.

وتداعت التصريحات وردود الفعل لخروج أبرز منتخبين عربيين من المسابقة، إضافة إلى منتخب الكاميرون الذي غادر هو الآخر السباق من الدور ثمن النهائي، فيما ودّع المنتخب الغاني العتيد البطولة على يد تونس.

في المقابل كشفت المنافسات عن منتخبات جديدة كسبت التحدي وأصبحت تقف ندا في هذه المسابقة على غرار منتخب بنين الذي ترك انطباعا جيدا ببلوغه الدور الربع النهائي ونفس الشيء بالنسبة إلى نظيره مدغشقر.

وبدّدت مباريات دور ثمن النهائي للبطولة الحلم العربي وضربت المشاركة العربية في مقتل وجاءت محمّلة بالعديد من المفاجآت خاصة للمنتخبات العربية، بعدما ودع منتخبا مصر والمغرب مبكرا.

وودع منتخب الفراعنة الكان أمام جنوب أفريقيا في مواجهة من العيار الثقيل بهدف دون رد، بينما غاب الحظ عن المغرب أمام بنين في اللقاء الذي انتهى بخسارة "أسود الأطلس" بركلات الترجيح بعد التعادل في اللقاء بهدف لكل فريق وإهدار حكيم زياش لركلة جزاء في اللحظات الأخيرة من المباراة.

وترك الخروج المفاجئ للمنتخبين العربيين من البطولة جرحا غائرا لدى تابعيهما في البطولة وانطباعا سيئا لدى الجمهور الرياضي عموما الذي بات ينظر إلى البطولة من زاوية التمثيل التونسي والجزائري.

وقدمت الجزائر جرعة إضافية طيلة أطوار هذه المسابقة بفضل الأداء المتماسك لمجموعة من اللاعبين التي يضمها منتخب "الخضر"، والأهم من ذلك بفضل الوقوف القوي للمدرب جمال بلماضي الذي يمتلك حسّا فنيا قويا وكان وراء التخطيط لكل واحدة على حدة.

وأنسى "محاربو الصحراء" الجزائريين همومهم في بلد يعيش على وقع "حراك" وأخذوهم إلى سماء القاهرة لمتابعة أطوار البطولة. وطوال لقاءات البطولة يتسمّر الجزائريون أمام شاشات عملاقة لمتابعة "الخضر" وكلهم أمل بتحقيق لقب البطولة للمرة الثانية في تاريخ البلد.

ورغم أن الخيبة العربية بخروج المغرب ومصر كانت طاغية على منافسات هذه البطولة، إلا أنها لم تحجب الظهور اللافت لبعض المنتخبات التي شدّت الانتباه إليها.

ويقول طارق مصطفى النجم المصري السابق لنادي الزمالك ومنتخب الفراعنة، إن "ما أظهرته هذه البطولة من مفاجآت تمثّل ببروز منتخبين قويين سيكون لهما شأن في البطولة الأفريقية مستقبلا هما مدغشقر وبنين". ويرى مصطفى أن "خارطة البطولة الأفريقية على مستوى المنتخبات المشاركة ستشهد تغيرا لافتا في قادم الدورات بالنظر إلى ما سجلته بطولة مصر هذا العام".

وقدم منتخب مدغشقر المشارك لأول مرة في بطولة أمم أفريقيا في مصر مستوى لافتا، وحسم ترشحه إلى الدور الثاني على رأس مجموعته الثانية، مما أعطى انطباعا لدى المحللين وخبراء كرة القدم بأنه قد يكون "الحصان الأسود" لهذه الدورة.

منتخبات صاعدة

قبل انطلاق البطولة لم يعان المنتخب الملغاشي من أي تأثير من أي نوع، وظل ينظر إلى نفسه باعتباره خارج دائرة الترشيحات، لكن شيئا فشيئا ومع بداية دوري المجموعات بدأ هذا الفريق يظهر طاقة إيجابية ومستوى لافتا وضعاه في خانة المنتخبات الصاعدة أفريقيا.

وكان انتصار مدغشقر 2-0 في الإسكندرية من أكبر المفاجآت في تاريخ البطولة، لينهي الفريق الذي يخوض أول نهائيات له دور المجموعات برصيد سبع نقاط. لكن المدرب نيكولا ديبوي، الذي يجمع بين تدريب مدغشقر وتولي مسؤولية فريق فليري المنافس في دوري الدرجة الرابعة الفرنسي، أبدى حينها الكثير من التواضع وقال إن الفريق لا يزال يبحث عن نفسه في هذه البطولة.

وفي بداية المشاركة بدوري المجموعات قال الفرنسي ديبوي للصحافيين "لا نزال نبحث عن التواجد، يساعدنا كثيرا أن نقول ذلك، المزج بين التواضع والثقة هو ما دفعنا إلى الوصول إلى هنا وسنمضي الآن إلى أبعد مدى على قدر استطاعتنا".

وأضاف ديبوي "تأهلنا إلى النهائيات إنجاز حقيقي. حضرنا إلى هنا وبلغنا الآن دور 16، يجب أن أوجه الشكر للاعبين الذين جعلوني أشعر بالفخر، وهو نفس شعور شعب مدغشقر. هذا إنجاز حقيقي بالنسبة لنا". وسرعان ما بدأ حلم هذا المنتخب ينمو شيئا فشيئا بعد تأهله إلى ثمن النهائي ثم ربع النهائي في مفاجأة يسجلها التاريخ لمنتخب كان ينظر إليه على أنه هاو ومغمور لكنه غيّر القاعدة تماما وبات يقرأ له ألف حساب.

وقبل مواجهة تونس في ربع النهائي، قال المدرب الفرنسي في حديث للصحافة "نسعى لكتابة تاريخ جديد في الكرة الأفريقية، من خلال التأهل للدور قبل النهائي".

منتخب آخر دخل هذه البطولة لأول مرة في التاريخ هو المنتخب الموريتاني الذي كان الهدف الرئيسي الذي جاء من أجله إلى مصر هو اكتساب الخبرة اللازمة في أول مشاركة له بالبطولة.

وبعد محاولات عديدة فاشلة، شق المنتخب الموريتاني طريقه بنجاح في التصفيات ليكون أحد ثلاثة فرق تخوض النهائيات للمرة الأولى من خلال البطولة الثانية والثلاثين.

ووضعت القرعة منتخب موريتانيا في مجموعة متوسطة المستوى مع مالي وأنغولا وتونس، واستطاع فريق "المرابطون" أن يشدّ إليه الجمهور الرياضي العربي والأفريقي بفضل المردود الممتاز الذي قدمه والذي أثنى عليه الجميع.

وساعدت الخبرة التي يتمتع بها عدد من لاعبي الفريق المحترفين في أوروبا وفي بعض الأندية العربية الفريق على تفجير المفاجأة.

ولكن ربما ما ضاعف من صعوبة المهمّة على هذا الفريق، وفق بعض المحللين، أنه دخل النهائيات بقيادة المدرب الفرنسي كورينتين مارتينز، وهو مدرب محدود الخبرة، حيث كانت معظم تجاربه التدريبية السابقة كمدرب مساعد أو كمدرب مؤقت لفريق بريست الفرنسي في ما يخوض أول تجاربه التدريبية في القارة الأفريقية مع المنتخب الموريتاني.

لكن على العكس من هذه الرؤية، فقد وضع مارتينز كل ثقته في المجموعة التي أشرف عليها بالتدريب وتمكن من صنع المفاجأة من حيث الأداء الجماعي للاعبين في المقابلات الثلاث، رغم أن الفريق انقاد إلى هزيمة وتعادلين جميعها لم تكن كافية لضمان مروره إلى الدور الثاني.

وإضافة إلى مدغشقر وموريتانيا سجل منتخب بنين حضوره بقوة في كان مصر ولفت إليه أنظار الجميع بعد أن وصل إلى ربع النهائي، وخسر أمام السنغال 0-1 ليغادر البطولة، لكنه ترك انطباعا جيدا لدى محبيه أولا ولدى الجمهور الرياضي الذي أثنى على قدرات هذا المنتخب والمستقبل الذي ينتظره في قادم البطولات.

وأكد الفرنسي ميشيل دوساييه المدير الفني لمنتخب بنين أنه لن يستقيل من منصبه عقب الخروج من ربع نهائي بطولة كأس الأمم الأفريقية بعد الخسارة على يد السنغال.

وقال دوساييه "عقدي مع المنتخب مستمر، ولن أستقيل، وعلينا أن نكمل المشوار والتعلم مما حدث في مصر من أجل التأهل لبطولة كأس العالم 2022". وأضاف "حاولت جاهدا أن أترك بصمة مميزة منذ أن توليت المسؤولية، وأعتقد أن ما قدمناه بالبطولة كان جيدا".

وأوضح أنه محبط بشكل شخصي وكان يتمنى التأهل إلى نصف النهائي، ولكنه أيضا فخور بلاعبيه لأنهم قدموا مستويات رائعة ونجحوا في عبور منتخبات قوية وسقطوا أمام أحد أقوى فرق القارة. وأضاف "واجهنا منتخبا مليئا بالنجوم الكبار لديهم ساديو ماني أحد أفضل لاعبي العالم وغيره من المواهب الفذة".

> منتخب مدغشقر سرعان ما بدأ حلمه ينمو شيئا فشيئا بعد تأهله إلى ثمن النهائي ثم إلى ربع النهائي في مفاجأة يسجلها التاريخ لمنتخب كان ينظر إليه على أنه هاو ومغمور

مقصلة المدربين

تسببت نتائج دور الـ16 في بطولة أمم أفريقيا في الإطاحة بعدد من مدربي المنتخبات التي ودعت البطولة في مقدمتهم الفرنسي سباستيان ديسابر مدرب منتخب أوغندا، والذي تولى رسميا تدريب بيراميدز المصري، إلى جانب رحيل إيمانويل إيمونيكي عن تدريب منتخب تنزانيا، وأبرزهم على الإطلاق المكسيكي خافيير أغيري مدرب مصر.

وتصدر المكسيكي أغيري قائمة ضحايا بطولة كأس الأمم الأفريقية بعد انسحاب الفراعنة من الدور الأول. كما أعلن الاتحاد التنزاني عن إقالة أمونيكي من منصب المدير الفني وذلك عقب الخروج من دور المجموعات ببطولة كأس الأمم الأفريقية.

وربما تشهد الأيام القادمة إقالات جديدة خاصة مع ظهور أنباء عن توتر العلاقة بين الاتحاد الكاميروني والهولندي كلارنس سيدورف، بعد خروج حامل اللقب من دور الستة عشر على يد نيجيريا.

ولم تتضح الرؤية حول مستقبل الفرنسي هيرفي رينارد المدير الفني لمنتخب المغرب بعد الخروج الصادم من دور الستة عشر على يد بنين، وهو ما لم يحسمه فوزي لقجع رئيس الاتحاد المغربي بعد. لكن تقارير صحافية ربطت مصير المدرب بالانتقال إلى السعودية لتولي الإشراف على الأخضر السعودي.

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

العرب يتوقون إلى نهائي كأس أمم أفريقيا بنكهة مغاربية

تونس تصطدم بالسنغال والجزائر تتحدى الإجهاد ضد نيجيريا

في لقاءين متتالين، الأحد، سيلتقي المنتخب التونسي نظيره السنغالي محاولا اقتلاع ورقة العبور لنهائي بطولة كأس أمم أفريقيا المقامة حاليا بمصر، وهو ما يسعى إليه الجار، المنتخب الجزائري، حين يلتقي إثرهما بنظيره النيجيري، في سعي من كلا الفريقين المغاربيين للظفر بنجمتهما الثانية، فهل يكون النهائي عربيا بنكهة مغاربية؟

هل تتواصل أفراح نسور قرطاج

القاهرة – رغم وصول كليهما إلى الدور قبل النهائي بنجاح، ستكون المباراة بين المنتخبين التونسي والسنغالي، الأحد، بمثابة "البحث عن الحقيقة" حيث تمثل المواجهة بينهما أقوى اختبار لقوة كل منهما والمقياس الحقيقي لقدرتهما على المنافسة.

ويلتقي المنتخبان التونسي والسنغالي، الأحد، على إستاد "الدفاع الجوي" في القاهرة وذلك في الدور قبل النهائي لبطولة كأس الأمم الأفريقية (كان 2019) المقامة حاليا في مصر.

ويتطلع كل من الفريقين إلى خطوة جديدة على طريق البحث عن اللقب في هذه النسخة، حيث يضع الفوز صاحبه على بعد خطوة واحدة من اعتلاء العرش الأفريقي، وواجه كل من الفريقين عدة عقبات في طريقه إلى المربع الذهبي للبطولة، لكنهما شقا طريقهما بجدارة إلى هذه المرحلة من البطولة.

واستهل المنتخب التونسي مسيرته في البطولة بثلاثة تعادلات متتالية مع منتخبات أنغولا ومالي وموريتانيا وحل ثانيا في مجموعته بالدور الأول، ليلتقي في الدور الثاني مع نظيره الغاني العنيد قبل أن يطيح به عبر ركلات الترجيح بعدما حقق نسور قرطاج التعادل الرابع على التوالي في هذه النسخة.

وفي المباراة الخامسة للفريق، حقق نسور قرطاج الفوز الأول لهم في البطولة الحالية بالفوز الكبير (3–صفر) على منتخب مدغشقر مفاجأة البطولة، لينهي المنتخب التونسي مغامرة منتخب مدغشقر الذي شارك في النهائيات للمرة الأولى.

وتشير النتائج إلى أن المنتخب التونسي فشل في تحقيق أي فوز على فريق كبير، حيث كان الفريق العملاق الوحيد الذي واجهه في المباريات الخمس الماضية هو المنتخب الغاني والذي أطاح به نسور قرطاج عبر ركلات الترجيح فقط. وفي المقابل، وعلى الرغم من الترشيحات الهائلة التي سبقت الفريق إلى هذه البطولة والإمكانيات الضخمة التي يتمتع بها، لم يحقق المنتخب السنغالي حتى الآن الفوز على منتخب كبير في هذه البطولة حيث فاز في مجموعته بالدور الأول على منتخبي كينيا وتنزانيا، بينما خسر أمام نظيره الجزائري ليحتل أيضا المركز الثاني في المجموعة.

وفي دور الستة عشر، اجتاز المنتخب السنغالي عقبة نظيره الأوغندي بهدف نظيف وهي النتيجة ذاتها التي فاز بها على منتخب بنين في دور الثمانية، لتصبح مباراة الأحد هي الاختبار الثاني له فقط أمام فريق كبير على غرار مواجهته السابقة مع منتخب الجزائر.

ويتشابه سجل الفريقين كثيرا على الساحة الأفريقية حيث يمتلك كل منهما تاريخا حافلا، لكن رصيدهما من الألقاب لا يتناسب مع مكانتهما على الساحة الأفريقية.

ويقتصر رصيد المنتخب التونسي على لقب واحد فقط في البطولة حيث أحرز اللقب في نسخة 2004 عندما استضافت بلاده البطولة، فيما فشل الفريق في نسخة 1965 عندما نظمت تونس البطولة أيضا وسقط أمام نظيره الغاني في المباراة النهائية، كما فشل على أرضه أيضا في نسخة 1994 وخرج من الدور الأول، فيما خسر النهائي عام 1996 أمام منتخب جنوب أفريقيا صاحب الأرض. وفي المقابل، لم يحرز المنتخب السنغالي اللقب من قبل ليظل من أبرز المنتخبات صاحبة التاريخ العريق على الساحة الأفريقية والتي لم تحرز اللقب من قبل إن لم يكن أبرزها على الإطلاق.

وفيما وصل المنتخب التونسي إلى نهائيات كأس العالم أكثر من مرة، بلغ المنتخب السنغالي (أسود التيرانغا) المونديال في نسختي 2002 و2018 وترك بصمة رائعة في مشاركته العالمية الأولى حيث وصل دور الثمانية بجدارة.

رغم أن نسبة كبيرة من الترشيحات تصب في صالح المنتخب السنغالي لاجتياز عقبة نسور قرطاج، إلاّ أن مهمة أسود التيرانغا لن تكون سهلة على الإطلاق في ظل الصحوة التي أظهرها المنتخب التونسي في الأدوار الإقصائية والتي جاء أداء الفريق فيها خلافا لما كان عليه في الدور الأول.

وتشير إحصائيات الفريقين في البطولة الحالية إلى تفوق نسبي للمنتخب السنغالي الذي هز الشباك سبع مرات ودخل مرماه هدف واحد، فيما اهتزت شباك تونس 3 مرات وسجل لاعبو الفريق 6 أهداف.

ويمتلك كل من الفريقين من الأسلحة ما يمكنه من حسم المباراة، الأحد، لصالحه حيث يعول المنتخب التونسي كثيرا على مساندة الجالية التونسية في مصر وكذلك الجاليات العربية والمشجعين المصريين من ناحية وتوافد أعداد كبيرة من مشجعيه إلى مصر مع تقدم الفريق في البطولة من ناحية أخرى.

وتقول التوقعات عن المباراة الثانية التي ستدور أيضا، الأحد، إنه رغم كونهما من القوى الكروية الكبيرة في القارة الأفريقية، إلاّ أن المنتخبين الجزائري والنيجيري لم يكونا ضمن أبرز المرشحين للمنافسة على لقب النسخة الحالية من البطولة.

ولكن الفريقين يحظيان الآن بترشيحات هائلة للفوز باللقب بل إن الفائز منهما، الأحد، في الدور قبل النهائي للبطولة على إستاد القاهرة الدولي قد يكون المرشح الأبرز على الإطلاق للصعود إلى منصة التتويج باللقب بغض النظر عن المنافس الذي يلتقيه في المباراة النهائية للبطولة.

وخاض كل من الفريقين البطولة الحالية بعدما عانى من مشاكل عدة ومن تراجع في المستوى على مدار السنوات الماضية بعد فترة من الوصول إلى مستويات رائعة من الأداء.

ومنذ صعوده لدور الستة عشر في بطولة كأس العالم 2014 بالبرازيل والعروض القوية التي قدمها في البطولة وخاصة أمام نظيره الألماني في دور الستة عشر، بدأ أداء المنتخب الجزائري في التراجع ليودع الفريق كأس الأمم الأفريقية من دور الثمانية في نسخة 2015 ومن دور المجموعات في نسخة 2017، علما بأنه لم يحقق أي فوز في مبارياته الثلاث بالمجموعة في الدور الأول للبطولة.

ولكن الفريق قدّم في البطولة الحالية ما جعله أكثر المرشحين للفوز باللقب حيث أحرز العلامة الكاملة في الدور الأول بالفوز في المباريات الثلاث بمجموعته التي ضمت منتخبات كينيا والسنغال وتنزانيا، علما بأنه اعتمد على معظم عناصره البدلاء خلال المباراة الثالثة بالمجموعة أمام تنزانيا وحقق الفوز (3–صفر).

جمال بلماضي

لا يوجد فريق أفضل من الآخر في الدور قبل النهائي بناء على تاريخه، الأفضل على الملعب هو من سيفوز

وفي الدور الثاني (دور الستة عشر)، لم يجد المنتخب الجزائري أي صعوبة في الفوز على نظيره الغيني (3–صفر) أيضا، ثم قدم الفريق عرضا في غاية القوة أمام المنتخب العاجي في دور الثمانية وتغلب عليه بركلات الترجيح بعد مباراة أعادت إلى الأذهان المستوى الرائع للخضر في المونديال البرازيلي.

وفي المقابل، خاض المنتخب النيجيري النسخة الحالية من البطولة بعدما غاب عن النسختين الماضيتين في 2015 و2017، علما بأنه توج بلقب نسخة 2013 ليكون الثالث له في تاريخ البطولة.

ولم تكن بداية مسيرة الفريق في البطولة بنفس قوة منافسه الجزائري حيث احتل نسور نيجيريا المركز الثاني في المجموعة الثانية بالفوز على بوروندي وغينيا بنتيجة واحدة، هي (1–صفر) ثم الهزيمة المفاجئة أمام مدغشقر (صفر–2)، فيما حقق الفريق انتصارين غاية في الصعوبة على الكاميرون (3–2) في دور الستة عشر وعلى جنوب أفريقيا (2–1) في دور الثمانية.

وتشير إحصائيات الفريقين في البطولة حتى الآن إلى تفوق واضح للمنتخب الجزائري على نسور نيجيريا حيث سجل لاعبو المنتخب الجزائري 10 أهداف واهتزت شباك الفريق بهدف واحد فقط، هو هدف التعادل للمنتخب العاجي في دور الثمانية فيما سجل لاعبو نيجيريا 7 أهداف واهتزت شباكهم خمس مرات.

وقال جمال بلماضي المدير الفني الوطني للمنتخب الجزائري، والذي أعاد صياغة شكل الفريق بعد توليه المسؤولية في أواخر 2018، في مؤتمر صحافي عقد، السبت، للحديث عن المباراة "لا يوجد فريق أفضل من الآخر في الدور قبل النهائي بناء على تاريخه، الأفضل على الملعب هو من سيفوز في النهاية".

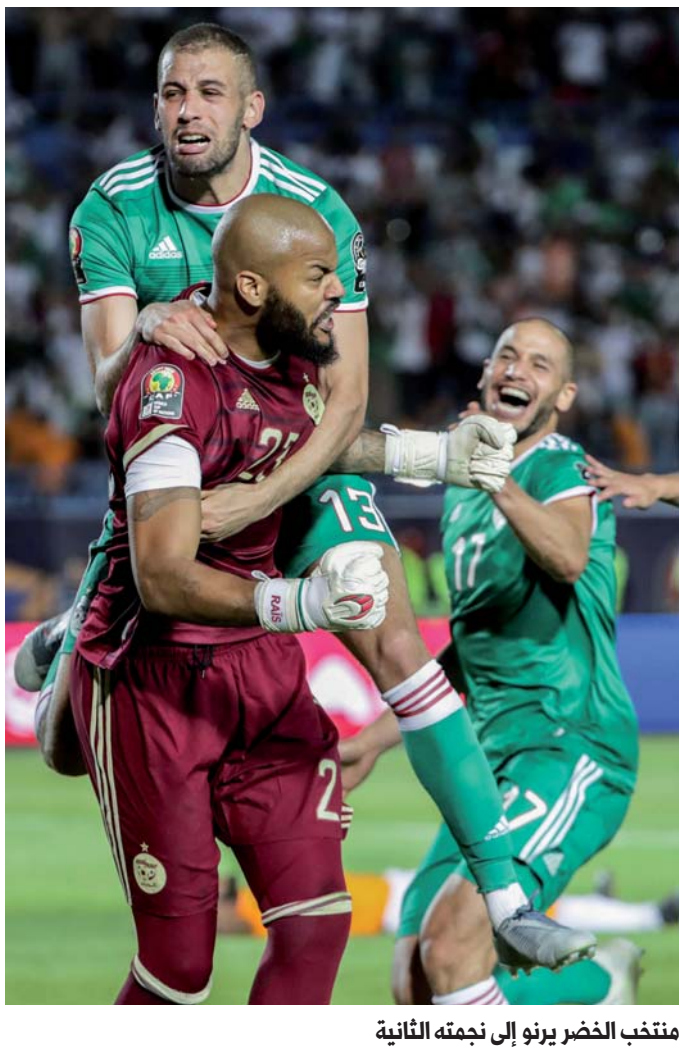

منتخب الخضر يرنو إلى نجمته الثانية

العصيان يطول «حديقة الأمراء»

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

هو أشبه بفيلم سيء الإخراج، بل هو فيلم رصدت من أجله أموال طائلة كي "يكسر الدنيا"، لكن لم يحصد في النهاية سوى الفشل الذريع.

قصة اليوم تتشابه مع قصة رجل فاحش الثراء أراد أن يتباهى بأمواله فأغرى بنت السلطان كي تتزوجه ليدفع من أجلها الغالي والنفيس، لكن في نهاية المطاف هربت منه بعد أن أحكمت قبضتها عليه وانتزعت منه كل ما أرادت.

هي قصة هذه "الزيجة" بين نادي باريس سان جيرمان والنجم البرازيلي نيمار، لقد أوشكت العلاقة على الانتهاء، الرحلة لن تكتمل على الأرجح، واللاعب الموهوب يريد الرحيل مهما كلفه ذلك.

لقد أعلن العصيان، ودبت في عروقه بوادر الثورة ونوازع التمرد على ناديه الحالي، لم يعد يطيق البقاء هناك، ليس بمقدوره أن يطيل المقام بين جنبات ملعب "حديقة الأمراء".

لقد شعر بأنه أخطأ العنوان، أحسّ بالندم، تملكته الرغبة الشديدة في العودة إلى الوراء، ربما لو كان الأمر بيده لأعاد كتابة التاريخ ورفض الانصياع لإغراءات الفريق الباريسي وبقي في ظل ميسي مع برشلونة.

لقد صبر نيمار قليلا، صبر لموسمين متتاليين، لم يحصد خلالهما سوى المشاكل والإصابات، الأولى حصلت الموسم قبل الماضي وكادت تعصف بمستقبله الكروي، وكانت مشاركته في المونديال الأخير محل شك.

والثانية ساهمت في ابتعاده عن الملاعب لفترة طويلة خلال الموسم المنقضي، وكانت من بين الأسباب التي حرمته من مشاركة زملائه في منتخب "السامبا" فرحة التتويج بلقب "كوبا أميركا" الأخيرة.

لقد ذهب نيمار إلى عاصمة الأنوار، ليس طمعا في مجد جديد والقيام بمعجزات كروية، ربما كان التتويج أوروبيا وعالميا مجرد حلم ثان، فالهدف الأول كان بلا شك الحصول على امتيازات مالية كبيرة للغاية، امتيازات تجعله اللاعب الأغلى في التاريخ.

ربما من حقه أن يحلم بأن يحظى بهذه المكانة، فهو يعتبر نفسه ثالث أساطير هذا الزمان بعد ميسي ورونالدو، لقد اعتقد في بادئ الأمر أنه يستحق كل "كنوز الدنيا" كي يثبت جدارته بأن يكون ضمن زمرة نجوم الصف الأول.

اندفع دون تفكير وبلا تردد، قبل العرض الباريسي، راح يتنطط متناسيا كل ما فعله مع ميسي وسواريز في برشلونة. تغافل عن كونه بات "أيقونة" صلب الفريق الكتالوني، لقد "أعمى" بصيرته العرض المالي المغري للغاية من قبل باريس سان جيرمان، ولا نخال أن أي لاعب قد يرفض التحول لفريق مستعد لدفع ما يناهز 220 مليون يورو للتعاقد معه. أما اليوم يبدو أن نيمار ثاب إلى رشده وأراد إصلاح خطئه، ربما أدرك "أنك لن تقدر أبدا على شراء السعادة والطمأنينة حتى وإن اكتسبت مال الدنيا برمته".

ربما أيقن أن التألق الحق في كرة القدم لا يرتكز بالمرة على المبلغ الذي يدفع لأجل أي لاعب مهما علا شأنه، فاللاعب العبقري والموهوب والفذ والذي يدخل التاريخ من بابه الكبير لا يقدّر بأي ثمن.

لنتأمل ماذا فعل نيمار مع باريس سان جيرمان الذي استقدمه بمبلغ خرافي، وماذا فعل صلاح أو ماني أو فان ديك مثلا مع ليفربول، رغم أن التعاقد مع هذا الثلاثي لا يتجاوز تقريبا ما دفع من أجل النجم البرازيلي؟

نيمار حصد بطولة دوري محلي يتيم، أما لاعبو ليفربول فتوجوا بلقب دوري الأبطال، وسيشاركون قبل نهاية العام في كأس العالم للأندية، وسيواصلون حلمهم بكل شغف من أجل نيل ألقاب جديدة في الموسم المقبل.

أما نيمار، ما عساه يفعل؟ هل يقنع بعيشته الهانئة الرغيدة ماليا ويكتفي بالنزر القليل من الألقاب المحلية، أم يتطلع لتغيير واقعه وبدء تغيير مبادئه ورؤيته للحياة؟

أخيرا أدرك نيمار أن المقام في عاصمة الأنوار مهما كانت الأضواء لامعة وبراقة يجب ألاّ يطول، لقد فهم أن اللعب مع الفريق الباريسي ليس سوى محطة عبور إما تعيده إلى محطة سابقة وإما تحيله إلى واقع جديد.

يبدو أن هذا اللاعب أعاد توزيع أوراقه وترتيب أفكاره، ترك كل الأموال جانبا، وفكّر مليا، قبل أن يتساءل ماذا يمكن أن تقدم له التجربة الباريسية رياضيا؟

بحث في التاريخ وجد أن بعضا ممن سبقوه أيقنوا أن باريس سان جيرمان ليس سوى محطة عبور، محطة لا توفّر المتعة الحقيقية والسعادة الأبدية.

ربما كان ما فعله النجم السويدي زلاتان إبراهيموفتيش يؤكد كل هذه التخمينات والهواجس، فالسلطان ترك المكان وبحث عن لذة كرة القدم، فغيّر مساره وهو في قمة تألقه وتوهجه مع الفريق الباريسي لينتقل إلى مانشستر يونايتد الإنكليزي.

ويبدو أن ما فعله مواطنه داني ألفيس الذي قرّر إنهاء تجربته الفرنسية مع نهاية الموسم المنقضي، وكذلك الحارس الإيطالي جانلويجي بوفون الذي عاد إلى ناديه السابق يوفنتوس، ربما دفع نيمار إلى اتخاذ قرار مشابه.

إذا فيلكن العصيان والتمرد، فهو طريق أسلم، طريق قد يؤدي في النهاية إلى الصواب والراحة.. وقصة نيمار ربما تبدأ اليوم، ستبدأ فعليا عندما يستوعب الدرس ويعي أن تلك السعادة الكروية لا تنبني إلاّ عبر الإنجازات الخالدة، عليه أن يعلم أن كل أموال الدنيا لن تكون كافية لشراء المجد والطمأنينة.

هاميلتون يتطلع إلى رقم قياسي في سباق فورمولا1 البريطاني

سيلفرستون (بريطانيا) – تتواصل منافسات بطولة العالم لسباقات سيارات فورمولا1، الأحد، بإقامة سباق الجائزة الكبرى البريطاني على مضمار سيلفرستون، والتي يتطلع فيها البريطاني لويس هاميلتون سائق فريق مرسيدس إلى تحقيق رقم قياسي بإحراز السباق للمرة السادسة. كذلك يسعى هاميلتون لاستعادة هيمنة فريق مرسيدس على سباقات فورمولا1، بعد أن انتزع ماكس فيرستابن سائق ريد بول الفوز في السباق الماضي الذي أقيم في النمسا في 30 يونيو الماضي، وهو السباق الوحيد الذي لم يفز به فريق مرسيدس في بطولة العالم هذا الموسم.

أما فريق فيراري الإيطالي، فقد بدا مفتقدا للثقة قبل السباق البريطاني، رغم أن سائقه الألماني سيبستيان فيتيل فاز بالسباق في العام الماضي متفوقا على هاميلتون.

وقال ماتيا بينوتو رئيس فريق فيراري إن الفريق سيكون لديه "تعديل آخر بسيط في الديناميكا الهوائية" للسيارة، لكنه اعترف بشكل عام "لا نتوقع أن يتناسب مضمار سيلفرستون مع سيارتنا بشكل جيد"، وأضاف بينوتو "في كل سباق، نرى أن موازين القوى يمكن أن تتغير".

ولم يحقق فيتيل أو تشارلز لوكلير، زميله بفريق فيراري، أي انتصار خلال 9 سباقات أقيمت حتى الآن هذا الموسم. وقال لوكلير الذي كان قريبا بشكل كبير من الفوز مرتين هذا الموسم "سنكافح لتقديم سباق جيد".

وكان آخر انتصار لفيتيل، في سباق فورمولا1، في الموسم الماضي، لكن فريق مرسيدس حقق الفوز في 14 من السباقات الـ17 التي أقيمت بعدها، وقد واصل في الموسم الماضي هيمنته على لقب بطولة العالم لكل من فئتي السائقين والصانعين. وتشير التوقعات إلى استمرار هيمنة مرسيدس في الموسم الجاري، حيث يتصدر هاميلتون، الترتيب العام لفئة السائقين ويليه زميله فالتيري بوتاس في المركز الثاني، كما يتفوق مرسيدس بفارق كبير في صدارة الترتيب العام للفرق ويتقدم نحو رقم قياسي يتمثل في الفوز بلقب فئة الصانعين للموسم السادس على التوالي.

العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

ترميم كامل لبيزا مصر المائل.. «سنفرو» بحلة جديدة

احتفل المصريون باستكمال أول عملية ترميم لهرم بالكامل مع المحافظة على الشكل المميز له ودون الإخلال بقيمته التاريخية، لاسيما وأن هرم سنفرو المنحني كان سببا لاكتشاف الفراعنة طريقة مطورة لبناء الأهرامات.

محمود زكي

الترميم لم ينقص من قيمة الهرم التاريخية

الجيزة (مصر) – مثّل ترميم هرم "سنفرو" المنحني بالجيزة، الذي يشبهه البعض ببرج بيزا المائل، بسبب تكوينه الهندسي الفريد، نقلة مهمة وحدثا فريدا، لاسيما مع إعادة جميع أحجاره المتساقطة بالكامل لمكانها السابق ليجذب الحاضرين بارتفاعه الشاهق الذي يبلغ 98 مترا.

واحتفلت وزارة الآثار بالهرم الجنوبي المرمم، وهو ثالث أكبر أهرامات مصر، إذ امتدت أعمال الترميم من قاعدته حتى قمته، كما تم تجميع الأحجار المتساقطة من حوله، بالإضافة إلى ملء الفواصل بين جوانب الأحجار التي فقدت تماسكها بسبب عوامل التعرية، مع الحفاظ على القيمة الأثرية للهرم.

وقال مصطفى وزيري، الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار، إن أعمال ترميم الهرم تمت بكفاءات مصرية في محاولة لإعادة الهرم إلى ما كان عليه قبل تأثره بعوامل الجو وتساقط بعض من أحجاره الخارجية.

وتابع أن المرممين استخدموا دعامات داخلية ضخمة للمرة الأول للحفاظ على جسم الهرم من الداخل وهو عمل فريد نظرا لضخامة جسم الهرم وقدم الأحجار، مشيرا إلى أنه تم مراعاة القيمة التاريخية، بملء الفواصل بين الأحجار وليس بداخلها لرعاية الأثر المهم.

وأبدى السائحون الذين جاؤوا إلى منطقة دهشور بمحافظة الجيزة، التي تعج بالعشرات من الأهرامات المتناثرة، انبهارهم بالحلة الجديدة للهرم، لاسيما وأن القيمة التاريخية للهرم، لا تقل عن هرم "خوفو" الشهير، إذ استغرق بناؤه نحو 14 سنة ليكون مقبرة لمؤسس الأسرة الثالثة "سنفرو"، إلا أن شكله الغريب جعل "سنفرو" يبني هرما آخر حجارته باللون الأحمر.

وأعربت ساندرا ريدموند، وهي سائحة أسترالية مغرمة بالحضارة الفرعونية، في حديثها لـ"العرب"، عن سعادتها، قائلة "أنا سعيدة الحظ لأن الصدفة فقط جعلتني أزور أهرامات دهشور في يوم افتتاح هرم سنفرو بعد ترميمه. هو هرم جميل وعملاق وأهم ما يميزه أنه منحن بصورة مثيرة مثل فاكهة الجوافة بشكل هندسي غير مسبوق، وهو ما يعطيه المزيد من الجاذبية عن بقية الأهرامات والمباني التاريخية حول العالم".

وظهر العشرات من السياح الذين ملأوا المنطقة الأثرية يسارعون في التقاط صور خاصة مع الهرم، بصورة تظهرهم وكأنهم يسندون الجانب المنحني في المبنى، كصور ساخرة.

ويرى أحمد لطيف، وهو أحد الأثريين المشاركين في أعمال الترميم، أن انحناء الهرم جاء صدفة عندما بني قبل 4 آلاف عام، إذ اختار المهندسون بناءه بزاوية 58 درجة، ولكنهم فوجئوا بعد اكتمال نصف المبنى أن تلك الزاوية الكبيرة تتسبب في ارتفاع حاد يصعّب العمل لتكملته وبناء القمة، فاختار البناؤون تشييد جدار تدعيمي جعل زاوية الميل 55 درجة، ثم تم تكملة البناء بزاوية منحنية، فظهر الهرم بشكل فريد عن بقية الأهرامات الفرعونية.

وأضاف لطيف لـ"العرب"، "يعد الهرم المنحني، ثالث أكبر هرم بعد هرم الملك خوفو والهرم الشمالي للملك سنفرو المعروف باسم الهرم الأحمر، وهو ثاني أغرب شكل هندسي للهرم بعد هرم "زوسر" المدرج، الذي بني على شكل درجات منبسطة ومرتفعة.

ويعتبر هرم سنفرو أقدم من أهرامات الجيزة الثلاثة، لاسيما أن الملك خوفو استمد من والده سنفرو، وهو الذي سبقه في الحكم مباشرة، أهمية بناء هرم كبير بعد أن رأى سنفرو أن الشكل الهرمي هو الأفضل من الناحية الجنائزية لاستقبال حياة ما بعد الموت أو الآخرة.

وتضاف لأهمية هرم سنفرو المنحني أنه كان سببا لاكتشاف الفراعنة طريقة مطورة لبناء الأهرامات بعد أن استبدلوا تقنية البناء بزاوية 55 أو 43 درجة، بطريقة وضع طوابق أفقية من الحجارة، كل طبقة مربعة من الحجارة تعلوها طبقة أقل في المساحة، وهذه التقنية الجديدة جعلت سنفرو يبني هرما عملاقا، أطلق عليه الهرم الشمالي على بعد 1.6 كم شمال الهرم المنحني بدهشور، وبناء على تقنية بناء هرم سنفرو الشمالي بنيت أهرامات الجيزة.

ماجدة الرومي تنشد الأمن والسلام للبنان من مسرح جونية الدولي

بيروت – سخّرت الفنانة اللبنانية ماجدة الرومي، بصدقها المعهود وإخلاصها لوطنها وصوتها الشجي، حفلها في مهرجانات جونية الدولية، الجمعة، لإطلاق نداء سلام ومحبة وتصالح إلى كل اللبنانيين وفي مقدمتهم المسؤولون في أرفع المناصب.

وخاطبت الماجدة من فوق المسرح الرئيس اللبناني ميشال عون بأوجاع ومخاوف أبناء وطنها الذين حضر منهم الآلاف للحفل قائلة "أنا مثل كل هؤلاء الناس عندي صرخة وأود أن أقول لفخامة الرئيس، متوجعين نحن من السجالات التي تحصل بوسائل الإعلام، من التقاتل، هذا الذي يحرق قلوبنا، أشعر كأننا نعيش ببيت فيه الإخوة يتقاتلون.. صرنا الإخوة الأعداء".

وأعقبت حديثها بأغنية "سيدي الرئيس".

ورافقت الأغنية لوحات راقصة في خلفية المسرح تظهر حالات العنف والصراع بطريقة فنية وإضاءة تواكب اللحن والرقص والصوت.

وافتتحت الرومي حفلها في مهرجانات جونية الدولية التي تقام سنويا عند خليج مدينة جونية الساحلية الواقعة بشمال بيروت بأغنيتها الشهيرة "عم يسألوني عليك الناس" قبل أن توجه التحية إلى الشعب اللبناني قائلة "أنتم شعب عظيم ولا أحد استطاع أن يتحمل ما تحملتموه، أنتم ما بخلتم بالروح".

واعتبرت الرومي أن إحياء المهرجانات وليالي السهر في لبنان بعد كل المراحل التي مر بها يشكل هدية ونعمة من السماء. ثم غنت من جديدها أغنية "لا تزعل مني وتروح" من كلمات وألحان إيلي شويري.

كما قدمت على مدى أكثر من ساعتين أغاني صارت من الذاكرة اللبنانية والعربية فغنت "كلمات" و"كن صديقي" و"طلّي بالأبيض طلّي يا زهرة نيسان" و"اسمع قلبي" و"ميلي يا حلوة" التي أدتها بمرافقة فرقة دبكة راقصة.

وتمايلت الأيدي مع أغاني الرومي الفلكلورية وتعالى التصفيق مع أدائها أغنية "يا ست الدنيا يا بيروت".

وقالت رنا جوني التي حضرت الحفل "ماجدة الرومي هي أفضل شخص يعبر عنا، عن وجعنا، عما نشعر به من خيبة أمل في هذا البلد".

التونسيون والليبيون أكبر المذنبين في قتل القرش

باريس – حذّر خبراء في الحفاظ على البيئة، الجمعة، من أن أسماك القرش المفترسة التي تعيش في البحار منذ الملايين من السنين معرضة لخطر الاختفاء من البحر المتوسط بسبب الصيد الجائر والتلوث بالبلاستيك الذي يخنق هذا النوع من الأسماك.

وقال الصندوق العالمي للطبيعة إن أكثر من نصف أنواع أسماك القرش والشفنينيات في البحر المتوسط معرضة لخطر الانقراض، وقد اصطيد ثلثها تقريبا ما يزيد الأمر سوءا.

وفي تقريره الذي صدر قبل يوم التوعية بأسماك القرش، اعتبرت ليبيا وتونس من أكبر المذنبين في هذا المجال، إذ تعلق في شباك مصايد كل دولة منهما حوالي 4200 طن من أسماك القرش سنويا، أي ثلاث مرات ما تصطاده إيطاليا التي تعتبر الأكبر في هذا المجال.

وفي حين أن بعض الأنواع مستهدف للغذاء، فإن العديد من أسماك القرش التي تصطاد في البحر المتوسط تعلق عن طريق الخطأ في شبكات مخصصة لأسماك أخرى.

ساعي بريد هولندي يطمر الرسائل في الغابة

لاهاي (هولندا) - عُثر على الآلاف من الرسائل والطرود البريدية مدفونة في غابة هولندية داخل حفر شقها ساع للبريد بالمجرفة وجرى التعرف إلى هويته الجمعة.

وكانت الشرطة قد وقعت الأربعاء على هذا الاكتشاف الغريب بعد إخطارها من جانب متنزه ارتاب إزاء أكوام التراب في المكان فضلا عن وجود طرف مجرفة في غابة قرب مدينة لارن وسط هولندا.

وبعد عمليات حفر، عثرت الشرطة على "كمية كبيرة" من الرسائل في ثماني حفر بعمق متر. وبعض هذه الرسائل مدفون منذ أسابيع تحت التراب.

وأوضحت مارغوت فان دي كوتيرليت المتحدثة باسم مجموعة "ساند" للبريد التي يعمل لحسابها الرجل المذكور، أن أكثرية الطرود البريدية المدفونة تحت التراب هي "فواتير ومجلات ومنشورات إعلانية". وأضافت "هذه الطرود أمضت أسابيع في غابة. إنها مبللة ومتسخة".

وستُرسل الطرود البريدية التي لا تزال بحالة جيدة إلى وجهتها المحددة رغم تأخرها لأسابيع. أما الرسائل المتضررة بصورة كبيرة فسيجري تلفها بالتشاور مع الجهات المُرسلة لها.

صباح العرب

عدلي صادق

غرام بلا انتقام

في قلب مدريد، وحيثما تزدحم ساحة بوابة الشمس "سول" برمزيات التاريخ الإسباني، ترى كل ما في الأرجاء، ينم عن عودة إسبانيا إلى ألقها، بعد موت الدكتاتور فرانسيسكو فرانكو الذي حكم البلاد منذ العام 1939 حتى وفاته في العام 1975. كان فرانكو قد خاض حربا أهلية دموية أودت بحياة مئة ألف إسباني. ولم يكن سوى الموت الذي يُنهي حكمه. وفي ساحة الشمس أو بوابتها "بويرتا دي سول" يتأمل الناس معالم ومحطات تاريخ طويل، استطاع فيه الإسبان، بما لديهم من نزوع فطري إلى رغد الحياة والتسامح، جعل تأملهم لكل ما يجسد وقائع الماضي الأليم، قرين العبرة، ومهمازاً للانطلاق إلى المستقبل. فمن بين المعالم في الساحة، يتبدى التمثال البرونزي للدب الذي يعلو لكي يصل إلى أعلى شجرة التوت، لكي يستطيب بثمرها. فلا شيء يشغل الإسبان أكثر من المثابرة على العلم والعمل، وقدمت الدولة لهم، شبكة مواصلات عصرية تسري في المدينة، أنيقة ورشيقة، مع بُنية تحتية رصينة تحتوي البلاد بأسرها.

إخواننا المغاربة، الذين يمثلون الغالبية العربية في المدينة، معذورون لدى إسبان اليوم على ما فعل أسلافهم في الحرب الأهلية. والمغاربة بدورهم يعذرون على ما فعل إسبان الأمس ببلادهم!

في القرن العشرين، نشأ المثال الأول، للواقع الذي تكون فيه الجمهوريات أقسى على الشعب من الملكيات: ألفونسو الثالث عشر لا يصُم أذنيه عن مطالب جزء من الشعب، بإلغاء الملكية وإقامة حكم جمهوري. يدعو إلى انتخابات في العام 1931 فيفوز فيها الجمهوريون، لكن الملك لا يتخلى عن عرشه تماماً وإنما يستعد للتخلي عن كثير من سلطاته، فيرفع عنه الجيش الإسباني الحماية، ويغادر إلى روما. غير أن نعيم الجمهورية في أحلام الشعب ينقلب إلى كابوس. الجمهوريون يستبدون، ويخنقون الحريات، ويضيّقون الخناق على الكنائس، ولما بدأوا يحرقونها، هبّ فرانكو، الضابط المميز في الجيش؛ لكي ينقذ البلاد ممن سماهم الملاحدة، وكان هو الآخر مثالا في التاريخ، للمنقذ الذي سيحتاج الناس إلى من ينقذهم من بطشه!

لم يكن فرانكو سيفلح، بغير جيش من المغاربة، من شعب كان ضحيته أصلاً. خمسون ألفاً من الضباط والجنود المسلمين، يخوضون الغمار معه، ويختار منهم رئيس أركانه محمد مزيان، وينتصر وينجز انقلابه على من يحكمون. ظل يحكم حتى الموت، ولما تنسّم الإسبان نسائم الحرية، كان التسامح يظلل حياتهم، وعاش المغاربة في إسبانيا في غرام بلا انتقام، بينما بقايا المستعمرات الإسبانية لا تزال في بلادهم!